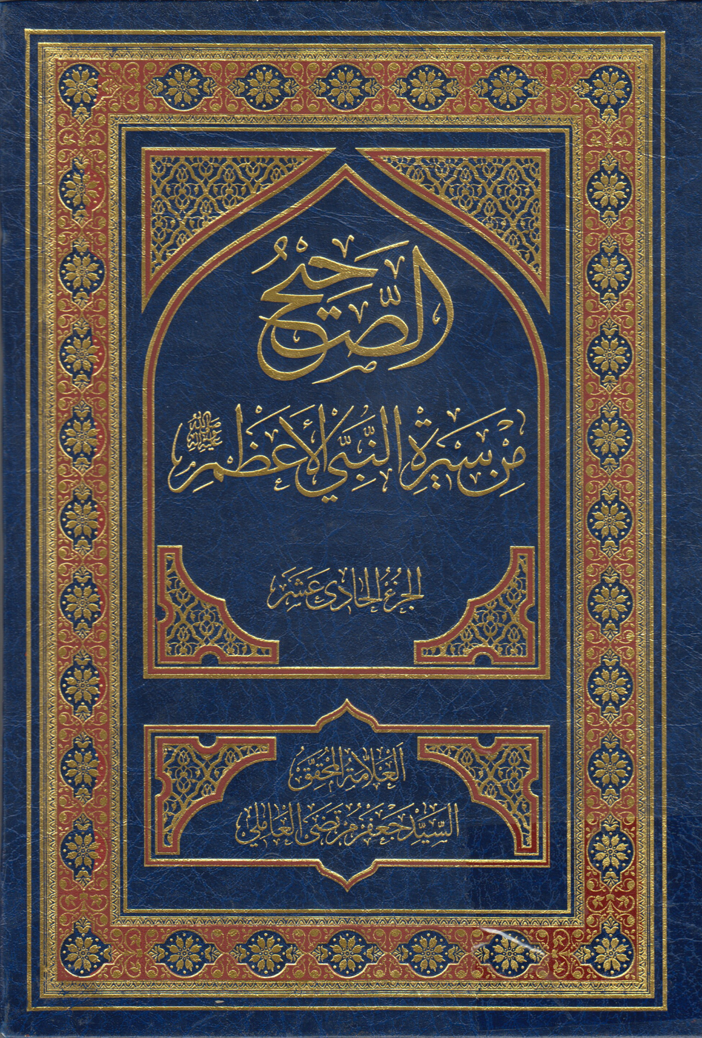

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله
الجزء الحادي عشر
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم





العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي عشر

الصحيح من سيرة النبی الاعظم ﷺ

(الجزء الحادی عشر)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٧٧٤٠٥٢٣ ـ ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٢٣ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ ٠٢٥١ / ص.ب ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ ـ ١ ـ ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

ISBN: 978 - 964 - 493 - 183 - 3





الفصل السابع:

معنويات الجيشين والرعب والخوف أيام الحصار

الفصل السابع:

الحالة المعنوية لجيش الأحزاب:

لقد حاصر المشركون المسلمين في المدينة مدة طويلة، سنتحدث عنها في الفصل التالي. ولا شك في أن جيش الشرك كان مطمئناً إلى أنه سوف يحقق في مسيره ذاك لحرب المسلمين نتائج طيبة ومثيرة وربما حاسمة، وذلك استناداً إلى ذلك الحشد الهائل الذي استطاع أن يوفره، والذي لم يسبق له مثيل.

ثم فوجئ بالخطة الدفاعية التي اعتمدها المسلمون في المواجهة، ولكنه لم يفقد الأمل، وحرص على متابعة الإعداد والاستعداد، بحمله بني قريظة على نقض العهد، وذلك على أمل أن يجد الوسيلة لتجاوز عقدة الخندق، للتوصل إلى المواجهة الحاسمة التي كان يأمل.

فكان من الطبيعي: أن نجد جيش الأحزاب يتظاهر بالأنفة والشموخ والعنجهية، والاستعلاء والفرح.

قال ابن شهرآشوب: «كان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة»[1].

وكيف لا يكونون كذلك، وهم يرون أنفسهم في موقع من يحاصر

---

(١) (الشوكة: السلاح) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٢.

أعداءه، ويضيق عليهم الخناق. ويتسبب لهم بالمزيد من الألم والأذى والخوف والرعب، مع ما يعانون من جوع وحاجة، وشدة.

وإن كان فيما بعد ـ وبعد قتل علي لطليعة فرسانهم ـ انقلب السحر على الساحر كما سنرى.

وما يهمنا هنا هو بيان حالة المسلمين في مواجهة الأحزاب فنقول:

المسلمون في مواجهة الأحزاب:

قد تحدث القرآن عن حالة المسلمين بصورة عامة في يوم الأحزاب، وتحدث عن حالات المنافقين ومواقفهم وأساليبهم في هذه المناسبة، وذكر أيضاً حالة أهل الإيمان والإخلاص، وميَّزهم عن غيرهم.

ونحن نذكر هنا: الآيات التي تعرضت للفرقاء الثلاثة فنقول:

الحالة العامة:

لقد كان ثمة حالة من الخوف والرعب تهيمن على الأجواء العامة للمسلمين، الذين لم يستحكم الإيمان في نفوسهم وقلوبهم حتى زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**﴾[1].

حيث يذكر المفسرون: أن هذه الآية قد نزلت يوم الأحزاب وقيل:

---

(١) الآية ٢١٤ من سورة البقرة.

نزلت في أحد[1].

وقد زاد هذا الخوف والرعب باستمرار الحصار، وظهور بعض المناوشات. وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلنَا عَليْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَل مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا، هُنَالكَ ابْتُليَ المُؤْمِنُونَ وَزُلزِلُوا زِلزَالاً شَدِيداً﴾[2].

يقين أهل الإيمان:

أما عن خصوص الثلة المؤمنة الصابرة المجاهدة، فإنهم كانوا مطمئنين إلى نصر الله تعالى لهم على أعدائهم. دون أدنى شك أو ريبة منهم، فقد قال تعالى: ﴿وَلمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْليماً، مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَليْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً، ليَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَليْهِمْ إِنَّ

---

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص١٨٨ عن مجمع البيان ج٢ ص٣٠٩ وراجع: الدر المنثور ج١ ص٢٤٣ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة، وابن أبي حاتم، عن السدي.

(٢) الآيات ٩ ـ ١١ من سورة الأحزاب.

اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1].

حالة المنافقين:

أما المنافقون: فإنهم ما زالوا منذ البداية يشككون في قدرة المسلمين على المواجهة، وقد تقدم أنهم حين حفر الخندق أظهروا نفاقهم الذي رافق جميع مراحل المواجهة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم، فقال:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِنهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِن أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلا يَسِيراً، وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً

قُل لَن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلاً

قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً

قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ

---

(١) الآيات ٢٢ ـ ٢٤ من سورة الأحزاب.

حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً

يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَا قَاتَلُوا إِلا قَلِيلاً﴾[١].

النصوص التاريخية:

قد ظهر من الآيات الشريفة: أن ما كان يثيره المنافقون من شائعات، وما كانوا يتخذونه من مواقف، قد أثَّر على الحالة العامة، وأسهم في إثارة مشاعر الخوف التي كانت متحفزة، بسبب ما يرونه من حشود هائلة، وبسبب الحصار الذي يعانون منه وترافق مع الحاجة الملحة، الأمر الذي بث روح الإنهزام، والتخاذل والتردد فيما بين ضعفاء النفوس، وقليلي التدبر.

وقد حملت لنا النصوص التاريخية بعض التفاصيل، التي يحسن الوقوف عندها، إلى جوانب أخرى يحسن الإلمام بها والإطلاق عليها، والإستفادة منها.

ونحن نذكر هنا: بعضاً من ذلك ولا نصرف النظر عن جميع ما لدينا من ملاحظات وتحفظات، بل نذكر بعضاً من ذلك، حسبما يقتضيه المقام، فنقول:

عن جابر بن عبد الله، قال: كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش، حتى فرَّج الله ذلك[٢].

وعن أم سلمة، أنها قالت: إنها شهدت مع النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الآيات ١٢ ـ ٢٠ من سورة الأحزاب.

(٢) المغازي ج٢ ص٤٦٨.

مشاهد فيها قتال وخوف: المريسيع، وخيبر، والحديبية، والفتح، وحنين، ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا أخوف عندنا من الخندق، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري الخ..»[1].

«وكانوا يبيتون بالخندق خائفين، فإذا أصبحوا أمنوا»[2].

«واشتد البلاء والحصر على المسلمين، وشغلتهم أنفسهم، فلا يستريحون ليلاً، ولا نهاراً»[3].

وقال ابن شهرآشوب: «وكان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة، والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو.

والنبي «صلى الله عليه وآله» جاث على ركبتيه، باسط يديه، باك عيناه، ينادي بأشجى صوت:

«يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، اكشف همي، وكربي، فقد ترى حالي»[4].

ويقولون: لما صح عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقض بني قريظة للعهد ضاق ذرعاً، وخَشِيَ أن يفت ذلك في أعضاد المسلمين، فعظم

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٧ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٥.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٨.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ وراجع ج٣ ص١٣٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٢ وراجع ج١٤ ص٨٨.

البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق، وكثر الخوض.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه فيما وصف من الخوف والشدة لتظاهر الأعداء عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى كان ما كان من كيد نعيم بن مسعود الخ..[1].

وستأتي قصة نعيم، وما فيها من هنات وإشكال.

قال ابن الجوزي: «قال علماء السِيَر: كان اشتد الخوف يوم الخندق، وفشل الناس، وخيف على الذراري والأموال»[2].

وفي نص آخر: «ولما فشا نقض بني قريظة، واشتد الخوف، وعظم عند ذلك البلاء، فبينما هم على ذلك إذ جاءتهم جنود ـ يعني الأحزاب ـ وهم قريش

---

(١) تجارب الأمم ج١ ص١٥٠ وأشار إلى ذلك في المصادر التالية: تاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦١ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٢ و ١١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٤ و ٢٠١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٤ و ١٦٥ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ و ١١١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٥٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٣٥ وعيون الأثر ج٢ ص٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٨١.

(٢) الوفا ص٦٩٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧١.

وغطفان، ويهود بني قريظة..

إلى أن قال: فجاء بنو أسد، وغطفان، وفزارة، واليهود من فوقهم، من جهة المدينة، وقائدهم حارث بن عوف، وعيينة بن حصن، وجاء قريش وكنانة من جانب أسفل الوادي، وقائدهم أبو سفيان بن حرب»[1].

وقال ابن عباس: «كان الذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان، كذا في الوفاء. ومن هيبة كثرتهم، وشدة شوكتهم رعبت قلوب ضعفاء أهل الإسلام، وزاغت أبصارهم»[2].

وقال القيرواني: «جاءت قريش من ها هنا، واليهود من ها هنا والمجد من ها هنا، يريد هوازن»[3].

ومعنى ذلك هو: أن المسلمين كانوا محاصرين من جهات ثلاث

ويقول الطبرسي: «من فوقكم: من فوق الوادي، من قبل المشرق: قريظة والنضير، وغطفان ومن أسفل منكم: أي من قبل المغرب، من ناحية مكة: أبو سفيان في قريش ومن تبعه»[4].

مواقف المنافقين:

وقال القمي: «لما طال على أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٧ و ٣١٨.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥.

(٣) الجامع ص٢٨١.

(٤) مجمع البيان ج٨ ص٣٣٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص١٩٢ عنه.

الأمر واشتد عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا نافق، إلا القليل.

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبر أصحابه: أن العرب تتحزب ويجيئون من فوق. وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وإنه ليصيبهم جهد شديد، ولكن تكون العاقبة عليهم.

فلما جاءت قريش، وغدرت اليهود قال المنافقون: ﴿**مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً**﴾[1].

وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة، فقالوا: يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا، فإنها في أطراف المدينة، وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها.

وقال قوم: «هلموا فلنهرب، ونصير في البادية، ونستجير بالأعراب، فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله»[2].

وقال البيهقي: إنه بعد حصار دام قريباً من عشرين ليلة، وبعد حصول قتال دام إلى الليل، شغل المسلمين عن صلاة العصر: «فلما اشتد البلاء على النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه نافق ناس كثير، وتكلموا بكلام قبيح فلما رأى رسول الله ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف

---

(١) الآية ١٢ من سورة الأحزاب.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٨٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٢٩ و ٢٣٠.

بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله عز وجل إليَّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل.

وقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد!! يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق، وأن نقسم كنوز فارس والروم، ونحن ها هنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله ما يعدنا إلا غروراً.

وقال آخرون ممن معه: ائذن لنا، فإن بيوتنا عورة.

وقال آخرون: «يا أهل يثرب، لا مقام لكم فارجعوا»[1].

ويقول نص آخر: «ونجم النفاق من بعض المنافقين، وقال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وأن أموالها تنفق في سبيل الله، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾»[2].

وقال رجال ممن معه: «يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا»[3].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥.

(٢) الآية ١٢ من سورة الأحزاب.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٨ وراجع المصادر التالية: حدائق الأنوار ج٢ ص٥٨٧ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٨٨ وعيون الأثر ج٢ ص٦٠ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٣٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٧ وتاريخ =

من الذي قال: بيوتنا عورة؟!

تقدم في النصوص التي أوردناها: أن هناك من قال: بيوتنا عورة، من أجل الحصول على إذن من النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، فمن هم هؤلاء الذين قالوا ذلك ياترى؟

إن بعض النصوص التاريخية تقول: هم: «عبد الله بن أبي وأصحابه.

وقيل: هم بنو سالم من المنافقين.

وقيل: إن القائل لذلك أوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه، عن يزيد بن رومان»[1].

وقال ابن الكلبي: إن أبا مليل، سليك بن الأزعر ـ شهد بدراً ـ هو الذي قال يوم الخندق بيوتنا عورة[2].

وقال الدياربكري: «وكان جماعة من المنافقين مثل أوس بن القيظي، ومتابعيه ينفرون جيش الإسلام، ويقولون: ارجعوا إلى منازلكم، واعتلوا بأن منازلكم عورة، خالية عن المحافظة، فإنها خارج المدينة، ونحن نخاف

= اليعقوبي ج٢ ص٥١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٤ و ١٦٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٥٩ و ٤٥٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص١٩٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ وراجع: سعد السعود ص١٣٨.

(١) مجمع البيان ج٣ ص٣٤٧ والبحار ج٢٠ ص١٩٣ عنه وراجع: نهاية الأرب ج٧ ص١٨١.

(٢) راجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٩.

أن يظفر بها جيش العدو»[١].

ويقول نص آخر: «عظم الأمر، وأحيط بالمسلمين من كل جهة وهمَّ بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة، ثم ثبتهم الله»[٢].

لكن البعض قال: إن المستأذنين هم بعض بني حارثة لا كلهم، فراجع[٣].

ويروي لنا الواقدي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلاً، فيقول:

إن بني حارثة بعثوا بأوس بن قيظي إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، يقولون: إن بيوتنا عورة، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا، ليس بيننا وبين غطفان أحد يرد عنا، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا ونساءنا.

فأذن لهم «صلى الله عليه وآله» ففرحوا بذلك، وتهيأوا للانصراف.

فبلغ سعد بن معاذ ذلك، فقال: يا رسول الله، لا تأذن لهم، إنَّا والله، ما أصابنا وإياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا، فردهم[٤].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ وراجع: المواهب اللدنية ج١ ص١٣٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٧ و ٢٢٨ وزاد المعاد ج٢ ص١١٨ ومجمع البيان ج٢ ص٣٤٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص١٩٣.

(٣) راجع: جوامع السيرة النبوية ص١٤٩.

(٤) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٣ وراجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٩ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ =

من بقي مع النبي ﷺ في المواجهة؟!

قال دحلان: «فجعل المنافقون يستأذنون، ويقولون: بيوتنا عورة، أي من العدو، لأنها خارج المدينة، وحيطانها قصيرة، يخشى عليها السرقة، فأذن لنا نرجع إلى نسائنا، وأبنائنا، وذرارينا؛ فيأذن «صلى الله عليه وآله» لهم.

قيل: ولم يبقَ معه تلك الليلة إلا ثلاث مئة»[1].

وعن حذيفة: «أن الناس تفرقوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة الأحزاب، فلم يبقَ معه إلا اثنا عشر رجلاً»[2].

وقال القاضي النعمان: «وتسلل عن رسول الله صلوات الله عليه وآله أكثر أهل المدينة، فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم»[3].

وتقدم قول القمي: «ولم يبقَ أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا نافق إلا القليل».

وهذا يؤيد ما سيأتي: من أن سبب النصر هو بطولات علي «عليه

= ص٢٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ وليس فيه موقف ابن معاذ: وراجع المصادر التالية: وإن لم تشر لموقف ابن معاذ: عيون الأثر ج٢ ص٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٥ و ٤٣٦.

(١) السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ وستأتي بقية المصادر في الفصل الأخير من هذا الباب تحت عنوان: مهمة حذيفة بن اليمان.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٥٠ و ٤٥١ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٩ و ٢٥٠ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣١.

(٣) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٤.

السلام»، وما جرى على المشركين من مكابدة ما تثيره الرياح والأعاصير من متاعب لهم، وما تزرعه من خوف ورعب في قلوبهم، بعد أن آتت النشاطات النبوية لزرع الشكوك فيما بينهم ثمارها، كما سنرى.

وقبل أن نمضي في الحديث عن سائر الوقائع نتوقف قليلاً للإشارة إلى الأمور التالية:

الحارث بن عوف:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة: الحارث بن عوف في المشاركين في حصار المدينة، وقد تقدم: أن قومه ينكرون حضوره حرب الأحزاب، فراجع الفصل الأول من هذا الباب.

رهبة الليل:

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن الليل كان بالنسبة لكثير من المسلمين بمثابة كابوس مخيف لما يتوقعونه من مفاجئات لم يحسبوا لها حساباً، ونحن وإن كنا نصدق أن لليل رهبته، ولكن وجود الرسول «صلى الله عليه وآله» فيما بينهم، وهو الذي لم يزل يطمئنهم إلى نصر الله وعونه، كان ينبغي أن يطمئنهم، ويذهب حالة الخوف والرعب من نفوسهم لو كانوا راسخي القدم في الإيمان، والتسليم لله ولرسوله.

خوف الرسول ﷺ:

وقد تحدثت بعض كلمات المؤرخين: عن خوف النبي «صلى الله عليه وآله» في حرب الأحزاب.

ونحن لا نشك: في عدم صحة هذه النصوص، ولا أقل من أنها لم تتحر الدقة في نقل الوقائع والأحداث، فإن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان يبشر المؤمنين بنصر الله وعونه، ابتداء من حفر الخندق، ثم حين نقض بني قريظة لعهدهم، وفي غير ذلك من مناسبات.

فلم يكن هو ليعاني من حالة الرعب والخوف، وهو الذي كان مصدر السكينة والأمن والطمأنينة للناس.

بل إننا إذا كنا نرى أن القرآن يتحدث عن المؤمنين بأنهم كانوا على درجة من التسليم والتصديق بوعد الله، وما زادهم مجيء الأحزاب، ورؤيتهم لهم إلا إيماناً وتسليماً؛ فإن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لن يكون أقل إيماناً منهم.

والذي نراه: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تعب كثيراً في إنجاز المهام حين صار أصحابه يتركونه، حتى بقي في قلة قليلة منهم.

بل إن بعضهم حتى طلحة وعمر قد تركوه، واختبأوا في حديقة هناك، وقد كشفت عائشة أمرهم، وأحرجتهم بصورة ظاهرة كما ذكرناه في موضعه فيمكن أن يكون بعض المؤرخين خلط بين التعب والمعاناة للنبي «صلى الله عليه وآله» وبين الخوف، فنسب إليه الخوف، مع أن الصحيح هو نسبة التعب كما قالته أم سلمة وغيرها فليلاحظ ذلك.

إتهام أحد البدريين بالنفاق:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن متعب بن قشير هو الذي قال: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر الخ..

مع أن ابن هشام يقول: قيل: لم يكن متعب من المنافقين، وقد شهد بدراً[1].

وقال العسقلاني: «ذكروه في من شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقاً، وأنه الذي قال يوم أحد: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾[2].

وقال: إنه تاب، وقد ذكره ابن إسحاق في من شهد بدراً»[3].

وقال أبو عمر: «شهد بدراً وأحداً، وكان قد شهد العقبة.

ويقال: إنه الذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾»[4].

ولا نريد تتبع سائر المصادر التي أشارت إلى بدرية متعب بن قشير. فكيف نوفق بين وصف القرآن له بالنفاق، وبين بدريته، التي توجب ـ حسبما يزعم هؤلاء ـ أن يغفر له كل ذنب، ويطهر من كل رجس، وقد تحدثنا عن هذا الأمر في غزوة بدر فراجع.

هيكل يخطئ في تصويراته وتصوراته:

قال محمد حسين هيكل: «لأهل يثرب أبلغ العذر إن كان بلغ منهم الفزع وزلزلت قلوبهم، ولمن قال منهم العذر في أن يقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وللذين بلغت قلوبهم الحناجر العذر في أن تبلغها. أليس هو الموت

---

(١) عيون الأثر ج٢ ص٦٠.

(٢) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٣) الإصابة ج٣ ص٤٤٣.

(٤) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٣ ص٤٦٢.

الذي يرون آتياً تقدح بالشرر عينه، مصورة في بريق هذه السيوف تلمع في أيدي قريش، وفي أيدي غطفان، وتدب إلى القلب مخافته، متسللة من منازل قريظة الغدرة الخائنين»؟[1].

ونقول:

لقد اشتبه هيكل في تصوره وفي تصويره أيما اشتباه، وذلك لأمور:

الأول: أن الله سبحانه قد حكى طائفة مما ذكر آنفاً عن المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، فقال: **﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِنهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً﴾**[2].

فهل كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض على حق في قولهم هذا؟!

وقد صرح المؤرخون ـ حسبما تقدم وسيأتي أيضاً ـ : بأن المنافقين هم الذين قالوا: يعدنا محمد كنوز كسرى الخ..

الثاني: إن هذه الأقوال ـ كما تقدم ـ إنما صدرت بادئ الأمر من المنافقين قبل مجيء الأحزاب، وقبل نقض بني قريظة للعهد، إذ قد صرحت الروايات بأنهم قد قالوا ذلك حين حفر الخندق، توقعاً لمجيء قريش والأحزاب، ثم قالوا بعد اشتداد الحصار.

فلو سلمنا لهيكل قوله ذاك، نقول له: ما هو المبرر لرعبهم قبل مجيء

---

(١) حياة محمد (الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ. ق دار الكتب المصرية) ص٣٢٥.

(٢) الآيتان ١٢ و ١٣ من سورة الأحزاب.

الأحزاب ولم يكن ثمة ما يوجب الخوف إلى هذه الدرجة؟

الثالث: إننا لا نوافق أن من حقهم أن يقولوا ذلك، حتى لو كان القائلون هم المؤمنون، وذلك لأنهم قد رأوا من الآيات والخوارق والكرامات للنبي «صلى الله عليه وآله» وهم يحفرون الخندق الشيء الكثير. فكان من المفروض فيهم أن يتيقنوا بنصر الله سبحانه لهم، وبصدق ما أخبر به نبيهم الأكرم «صلى الله عليه وآله».

ولكن لم تكن تلك الكرامات تقتصر على مجرد التصور العقلي لهم. بل كانت تتعدى ذلك لتكون ممارسة حسية لكل فرد منهم، كما كان الحال بالنسبة لإطعام أهل الخندق جميعاً من وليمة جابر.

الرابع: إن مراجعة الآيات القرآنية تعطينا: أن الذين زاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم حناجرهم، وظنوا بالله الظنون هم غير المؤمنين الذين كانوا ثابتين في حصون الإيمان. لكن هؤلاء المؤمنين قد تأثروا من حالة إخوانهم، فوقعوا في البلاء والزلزال، فقد قال تعالى مخاطباً المسلمين:

﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا، هُنَالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلزِلُوا زِلزَالاً شَدِيداً﴾[1].

فترى أنه تعالى قد تحدث عن المؤمنين بطريقة الحديث عن الغائبين، مع أنه لو كان المراد جميع المسلمين لكان السياق يقتضي أن يقول: «هنالك ابتليتم وزلزلتم».

---

(١) الآيتان ١٠ و ١١ من سورة الأحزاب.

أضف إلى ما تقدم: أنه لو كان الأمر كذلك لم يقل: «هنالك ابتلي» بل كان عليه أن يقول: وابتليتم. فكلمة «هنالك» تشير إلى أن الابتلاء للمؤمنين قد حصل حينما ظننتم بالله الظنون، وبلغت قلوبكم حناجركم.

على أن من الواضح: أن ظن الظنون بالله لا ينسجم مع الإيمان بل هو ينافيه. وقد تحدث تعالى عن المؤمنين فذكر أنهم لم يظنوا الظنون هنا، بل زاد إيمانهم عمقاً ورسوخاً.

فقال تعالى: **﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيَمَاناً وَتَسْلِيماً، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾**[1].

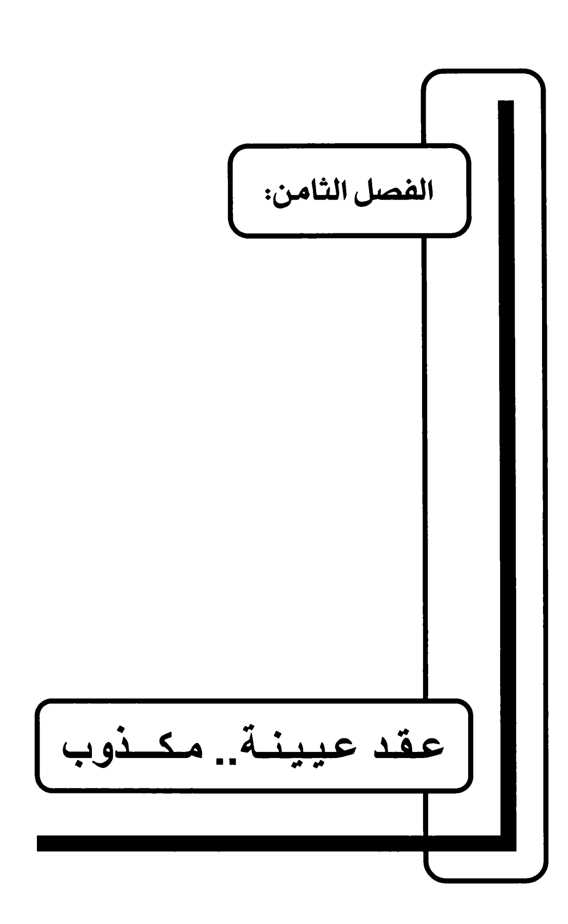
بقي أن نشير هنا: إلى أن المراد بابتلاء المؤمنين هو أن مسؤولياتهم أصبحت أكبر وأخطر من ذي قبل، وأصبحت كل المصائب والآلام الناتجة عن هذا الحصار، من انهزام المسلمين روحياً، والخوف على الذراري والنساء، وما صاحب ذلك من تحمل مشقات وجهد وسهر ـ إن ذلك كله ـ قد انصب على رؤوس ثلة قليلة مجاهدة صابرة، قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين أو حتى اليد الواحدة.

إذ إن من الغني عن البيان: أن تحقيق وعد الله ورسوله لهم بالنصر، لا يعني أن لا يتحملوا المشقات والمصاعب والآلام الكبيرة وأن لا يبتليهم بالمواجهات الخطيرة، التي تصل إلى درجة الاستشهاد بالنسبة إلى بعض

---

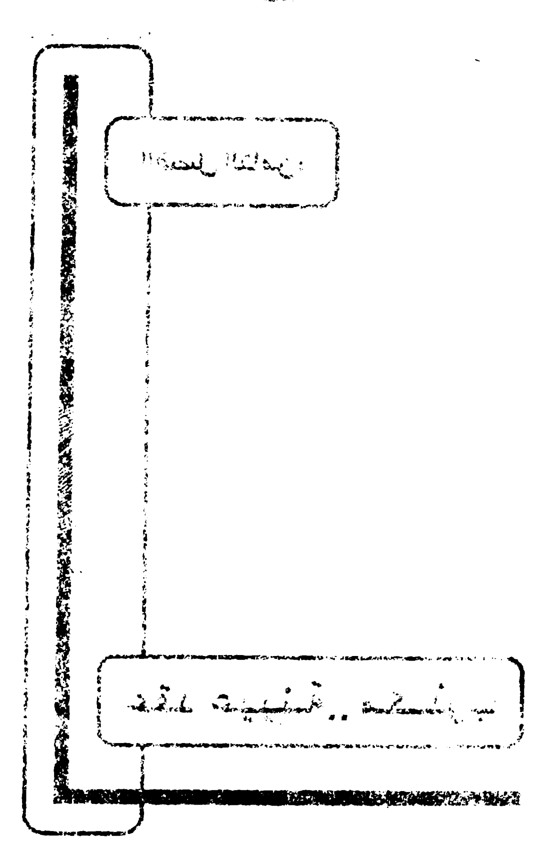
(١) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الأحزاب.

الأفراد، لأن الوعد إنما هو للمجموع العام ولأهل هذه الدعوة بصفتهم العامة، وإن كان أفراد كثيرون يستشهدون، أو يمتحنون بالمصائب والبلايا والرزايا.



الفصل الثامن:

عقد عينة.. مكذوب



الفصل الثاني :

العقد المزعوم مع عيينة بن حصن:

قال ابن المسيب: «حصر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه بضع عشرة حتى خلص إلى كل منهم الكرب.. إلى أن قال: فبينما هم على ذلك من الحال أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى عيينة الخ..»[1].

وذكر نص آخر: أنه بعد أن حوصر المسلمون، ونقض بنو قريظة العهد، وضاقت الأمور على المسلمين، وأحيط بهم، وهمَّ بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى عيينة بن حصن، والحرث بن عوف: أن يرجعا، ويخذلا الأعراب، ولهما ثلثا ثمار المدينة ـ كما في بعض المصادر ـ لكن أكثر المصادر تقول: ثلث ثمار المدينة.

زاد في نص آخر قوله: «فجرى بينهما المراوضة في الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح»[2].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٧ وراجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٦٧.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٥ وراجع المصادر التالية: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٦ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٢ و ١٧٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٠ والإرشاد للمفيد ص٥١ و ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٨ =

وشاور «صلى الله عليه وآله» في ذلك: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فأبيا، وقالا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به فلا بد منه؟! أم شيء تحبه، فتصنعه، فنصنعه لك؟! أم شيء تصنعه لنا؟!

قال: بل أصنعه لكم، إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة.

فقال سعد بن معاذ: قد كنا معهم على الشرك والأوثان، ولا يطمعون منا بتمرة شراء ولا بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟! والله، لا نعطيهم إلا السيف.

فَصَلُبَ رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

= والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ والبحار ج٢٠ ص٢٥٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٨ وعيون الأثر ج٢ ص٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٦ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠١.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وراجع: المصادر التالية: سيرة المصطفى ص٤٩٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ و ٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠١ و ٢٠٢ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٦ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٧ وشرح نهج البلاغ للمعتزلي الشافعي ج١٠ ص١٨٠ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٦ وزاد المعاد ج٢ ص١١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣١ وراجع: الإرشاد للمفيد ص٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ وجوامع السيرة النبوية ص١٤٩ و ١٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ و ١٨١ وكشف الغمة للأربلي ج١ =

زاد البعض هنا قوله: «فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإن الله تعالى لن يخذل نبيه، ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده.

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسلمين، يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعدهم النصر من الله تعالى[1] «وترك ما كان هم به من ذلك»[2].

وقد تفننت بعض الروايات في تصوير وقائع هذه القصة فهي تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى رئيسي غطفان: عيينة بن حصين والحارث بن عوف أن يجعل لهما ثلث ثمار المدينة، ويرجعان بمن معهما.

فجاءا متخفيين من أبي سفيان مع عشرة من قومهما إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فطلبا نصف ثمار المدينة، فأبى عليهما إلا الثلث فرضيا، فجرى بينه وبينهم الصلح، وأحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصحيفة والدواة، وأحضر عثمان بن عفان، حتى كتب كتاب الصلح، ولم يقع الإشهاد.

= ص٢٠٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ و ١٠٥ والبحار ج٢٠ ص٢٥٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٢ و ١٧٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٠ و ٤٣١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ١٩٢ و ١٩٣ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٦٧ و ٣٦٨ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٣ و ٢٩٤.

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٢ وراجع: كشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٢. ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨.

(٢) بهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ وراجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ و ١٨١.

وعند الواقدي والمقريزي: أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان الصلح، وعبادة بن بشر على رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقنع بالحديد.

ولما أرادوا أن يكتبوا الشهادة جاء أسيد بن حضير، فرأى عيينة بن حصن قد مد رجله بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلم ما جاء له فأقبل إلى عيينة وقال:

يا عين الهجرس، أتمدَّ رجلك بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فوالله، لولا مجلس رسول الله لأنفذت جنبك بهذا الرمح.

ثم أقبل بوجهه إلى النبي فقال: يا رسول الله، إن كان هذا شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من عمله، أو أمراً تحبه، فاصنع ما شئت، ما نقول فيه شيئاً، وإن كان غير ذلك، فوالله ما نعطيهم إلا السيف، متى كانوا يطمعون منا؟!

فسكت النبي «صلى الله عليه وآله» ولم يقل شيئاً.

وعلى حد تعبير الواقدي: فأسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فدعا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فاستشارهما فيه (خفية)، فقالا مثل ما قال أسيد (وأبوا إعطاء الدنية، فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بشق الكتاب) فاعتذر «صلى الله عليه وآله» بأنه قد رأى العرب رمتهم عن قوس واحدة.

إلى أن تقول الرواية: فتناول سعد، أي ابن معاذ، الصحيفة وأخذها من عثمان فمحا ما في الكتاب، ومزق الكتاب.

ثم تذكر الرواية: محاورة بين عبادة بن بشر وعيينة. ثم ذكر رجوع عيينة والحارث.

وعلما: أن لا يد لهم في المدينة، لما رأيا من إخلاص الأنصار، واتفاقهم مع رسول الله، ودخل في أمرهما فتور وتزلزل[١].

وتشير بعض النصوص إلى دور لسعد بن الربيع أيضاً[٢].

نقاط ضعف في هذا الإتفاق:

لقد حفلت هذه القصة بنقاط ضعف كثيرة لا نرى ضرورة للتعرض لها بالتفصيل ونكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

١ـ التناقض والاختلاف:

إننا نلاحظ هنا: تناقض واختلاف نصوص هذه الرواية، الأمر الذي

---

(١) راجع في النصوص المتقدمة باختصار تارة وبإسهاب أخرى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٥ و ٤٨٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٧ و ٤٧٨ وفي تفصيلات لا مجال لإيرادها. والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٢ و ١٧٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦٠ وراجع: شرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ وتاريخ الإسلام السياسي ج١ ص١١٨ و ١١٩ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٥ و ٢٣٦. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٠ و ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٩. وراجع: حول هذا العقد المزعوم أيضاً: الرسول العربي وفن الحرب ص٢٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٦٠ وج ١٧ ص١٩٩ وخاتم النبيين ص٩٣٦ و ٩٣٢ و ٩٣٣ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٤ و ١٦٥ وسيرة المصطفى ص٥٠٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦.

يعني أنه لا بد من استبعاد طائفة من هذه النصوص حتى لا يبقى ثمة تناقض واختلاف فيما بينها.

فليلاحظ مثلاً: اختلافها في أنه «صلى الله عليه وآله» أعطاهما ثلث ثمار المدينة، أم الثلثين؟!

وهل كُتِبَ كتاب، ثم رفض السعدان أم رفضا ذلك قبل أن يكتب الكتاب. وهل استشار السعدين، أم استشار السعود.

٢ ـ الحارث بن عوف:

وقد تقدم: أن البعض ينكر مشاركة الحارث بن عوف في حرب الخندق، وإن كان الواقدي يصر على هذه المشاركة، فراجع فصل: الأحزاب إلى المدينة. فقرة: تحفظ تاريخي.

٣ ـ سعد بن الربيع:

قد ذكرت بعض النصوص: أنه قد كان لسعد بن الربيع دور في هذه القضية أيضاً. مع أن سعداً هذا قد استشهد في حرب أحد، وهي قبل الخندق بزمان طويل، فراجع.

٤ ـ استشارة السعود، وإعطاء الدنية:

بعض النصوص تقول: إن عيينة بن حصن جاء مهدداً متوعداً فهي تقول: إنه قال: يا محمد ناصفنا تمر المدينة، وإلا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً.

فقال: حتى أستأمر السعود: سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وسعد بن ربيعة، وسعد بن مسعود.

فكلمهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك، فقالوا: لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية، فكيف وقد جاء الله تعالى بالإسلام؟

فرجع الحارث فأخبره، فقال: غدرت يا محمد[1].

فما معنى هذا التهديد والوعيد من عيينة، ألم يملأها حتى الآن خيلاً ورجالاً؟!

وهل بقي عنده خيل ورجال غير هؤلاء لم يأت بهم لحرب محمد؟!

والملفت في هذا النص: أن جميع الذين يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يستشيرهم اسمه سعد، فما هذه المصادفة العجيبة!! ألم يكن في الأنصار أحد من الرؤساء له اسم آخر؟!

وأمر ثالث يلفت النظر هنا: وهو أنهم اعتبروا أن ذلك معناه إعطاؤه الدنية. فهل كان النبي بصدد أن يعطي الدنية للأعداء؟

ألم يكن يعلم أنهم لم يعطوها في الجاهلية، فكيف وقد جاء الله تعالى بالإسلام؟!

٥ـ المراوضة وكتابة الصلح:

والأمر الذي يصعب علينا تفسيره وهو: أنه كيف تمت كل هذه المراحل، من دون علم السعدين، أو السعود الأربعة، وغيرهم من زعماء الأنصار؟! فالنبي «صلى الله عليه وآله» يرسل للأعداء ويستقدمهم، ويأتون إليه وتجري مراوضة في شأن الصلح، ثم يرسل النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٢.

وراء عثمان ويأتي، ويكتب الكتاب. كل ذلك يحصل ولا أحد من زعماء الأنصار يعرف بشيء، حتى يرسل إليهم النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحضرهم.

فهل كانوا لا يحضرون مجلس النبي، إلا أن يحضرهم إليه «صلى الله عليه وآله» نفسه؟!

وهل صحيح أنهم كانوا يغيبون عنه فترات طويلة هذا المقدار ولا سيما في حرب الخندق، التي يفترض فيها تواجدهم حوله باستمرار ليتلقوا الأوامر؟!

وكيف غاب جميع من كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحاجة إلى استشارتهم ولم يحضر ولا أحد منهم ولو صدفة؟! إلا أن أسيد بن حضير حضر بصورة مفاجئة!!

٦ـ العجز والفشل:

ولا ندري بعد هذا كيف يقدم النبي «صلى الله عليه وآله» على أمر لا يثق من قدرته على إنجازه؟

أم يعقل: أنه كان واثقاً من ذلك ثم فوجئ بما أحبط سعيه، وخيب أمله؟!

٧ـ رأي النبي ﷺ ورأي غيره:

هل صحيح أن للنبي «صلى الله عليه وآله» آراء يطلقها من عند نفسه، ولا تنتهي إلى الإرادة الإلهية؟!

وكيف نفهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ

يُوحَى﴾؟![1].

أم أن هذه الآية تتحدث عن خصوص ما ينطق به من أي القرآن أو عن أمور يطلب منه تبليغها كالأحكام الشرعية، ونحوها؟! وكيف وبماذا نخصص الآية بما ذكر؟! وإذا سلمنا ذلك جدلاً، فهل صحيح أن للنبي بعض الآراء التي يخطئ فيها، أم أنه ذو اجتهاد صواب دائماً؟!

وبعد ما تقدم: لا بد أن نسأل عن الوسائل التي يمكننا أن نفرق فيها بين ما هو رأي واجتهاد له، وبين ما يأتي به من قبل الله سبحانه.

٨ ـ اتهام النبي صلى الله عليه وآله:

ولا ندري أيضاً: كيف نفسر قولهم للنبي: «أم شيء تحبه؛ فنصنعه لك» فهل يتصورون أن النبي «صلى الله عليه وآله» يمكن أن يقوم بعمل خطير كهذا لأنه يحب أن يصنع شيئاً لنفسه دونهم؟! وهل هذه إلا إساءة أدب وسوء ظن خطير برسول الله «صلى الله عليه وآله» يصل إلى حد التهمة؟!

٩ ـ فَصَلُبَ رسول الله صلى الله عليه وآله:

ويستوقفنا هنا قولهم: فَصَلُبَ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهل كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ضعف أمام أعدائه، فبدأ يقدم لهم التنازلات ويعطيهم الامتيازات؟

إن نصاً آخر ذكرناه آنفاً: يكاد يكون صريح الإيحاء بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان بصدد التخلي عن جهاد العدو، حيث يقول: «ثم

---

(١) الآية ٣ من سورة النجم.

قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسلمين، يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعدهم النصر من الله تعالى وترك ما كان هم به من ذلك.

١٠ـ الاحتفاظ بسرية هذا العقد:

كيف استمر هذا الأمر خافياً على أبي سفيان، وكيف لم يسر به النبي والمسلمون إلى مسامع زعيم قريش، ليكون مثار خلاف فيما بين زعماء الأحزاب أنفسهم، كما جرى لبني قريظة؟ فإنه إذا كان الأمر بالنسبة لبني قريظة لم يبعد حدود الإعلام بهدف تدمير حالة الثقة القائمة بينهم وبين المشركين، فإن الأمر هنا أصبح أكثر واقعية، بعد أن قطع المتفاوضون مراحل واسعة باتجاه عقد الاتفاق، حتى لقد كتب الكتاب، وإن لم تقع الشهادة والصلح.

إلا ان يقال: إن تسريب أمر خطير كهذا سوف يكون مضراً بالمسلمين، لأنه يعطي للمشركين انطباعاً عن ضعف المسلمين وانهيار معنوياتهم، الأمر الذي ربما يثير لدى قوى الشرك شهية مواصلة الحصار، ومضاعفة الضغوط للوصول بالمسلمين إلى حالة الإنهيار الكامل.

كما أن هذا التسريب لم يكن في صالح زعماء غطفان؛ لأنه سوف يعقد العلاقات مع حلفائهم، ويثير لهم معهم مشاكل هم في غنى عنها.

أما المنافقون: فلعلهم لم يجدوا في تسريب معلومات كهذه ما يخدم مصالحهم، أو يفيد في إخراجهم من الورطة التي يجدون أنفسهم فيها.

١١ـ أدب عيينة، وغيرة ابن حضير:

ولا يفوتنا الإلماح: إلى أن عيينة بن حصن يمد رجليه بين يدي رسول

الله ولا يزجره النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أحد من الصحابة الحاضرين ولا حتى عمر بن الخطاب، ولا أبو بكر، اللذين لم نسمع لهما ذكراً في هذه القضية ولا في غيرها إلا في مواقع ما كنا نحب أن نراهما فيها.

والأهم من ذلك: أن علياً «عليه السلام» أيضاً لا يعترض، ويبقى الجميع ينتظرون قدوم أسيد بن حضير ليقف هو فقط ذلك الموقف الغيور والنبيل والشجاع. حتى إنه يتهدد عيينة بأن ينفذ جنبه بهذا الرمح لولا احترامه مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولا بد من تسطير الفضائل لأسيد هذا؛ لأنه من المهاجمين لبيت فاطمة «عليها السلام»، ومن موطدي الأمر لأبي بكر، والقائمين به، لما بينهما من قرابة، ولأمور أخرى لا مجال للإفاضة فيها الآن.

١٢ـ فأسكت رسول الله ﷺ:

والأكثر غرابة هنا: ما ذكره الواقدي في هذا السياق من جرأة على مقام النبوة الأقدس، حين ذكر: أنه بعد أن قال أسيد بن حضير ما قال «فأسكت رسول الله».

يا لها من جرأة قاسية، وإهانة وقحة لنبي الإسلام «صلى الله عليه وآله»، من قبل أناس لا يرون إلا مصالحهم، ولا يهمهم إلا تمشية سياساتهم، حتى ولو على حساب كل القيم والمثل الإسلامية والإنسانية.

هذا كله: عدا عن ظهور نبرات فيها ظلال ثقيلة من الاعتداد بالنفس والتحدي في كلمات أسيد في مواجهة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله». فراجع كلماته وتأمل.

هذا ما أحببنا الإلماح إليه في هذا المجال، ولننظر الآن ماذا يقول الآخرون الذين يهتمون بالتبرير، ويبرعون في التصوير، فنقول:

المساس بشرف الإسلام:

قد حاول البعض شرح ما جرى، بطريقته الخاصة، فهو يقول: «على الرغم من المجاعة التى قاساها المسلمون، والضيق الذي ألم بهم من جراء الحصار المتطاول، والسهر والحراسة الموصولين، فقد رأوا أن في القبول بمثل هذا الذل جرحاً لكرامتهم.

وقال الأنصار الذين عنتهم هذه المساومة المقترحة مباشرة: إنهم لم يدفعوا أي جزية إليهم حتى في الجاهلية، فكيف يطيقون الإذعان لهم، خاصة وأن في الأمر مساساً بشرف الإسلام نفسه»[1].

وليت شعري كيف يقدم النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» على أمر فيه مساس بشرف الإسلام؟! إلا أن يكون «صلى الله عليه وآله» لم يدرك أن الأمر ينطوي على المخاطرة بهذا الشرف الراسخ، والعز الباذخ؟! أو أن شرف الإسلام لم يكن يعنيه كثيراً، وكان يعنيهم هم وحدهم دونه؟!

إستفادات وتوجيهات:

١ ـ لقد استفادوا من هذا الحدث فوائد وعوائد، **فقد قال أبو زهرة:** «قد أفاد عرض الصلح أمرين عظيمين:

أولهما: أن النبي «صلى الله عليه وآله» علم عزمة أصحابه، وأنهم

---

(١) حياة محمد ورسالته ص١٦٨.

يريدون لقاءهم.

ثانيهما: أن ذلك أطمع غطفان ومن معها من القبائل، والطمع إذا سكن حل العزيمة، وقد ترتب على ذلك الإطماع أنهم تململوا بطول الحصار، وجرى بينهم وبين القرشيين خلاف، وهموا أن يعودوا من حيث جاؤوا»[1].

وقال: «إن ذلك يثير طمعهم، ويفت في عضدهم، وإن كان أمر الصلح لم يبت فيه، ولكن بابه مفتوح ولم يغلق»[2].

وقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد «أن يخذل المشركين بعضهم عن بعض بإثارة الطمع في بعضهم، فيتخلون عن باقيهم»[3].

ولعل هذا هو ما يرمي إليه البعض، حين اعتبر أن هذا الصلح يهدف إلى «صرفهم عن قريش، ليفت ذلك في عضدهم، فيرجعوا أيضاً».

«وقد تجلت حنكته السياسية في مساومته غطفان لزلزلتها عن موقفها إلى جانب قريش»[4].

وقال: «لما فاوض الرسول «صلى الله عليه وآله» غطفان، وأطمعهم في ثلث غلة المدينة، ثم عدل عن ذلك، ورفضه، توهمت غطفان: أن مركزه قد تحسن، وأنه مقبل على حرب الأحزاب وإجلائهم.

ومما زاد هذا الوهم تحقق غطفان من عدول بني قريظة عن مناصرة الأحزاب، وعزمها على تقديم سادات قريش وغطفان إلى الرسول

---

(١) خاتم النبيين ص٩٣٣.

(٢) خاتم النبيين ص٩٣٦.

(٣) خاتم النبيين ص٩٣٢.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي ج١ ص١١٩ و ١٢٠.

ليقتلهم»[1].

وثمة هدف آخر له «صلى الله عليه وآله» وهو: أنه كان يريد أن يطمئن إلى ما يتمتع به أصحابه من قوة معنوية واعتماد على نصر الله وتوفيقه؛ لأنه لم يكن يحب أن يسوق أصحابه إلى حرب أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة لخوضها، أو لا يؤمنون بجدواها، ولذلك عرض عليهم رأيه، وأبلغهم أنه ليس تبليغاً من الله تعالى[2].

وبعد أن ذكر البعض: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان «يعرف حق المعرفة: أن دوافع غطفان للغزو هي مادية قبل أي شيء آخر»[3].

قال: «وقد حققت هذه المناورة السياسية أغراضها على الرغم من أنها لم تنته إلى اتفاق مكتوب كما علمنا، ذلك أن كل المصادر التاريخية تُجمِع: أنه لم يكن لغطفان أي دور عسكري بعد هذه المقابلة التي أكدت لهم إصرار رجال الثورة الإسلامية على القتال في سبيل عقيدتهم. ولكنهم ظلوا مرابطين في معسكراتهم حتى أمرهم القائد أبو سفيان بالانسحاب وفك الحصار»[4].

٢ ـ وأما بالنسبة للدلالات لهذا الحدث، فهم يقولون:

ألف: إنها محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه[5].

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج١ ص١٢٠ هامش.

(٢) فقه السيرة للبوطي ٣٠٠ و ٣٠١.

(٣) الرسول العربي وفن الحرب ص٢٤٦.

(٤) المصدر السابق ص٢٤٨.

(٥) فقه السيرة للبوطي ص٣٠٠ و ٣٠٢.

ب: إنها تدل أيضاً على: «جواز إعطاء المال للعدو لمصلحة المسلمين.

وقد صالح معاوية ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بمال دفعه إليه، ذكره أبو عبيدة».

قال السهيلي: قيل: كان مئة ألف دينار[1].

ج: وزعم البعض: أن هذا الحدث يدل على أنه يجب على المسلمين أن يدفعوا الجزية إلى غير المسلمين إذا اقتضت الحاجة. وعلى جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم وقد ناقش ذلك البعض بما حاصله:

أولاً: إن الرأي المعروض للاستشارة، لا يعتبر دليلاً تشريعياً لأن المقصود بالاستشارة مجرد استطلاع ما في النفوس، فهي ممارسة لعمل تربوي بحت. والذي يحتج به من تصرفاته «صلى الله عليه وآله» وأقواله هو خصوص ما لم يرد اعتراض عليه من كتاب الله تعالى. أما ما كان في حدود الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلاً بحال.

ثانياً: «لسنا ندري ما الصلة بين الجزية، وما يمكن أن يتصالح عليه فريقان متحاربان.

إن قلت: إن اضطر المسلمون ـ بسبب ضعف طارئ ـ إلى التخلي عن بعض أموالهم حفظاً لحياتهم، وحذراً من استئصال شأفة المسلمين، أليس لهم أن يفعلوا ذلك؟!

---

(١) شرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ عن البغوي. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٥ والروض الأنف ج٣ ص٢٧٨.

فالجواب: أن قد تستلب أموال المسلمين، ويغنمها أعداؤهم ولكن ليس ذلك عن اختيار من المسلمين، ولا لأجل تشريع ذلك فتوائياً، وإنما هو إلجاء وإكراه لهم. والأحكام الشرعية لا يخاطب بها المكره، ولا الملجأ، ولا الصبي ولا المجنون.

فهذه الحالة التي هي من وراء حدود التكليف لا ينتزع فيها حكم تكليفي، يختار على أساس الرأي والمصلحة والمراوضة»[1].

هذا ما ذكره ذلك البعض هنا، ولنا فيه ومعه مناقشات ووقفات نجملها في النقاط التالية:

مناقشة سريعة:

ألف: قول أبي زهرة: إن إطماع غطفان نشأ عنه تململهم بطول الحصار، لا ندري كيف نفهمه، إذ ما هو الربط بين إطماعهم، وبين تململهم؟

ب: كما أن ما ذكره من حدوث خلافات بين قريش وبين غطفان لا ندري من أين جاء به، وعن أي مصدر نقل ذلك؟!

ج: هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» جاهلاً بعزمة أصحابه، وبمقدار استعدادهم للقاء عدوهم؟ إن ما لدينا من وصف دقيق لحالتهم، ومن نصوص سجلت لنا مواقفهم وتصرفاتهم لا تترك مجالاً للشك في حقيقة النوايا، ودرجة الاستعداد عندهم للقاء عدوهم، سلباً أو إيجاباً. ولا في مستوى القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله لدى أصحابه.

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص٣٠٠ ـ ٣٠٢.

د: ما معنى قوله: إن أمر الصلح لم يبت فيه، وبابه مفتوح لم يغلق؟ ألم يغلق السعدان باب هذا الصلح.. وبتًّا الأمر فيه؟!

هـ: لا ندري كيف توهمت غطفان أن مركز النبي قد تحسن حين عدل عن الصلح؟ وهم قد رأوا بأم أعينهم سبب العدول عن الصلح، وأنها ضغوط تعرض لها، ورفض من أصحاب الثمار أنفسهم، ولم يطرأ أي شيء على الحالة العسكرية، ولا على التحالفات القائمة بين الفرقاء من كلا الجانبين..

فكيف تتوهم غطفان أن مركز النبي «صلى الله عليه وآله» قد تحسن إلى درجة أنه مقدم على حرب الأحزاب وإجلائهم؟

و: وأما أن هذه المناورة قد جعلت غطفان تحجم عن الاضطلاع بأي دور عسكري خوفاً من مقاومة المسلمين، ولكنهم ظلوا في معسكراتهم حتى أمرهم أبو سفيان بالانسحاب. فهو كلام عجيب غريب. فإن دور غطفان العسكري لا يقل عن دور غيرها فالكل يحاصرون المسلمين، والكل يتناوبون على الخندق.

وسيأتي حديث أم سلمة عن هجوم خيل غطفان على بعض نواحي الخندق، وأن غطفان قد شاركت في الهجوم الشامل على المسلمين الذي فوت على المسلمين بعض صلواتهم كما سيأتي..

ز: الشورى فيما لا نص فيه: وأما بالنسبة للشورى فيما لا نص فيه، فلا يصح استفادتها من هذا المورد.

إذ إن المفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قضى في المورد بالصلح، فما معنى اعتراض أسيد بن حضير عليه، ونقض ما كان قد أبرمه؟!

ثم إن مبدأ الشورى إنما يعمل به قبل اتخاذ القرار، فما معنى أن يستشير النبي «صلى الله عليه وآله» بعد اتخاذه القرار، واستقدام عيينة وأصحابه؟!

ح: ولا يصغى بعد هذا لما ذكره البوطي، من أن ما صدر من النبي لم يخرج عن حدود الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلاً تشريعياً على جواز إعطاء الجزية للمشركين.

فإن ما صدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أكثر من مجرد استشارة في هذا الأمر، بل قد تعداه إلى استقدام عيينة، ثم استدعاء عثمان وكتابة الكتاب.

ط: وأما بالنسبة لغنيمة الأعداء لأموال المسلمين بسبب ضعف طارئ، فإن ذلك لا يغير الحال، بل يبقى عنوان غنيمة أموال المسلمين بالكره عنهم.

ولو اضطروا لإعطاء الجزية، فإن إكراههم على ذلك لا يرفع عنوان الجزية عن إعطائهم ذاك. بل هي جزية سواء كان من يعطيها مختاراً أو مضطراً لأجل الحفاظ على وجوده وحياته.

ي: ثم إن البوطي قد خلط بين المكره والمضطر، فإن الاضطرار إلى شيء لا يرفع الحكم التكليفي، والإكراه غير الاضطرار. فطلاق المكره وهو الذي تخضع إرادته لإرادة الغير، لا يصح. أما طلاق المضطر، وبيعه، فلا إشكال فيه، كمن اضطر لبيع بيته بثمن زهيد لأجل علاج ولده.

فالخلط بين المكره والمضطر في غير محله..

المشورة وقيمة رأي النبي ﷺ:

قال المعتزلي: «وكيف يقول المرتضى: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن محتاجاً إلى رأي أحد، وقد نقل الناس كلهم رجوعه من رأي إلى رأي عند

المشورة؟ نحو ما جرى يوم بدر من تغير المنزل لما أشار عليه الحباب بن المنذر، ونحو ما جرى يوم الخندق من فسخ رأيه في دفع ثلث تمر المدينة إلى عيينة بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم؛ لأجل ما رآه سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة من الحرب، والعدول عن الصلح، ونحو ما جرى من تلقيح النخل بالمدينة، وغير ذلك»؟![1].

ونقل عن الإسكافي في رده على الجاحظ قوله: «ولقد كان أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في مصانعته الأحزاب بثلث تمر المدينة، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه وهذه كانت قاعدتهم معه، وعادته بينهم»[2].

ونقول:

وقد ناقشنا في كل ما استشهد به المعتزلي والإسكافي حول تغيير رأي النبي «صلى الله عليه وآله»، وخطإه في آرائه في قصة تأبير النخل، ثم قصة مشورة الحباب في بدر فراجع. وقصة عيينة في الخندق قد ظهر عدم إمكان قبولها بأي وجه، فلا معنى لاعتراض المعتزلي على السيد المرتضى فيما قاله.

الصحيح والمقبول في هذه القضية:

ولا نمنع أن يكون ثمة عمل دبره النبي «صلى الله عليه وآله» من خلال إطلاق إشاعة عن أمر كهذا، من شأنها أن تحدث فجوة في جدار الثقة الذي

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي ج١٧ ص١٩٩.

(٢) المصدر السابق ج١٣ ص٢٦٠.

يحمي جسم جيش الشرك وصفوفه من التصدع، تماماً كما كان الحال بالنسبة لما فعله «صلى الله عليه وآله» بين قريظة وقريش وجيش الشرك كما سيأتي.

ولم يتعدّ الأمر حدّ الشائعة، التي يمكن للمسلمين أن يتفهموا مراميها. ولكن الرواة حرَّفوا هذه القضية ونسجوا حولها من خيالهم الشيء الكثير، ثم استفاد المصطادون في الماء العكر من ذلك، فنفثوا سمومهم للنيل من الشخصية النبوية الشريفة، ثم لتبرير ما صدر من معاوية من عمل ذليل مخز، حين قَبِلَ أن يعطي ملك الروم مئة ألف دينار ذهباً، كي يتفرغ لحرب سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بهدف الإجهاز على آخر حصون الإسلام المنيعة، وإعادة حكم الجاهلية.

بل لقد وجدنا في كلمات الزبير بن باطا ما يشهد على أن غطفان هي التي أرسلت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تعرض عليه أن يعطيها بعض ثمار المدينة مقابل الإنسحاب من المواجهة معه، فأبى «صلى الله عليه وآله» أن يعطيها إلا السيف.

يقول الزبير بن باطا وهو يحاول إقناع أصحابه بعدم طلب الرهن من قريش: «وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة فأبى أن يعطيهم إلا السيف»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص٥٤٣ و ٥٤٤.

الباب الثاني

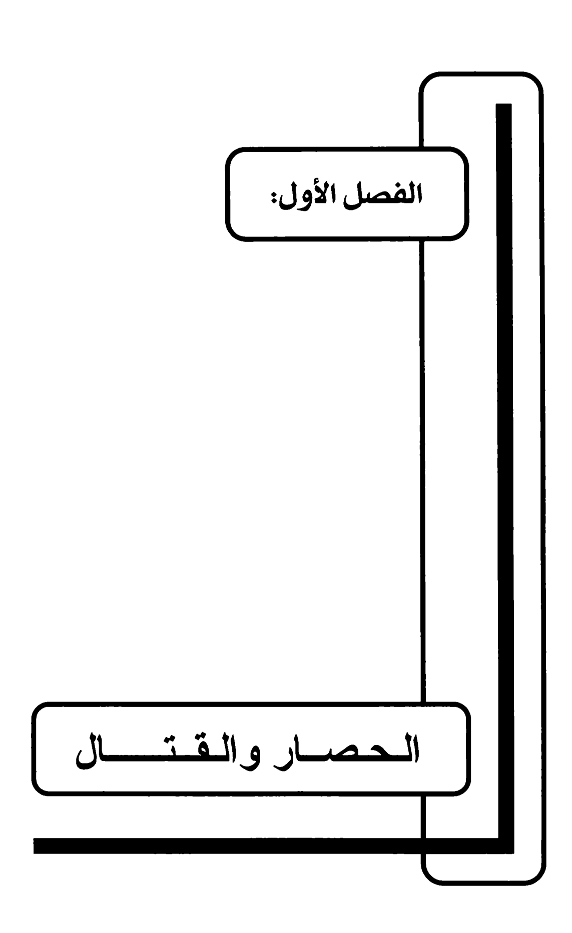
معـــركـــة الـــخـــنـــدق

الفصل الأول: الحصار والقتال

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين

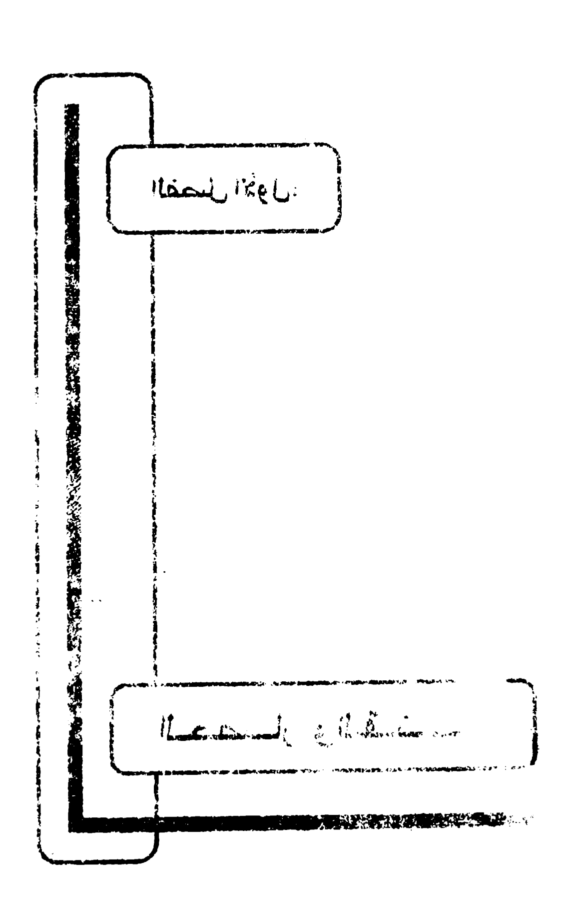
الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق

الباب الثاني



الفصل الأول:

الحصار والقتال


الفصل الأول:

بداية الحديث:

من الواضح: أن وجود الخندق قد أفشل خطة الأحزاب، وشل حركتهم، ولكنهم لم يفقدوا الأمل، فقد كان الأمل لا يزال يراودهم بإمكانية أن يجدوا فرصة، ويحدثوا ثغرة تمكنهم من توجيه ضربة قاسية للوجود الإسلامي، ولو بالتعاون مع يهود بني قريظة، الذين يتواجدون في مؤخرة الجيش الإسلامي، مع علم المشركين بالحالة الصعبة التي كان يعاني منها المسلمون خصوصاً من حيث التموين ووسائل الدفاع والصمود، مع وجود المنافقين الذين يمكن التعاون مع بعضهم أيضاً لإحداث إرباكات خطيرة داخل الجيش الإسلامي.

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن معنويات كلا الجيشين بالإضافة إلى موضوعات أخرى، ونتحدث الآن عن الحصار، وعن بعض الأحداث التي حصلت فيه، فنقول، وعلى الله نتوكل، ومنه نستمد العون والقوة:

مدة الحصار:

قد تقدم: أن المشركين أحاطوا بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبه، وأخذوا بكل ناحية[1]. وقد استمر هذا الحصار مدة طويلة.

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٩.

اختلف فيها المؤرخون وهل كانت خمسة عشر يوماً[1]

أو عشرين يوماً[2].

أو أكثر من عشرين يوماً[3].

أو شهراً[4].

---

(١) راجع: شذرات الذهب ج١ ص١١ والتنبيه والإشراف ص٢١٦ وراجع سيرة مغلطاي ص٥٦ ومرآة الجنان ج١ ص٩ و ١٠ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ وبه جزم الواقدي، وابن سعد، والبلاذري، والنووي في الروضة والقطب، وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ وراجع: بهجة المحافل ج١ ص٢٧١ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٥ والبحار ج٢٠ ص٢٢٨ عنه والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٤٠ و ٤٩١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢.

(٢) وفاء الوفاء ج١ ص٣٠١ عن ابن عقبة وراجع: فتح الباري ج٧ ص٣٠١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ و ٤٩٠ و ٤٩٢ وحبيب السير ج١ ص٣٦٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ والمغازي للواقدي ج١ ص٤١٩.

(٣) راجع هذا القول في: شذرات الذهب ج١ ص١١ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ وفيه: بضع وعشرون. وكذا في إعلام الورى ص٩١ وكذا في مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ ومرآة الجنان ج١ ص١٠ لكن ظاهر عدد منهم: أنهم يتكلمون عن مدة ما قبل قتل عمرو بن عبد ود وكذا في مجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ و ٢٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٠٩.

(٤) التنبيه والإشراف ص٢١٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ قسم ٢ ص٣٠ لكنه قال: ولم تكن حرب وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ وزاد المعاد ج٢ ص١١٨.

أو قريباً من شهر[1].

أو تسعة وعشرين ليلة[2].

وقيل: سبعة وعشرين[3].

ولعل أحدهما: (السبعة، والتسعة) تصحيف للآخر، فلا يخالفه.

وبعض آخر يقول: أربعة وعشرين يوماً[4].

ونذكر أخيراً قول من قال: بضع عشرة ليلة أو يوماً[5].

---

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ قسم ٢ ص٣٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ و ٤٩٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ وحدائق الأنوار ج١ ص٥٢ وج ٢ ص٥٨٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٥ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧١ وجوامع السيرة النبوية ص١٤٩ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٥ وراجع سعد السعود ص١٣٨.

(٢) البدء والتاريخ ج٤ ص٢١٧.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ و ٤٩٢.

(٤) سيرة مغلطاي ص٥٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ والوفاء ص٦٩٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ و ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ وراجع: المواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وحبيب السير ج١ ص٣٦٤.

(٥) راجع: الوفاء ص٦٩٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٨. وراجع: ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ والإرشاد للمفيد ص٥١ وتاريخ مختصر الدول ص٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٩١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٠ =

ونقول:

الصحيح هو: أن الحصار قد دام شهراً كاملاً بل أكثر، فقد قال ضرار بن الخطاب يوم الخندق في جملة أبيات له:

فأحجرناهم[1] شهراً كريتاً[2] وكنا فوقهم كالقاهرينا

نراوحهم ونغدو كل يوم عليهم في السلاح مدججينا[3]

بل لقد ذكر عبد الله بن الزبعرى: أن مدة الحصار قد دامت أكثر من شهر، وبلغت أربعين يوماً، فهو يقول:

حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل مجرب قضاب

شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابُه في الحرب خير صحاب[4]

إذن، فلا يمكن قبول قولهم: إن الحصار دام مدة خمسة عشر يوماً، أو عشرين أو بضع عشرة ليلة، أو ما إلى ذلك.

= وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠١ وتاريخ الإسلام للذهبي (الواقدي) ص٢٣٨. إلا أن يقال: إن ذلك ناظر إلى فترة ما قبل المفاوضة على ثلث ثمار المدينة، أو ما قبل قتل عمرو بن عبد ود كما هو صريح عدد من المصادر الآنفة الذكر. وإن كان ظاهر الواقدي وغيره خلاف ذلك.

(١) أحجرناهم: حصرناهم.

(٢) وشهراً كريتاً: تاماً كاملاً.

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٦٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٩ وعيون الأثر ج٢ ص٦٦.

الحراسة:

وقد كانت الحراسة المستمرة واليقظة الدائمة من الأمور الضرورية، وكان المسلمون يقومون بها باستمرار، وكانت حراستهم تتركز على الأمور الرئيسية بالدرجة الأولى، وهي:

١ ـ مركز القيادة: النبي «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ العسكر.

٣ ـ الخندق.

٤ ـ المدينة.

٥ ـ الرصد لتحركات العدو.

٦ ـ النساء والذراري وتعاهدهم في الآطام.

٧ ـ أبواب الخندق.

وقد ذكرت هذه الأمور وغيرها من تفاصيل في النصوص التاريخية، والحديثية، التي نختار منها ما يلي:

ألف: قال النويري وغيره: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبعث سلمة بن أسلم في ماءتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير. وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع غيره من الأنصار، يحرسونه كل ليلة»[1].

---

(١) نهاية الأرب ج١٧ ص١٧١ و ١٧٢، وراجع المصادر التالية: عيون الأثر ج٢ ص٥٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٠ والسيرة=

وكانت المدينة تحرس حتى الصباح، يسمع فيها التكبير حتى يصبحوا خوفاً[1].

ب: وفي بعض المصادر: «وجعل المسلمون يتحارسون في عسكرهم»[2]

ج: وقال النويري: «ورسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون وجاه العدو، لا يزولون، يعتقبون خندقهم ويحرسونه، والمشركون يتناوبون الخ..»[3].

ويفصل لنا الواقدي ذلك، فيقول: إن المسلمين كانوا «على خندقهم يتناوبون، معهم بضعة وثلاثون فرساً، والفرسان يطوفون على الخندق ما بين طرفيه، يتعاهدون رجالاً وضعوهم في مواضع منه إلى أن جاء عمر (رض) فقال: يا رسول الله، بلغني أن بني قريظة قد نقضت الخ..»[4].

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد جعل للخندق أبواباً، وجعل على الأبواب حرساً.

وقال الواقدي: «كانوا يطيفون بالليل حتى الصباح يتناوبون. وكذلك يفعل المشركون أيضاً، يطيفون بالخندق حتى يصبحوا»[5].

= الحلبية ج٢ ص٣١٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤ و ٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٨.

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٧.

(٢) أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٣.

(٣) نهاية الأرب ج١٧ ص١٧١ و ١٧٢ وعيون الأثر ج٢ ص٥٨.

(٤) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٥٧.

(٥) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٤.

«ورسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم يحرسونه»[١].

وأسيد بن حضير كان يحرس في جماعة على الخندق أيضاً[٢].

د: وتقول عائشة: «كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه إذ أعجلهم الحال، وكان يخاف عليه عبور الأعداء منه، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يختلف ويحرسه بنفسه. ثم تذكر قصة حراسة سعد بن أبي وقاص لذلك الموضع في تلك الليلة[٣].

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه في الليالي يحرس بعض مواضع الخندق[٤].

وسيأتي حديث أم سلمة في ذلك في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

هـ: وكان عباد بن بشر ـ كما يدَّعون ـ ألزم الناس لقبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحرسها[٥]. وذكروا الزبير بن العوام في جملة من حرس النبي

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٨.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ وستأتي بقية المصادر حين الحديث عن القتال، وتناوب المشركين على الخندق.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ و ٤٨٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٩ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٤.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ وتقدم حديث عائشة في ذلك.

(٥) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٤.

«صلى الله عليه وآله» يوم الخندق[1].

بل جاء أن عباد بن بشر، والزبير بن العوام كانا على حرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وقد ظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن المسلمين كانوا يتناوبون الحراسة[3] أو حراسة نبيِّهم[4].

و: كان بنو واقف قد جعلوا ذراريهم ونساءهم في أطمهم وكانوا يتعاهدون أهليهم بأنصاف النهار، فينهاهم النبي «صلى الله عليه وآله» فإذا ألحُّوا أمرهم «صلى الله عليه وآله» أن يأخذوا السلاح، خوفاً عليهم من بني قريظة فإنهم على طريقهم»[5].

وكان كل من يذهب منهم إنما يسلكون على سلع، حتى يدخلوا المدينة، ثم يذهبون إلى العالية[6].

وقال «صلى الله عليه وآله» للنساء حين جعلهن في أطم بني حارثة: «إن

---

(١) عيون الأثر ج٢ ص٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٦٣ وقد أطلق كلامه في أن الزبير كان حارس النبي «صلى الله عليه وآله» في الخندق وكذا في السيرة الحلبية ج٣ ص٣٢٧ والمواهب اللدنية ج١ ص٢١٧ والغدير ج٧ ص٢٠٢ عنهما وعن عيون الأثر ج٢ ص٣١٦ وشرح المواهب للزرقاني ج٣ ص٢٠٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٩.

(٣) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ وتقدمت نصوص أخرى أيضاً.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٥.

(٥) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٥١ و ٤٧٤ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٤.

(٦) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٤.

لم يكن أحد فالمعن بالسيف»[1].

ز: حراسة العسكر ورصد العدو: أما بالنسبة لحراسة العسكر ورصد تحركات العدو، فإن القمي يقول: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» يجوز الخندق، ويصير إلى قرب قريش، حيث يراهم، فلا يزال الليل كله، قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه.

ومسجد أمير المؤمنين «عليه السلام» هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة[2]»[3].

وقفات مع ما تقدم:

ونقول:

إن الحذر من العدو، وسد المنافذ في وجهه، وحرمانه من فرصة تسديد ضربة هنا وضربة هناك، بهدف إرباك صفوف الجيش الإسلامي، أو إحداث ثغرات خطيرة فيه، وهو الذي كان بأمس الحاجة إلى التماسك والتقوي ببعضه البعض ـ إن ذاك ـ هو أولى مهمات القيادة الحكيمة والواعية، التي تريد أن تصل إلى أهدافها بأقل قدر ممكن من الخسائر، وأعلى درجة من الانضباطية والانسجام.

---

(١) وفاء الوفاء ج١ ص٣٠١ عن الطبراني، وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩.

(٢) غلوة نشابة: مقدار رمية سهم.

(٣) تفسير القمي ج٢ ص١٨٦ والبحار ج٢٠ ص٢٣٠ عنه.

ومن الواضح: أن الأساليب الأمنية التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» ينتهجها كانت ولا تزال كسائر أفعاله، وأقواله، ومواقفه مصدر إلهام لكل المؤمنين والواعين، الذين رأوا في هذا النبي الكريم أسوة وقدوة لهم. في كل الحالات والظروف.

وقد تمثل النشاط الأمني للمسلمين في غزوة الأحزاب ـ بعد إيجاد الموانع الطبيعية، التي يصعب على العدو اختراقها مثل حفر الخندق، وتشبيك سائر المنافذ بالبنيان ـ في الأمور التالية:

١ ـ جعل الحرس على أبواب الخندق، بطريقة يصعب على العدو إيجاد مواضع نفوذ فيها، حين جعل الحرس من فئات شتى، ومتنافسة يرقب بعضهم بعضاً، حيث اختار من كل قبيلة رجلاً لهذه المهمة، كما تقدم بيانه.

٢ ـ إن من الواضح: أن جعل الحرس في نقاط ثابتة ربما يهيئ للعدو فرصة للتخطيط للنفوذ إلى الداخل، بطريقة يتحاشى معها الصدام بنقاط الحراسة، أو حتى إمكانية التفاتها إلى حقيقة ما يجري فكانت الطريقة الأفضل والأمثل هي أن تنضم إليها دوريات للحراسة غير خاضعة لقيد الزمان ولا المكان. الأمر الذي يضيع على العدو الإحساس بالأمن والنجاح والفلاح في أية محاولة يبادر إليها، ويقدم عليها. فكان «صلى الله عليه وآله» يبعث بالحرس على المدينة خوفاً من بني قريظة، وكانوا يتجولون فيها، ويظهرون فيها التكبير.

٣ ـ بديهي أن التعرض للنساء يمثل ضربة روحية قاسية للمسلمين والمقاتلين، الذي قد يصل إلى درجة الإحباط لدى البعض، ويدفع البعض الآخر إلى التحرك بصورة غير واعية، ولا مسؤولة، الأمر الذي يؤثر على درجة

الانضباط والتماسك. والنبي «صلى الله عليه وآله» يعرف: أن العدو لن يتأخر عن تسديد ضربة في هذا الاتجاه لو سنحت له الفرصة، ويعتبر ذلك من الأهداف الإستراتيجية والهامة له. فكان تجميع النساء والأطفال في الآطام من شأنه أن يسهل أمر حمايتهم من أي اعتداء، مع كونه يهيئ للمسلمين جواً من الطمأنينة وتمركزاً في مواضع الاهتمام والتحرك لو دهم أمر.

كما أنه لا بد من الاحتياط للأمر، وعدم الاكتفاء بالحراسة الثابتة والمتنقلة، فوضع فيما بينه وبين النساء رمزاً يمكن الاستفادة منه لإفشال أية محاولة تستهدفهن وحين يرين أن الحالة الأمنية غير مؤاتية، مع عدم وجود أحد يمكن الاعتماد عليه في المواجهة ودفع غائلة العدو.

قال «صلى الله عليه وآله» لهن: «إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف».

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتمد هذا الأسلوب، ولم يطلب منهن الصراخ والاستغاثة ونحوها مما يمثل إثارة عاطفية للمقاتلين والمسلمين، وقد ينشأ عنها حالة من التضعضع والإرباك وانشغال الخواطر إلى درجة الإخلال بالنشاط الحربي المطلوب، في مواجهة أحزاب الشرك في الجهة الأخرى.

٤ ـ وغني عن القول أخيراً: أن بني واقف كانوا يخطئون في ترددهم إلى أهليهم بأنصاف النهار بلا سلاح، وقد يطمع ذلك العدو فيهم، وقد يفاجئهم العدو وهم على غير استعداد فتقع الكارثة.

أضف إلى ذلك: أنه لا بد من الابتعاد عن النساء والأطفال في أيام الحرب، لأن ذلك يثبط من عزائم المقاتلين ويشدهم إلى الأرض ويمنعهم من السمو في تفكيرهم وفي طموحاتهم وتصبح التضحيات واقتحام الأهوال، والصبر على

المكاره أكثر صعوبة عليهم، وأشد وقعاً على نفوسهم، ويهيئهم نفسياً للابتعاد عن مواطن الخطر، أو التعب والضرر، ولو كان ذلك بتوطين أنفسهم على مواجهة عار الهزيمة، وخزي عصيان أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

٥ ـ ونلمح في النص المتقدم إصراراً من بني واقف على زيارة نسائهم وعوائلهم في الأطم الذي كانوا فيه رغم نهي النبي «صلى الله عليه وآله» لهم وربما يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بحمل السلاح يرمي إلى الإيحاء غير المباشر لهم بأجواء الحرب، والاحتفاظ بدرجة من الاستعداد الروحي والنفسي لها، بالإضافة إلى أن ذلك هو مقتضى العمل بالحيطة والحذر، وهما الأمران المطلوبان في ظروف كهذه بصورة أكيدة وقاطعة، ولا أقل من أن ذلك يفيد في نطاق التعليم والتأسي لكل من يأتي بعده «صلى الله عليه وآله».

٦ ـ والأهم من ذلك هو حراسة العسكر، الذي كان يتولاه علي «عليه السلام»، هذا العسكر الذي كان بأمس الحاجة إلى بعض الشعور بالامن والراحة في هذه الأجواء المثقلة بالهموم والشدائد، والمشحونة بالخوف الذي يصل لدى الكثيرين إلى حد الرعب. حتى لقد بلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنون الباطلة والسيئة.

ولقد كانت أدنى حركة في أي موضع في أطراف ذلك العسكر كفيلة بإحداث إرباك خطير في ذلك العسكر كله.

فكانت هذه الحراسة ضرورية لهذا الجيش، الذي يطمئن إلى أنه لن يؤخذ والحال هذه على حين غرة، بل هناك من يبصر له وينذره في الوقت المناسب.

٧ ـ وكان لا بد من رصد جيش الأعداء أيضاً، لأن حراسة المعسكر،

وإن كانت تعطي قدرة إلى حد ما على التصدي، إلا أن معرفة تحركات العدو، وحجمها، واتجاهها في وقت مبكر يعطي هو الآخر، فرصة أكبر من مواجهته بالأساليب وبالمستوى الملائم، ويمنع من العجلة والتشويش في اتخاذ الإجراءات المؤثرة في دفع غائلة هذا العدو.

وكان علي «عليه السلام»، يقوم بدور الراصد لكل تحركات الأعداء، وكان هو العين الساهرة في المواقع المتقدمة في خط المواجهة، التي لم يكن يجرؤ عليها أحد سواه، كما ظهر من تجربة المسلمين مع عمرو بن عبد ود.

٨ ـ وبعد، فرغم أن الله قد وفق لبقاء المسجد الذي يشهد لجهاد وتضحيات علي «عليه السلام»، وكان هذا المسجد معروفاً، ويقصده المؤمنون للصلاة فيه، فإننا لا نكاد نجد لعلي «عليه السلام» ذكراً في هذا المجال.

ولا ندري إن كان هذا المسجد قد استطاع أن يصمد طويلاً أمام حقد الحاقدين على كل ما يمت لعلي وأهل بيته «عليهم السلام» بصلة، حتى انتهى ميراث هذا التجلي الوقح والغبي إلى من يطلق عليهم اسم: الوهابيين الذين لا تزال تظهر في كلماتهم وفي أفعالهم بوادر كثيرة تدل على حقد وكراهية وامتهان، ليس فقط لقدسية علي وأهل البيت «عليهم السلام»، بل وحتى لمقام النبوة الأقدس بالذات.

وقد أسلفنا بعضاً مما يشير إلى ذلك: في الجزء الأول من هذا الكتاب، ولا بأس بمراجعة الجزء الثالث من كتابنا: «**دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام**»، وبحث: «**إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم**».

فضائل موهومة لسعد ولعائشة:

رووا عن عائشة ما ملخصه: أنه كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، إذ أعجلهم الحال، وكان «صلى الله عليه وآله» يختلف إليه ويحرسه بنفسه، خوفاً من عبور المشركين منه.

ورجع مرة من الخندق، وكانت تدفئه عائشة في حضنها، فإذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة.

قالت: فبينا رسول الله في حضني قد دفئ، وهو يقول: ليت رجلاً صالحاً يحرس الليلة هذا الموضع (أو قال: يحرسني، أو: يحرس هذه الثلمة الليلة)، إذ سمع قعقعة السلاح، فقال: من هذا؟!

قال: سعد بن أبي وقاص.

فأمره أن يحرس هذا الموضع: فذهب سعد يحرسه، فنام النبي «صلى الله عليه وآله» حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ[1].

ونقول:

إننا نشك في صحة هذه القصة، ونعتقد أن المقصود بها هو تسجيل فضيلة لسعد، ولعائشة على حد سواء، وسبب شكنا هو ما يلي:

أولاً: إذا كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، فلماذا لا يبادرون إلى ضبطه، وما المبرر لأن يترك ليكون مصدر خوف للمسلمين من عبور

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤ و ٤٨٥. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٩ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٩ و ٢٣٠.

المشركين منه؟!

مع أن سلمان حين رأى مكاناً يمكن أن تطفره الخيل، قال لأسيد بن حضير، بعد أن ردوا عمرو بن العاص الذي كان في حوالي مئة رجل يريدون العبور من ذلك الموضع، قال سلمان لأسيد: «إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم، وكـان الناس عجلوا في حفره، وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق، وأمنوا أن تطفره خيلهم»[1].

فلماذا يبادر سلمان للأمر بإصلاح ذلك الموضع، فيتم ما أراده في ليلة، ولا يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مثل ذلك؟!.

ثانياً: لماذا يتمنى «صلى الله عليه وآله»: «أن يأتي رجل صالح ليحرس ذلك الموضع في تلك الليلة»؟ ألم يكن بإمكانه أن يأمر جماعته بحراسة ذلك الموضع؟! والناس كلهم تحت أمره، ورهن إشارته؟!.

ثالثاً: حين كان يرجع إلى عائشة لتدفئه في حضنها!! من الذي كان يحرس تلك الثلمة؟! فلو أن العدو استطاع أن يتسلل منها في ذلك الوقت ألم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي فرَّط في هذا الأمر، وتسبب به؟!.

ولا نريد أن نسجل تحفظنا على دعوى: أن عائشة كانت تدفئ النبي «صلى الله عليه وآله» في حضنها!!.

ولا على حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ!!

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠.

نساء النبي ﷺ في غزوة الخندق:

يقول البعض: «كان النبي يعقب بين نسائه، فتكون عائشة أياماً، ثم تكون أم سلمة، ثم تكون زينب بنت جحش. فكان هؤلاء الثلاث اللاتي يعقب بينهن في الخندق. وسائر نسائه في أطم بني حارثة، ويقال: كن في «المسير» (النسر) أطم في بني زريق، وكان حصناً، ويقال: كان بعضهن في فارع، وكل هذا قد سمعنا»[1].

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك:

أولاً: لقد صرحت أم سلمة بقولها: «كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الخندق فلم أفارق مقامه كله، وكان يحرس الخ..»[2].

ثانياً: لا يمكننا أن نقبل بأن يصدر من النبي «صلى الله عليه وآله» ترجيح وميل لبعض زوجاته على حساب البعض الآخر، إذ لماذا يعقب بين خصوص هؤلاء: دون سائر زوجاته، ولم نسمع أن إحداهن تنازلت عن حقها لرفيقاتها في غزوة الخندق، وإن كان ذلك محتملاً في حد ذاته.

والذي نظنه: أنه لو صح حديث ذلك البعض، فالسبب في ذلك هو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن عنده سوى هؤلاء الثلاث، بالإضافة إلى سودة بنت زمعة، التي كانت مسنة، وكانت قد وهبت ليلتها إلى عائشة. فلا بد من

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٥٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥١٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٤.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٤.

مراجعة تاريخ زواجه «صلى الله عليه وآله» بزوجاته.

ونظن أن النتيجة ستكون هي ما ذكرناه، فمن أراد التوسع فعليه أن يقوم بذلك.

المواجهة بين الفريقين:

«وأمر رسول الله صلوات الله عليه وآله المسلمين بالثبات في مكانهم، ولزوم خندقهم.. ونظر المشركون إلى الخندق فتهيبوا القدوم عليه، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم، وخيلهم، ورجلهم، ويدعون المسلمين: ألا هلم للقتال والمبارزة.

فلا يجيبهم أحد إلى ذلك، ولا يرد عليهم فيه شيئاً. ولزموا مواضعهم كما أمرهم رسول الله «صلوات الله عليه وآله»، قد عسكروا في الخندق، وأظهروا العدة، ولبسوا السلاح، ووقفوا في مواقفهم. وتهيَّب المشركون أن يلجوا الخندق عليهم. فلما طال ذلك، ونفذت أكثر أزوادهم، اجتمعوا الخ..»[1].

ثم يذكر ما جرى لعمرو بن عبد ود.

القتال بين المسلمين والمشركين:

تقول النصوص التاريخية:

«وصار المشركون يتناوبون، فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب

---

(١) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٢ ملخصاً.

يـومـاً، فـلا يزالون يجيلون خيلهم، ويفترقـون مـرة، ويجتمعون أخـرى، ويناوشون أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أي يقربون منهم، ويقدمون رجالهم فيرمون.

ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصا»[1].

وذكر البعض: أن ذلك كان في أكثر الأيام[2].

«وكان المشركون يتناوبون الحرب، لكن الله تعالى لم يمكنهم من عبور الخندق، فإن شجعان الصحابة كانوا يمنعونهم بالنبال والأحجار»[3].

واستمر الأمر على ذلك «حتى عظم البلاء، وخاف الناس خوفاً شديداً»[4].

لكن البعض يذكر: أن الحرب كانت «ثلاثة أيام بالرمي بغير مجالدة

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥. وراجع: نهاية الأرب ج١٧ ص١٧١ و ١٧٢ وراجع المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ و ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ و ٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٨ وعيون الأثر ج٢ ص٥٨.

والفقرة الأخيرة موجودة أيضاً في المصادر التالية: تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ والإرشاد للشيخ المفيد ص٥١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ والسيرة النبوية لابن كثيرة ج٣ ص٢٠٠ و ٢٠١ وفتح الباري ج٧ ص٣٠١ و ٣٠٧ عن ابن إسحاق.

(٢) حبيب السير ج١ ص٣٦٣.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤.

(٤) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٨.

ولا مبارزة»[1] سوى ما كان من قتل الفرسان الذين عبروا الخندق.

وكان أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق، فراماهم المسلمون حتى رجعوا[2].

وفي مرة أخرى: كان عمرو بن العاص في نحو الماءة يريدون العبور من الخندق من مكان تطفره الخيل، فراماهم أسيد بن حضير، ومن معه من الحرس بالنبل والحجارة حتى ولوا.

وكان مع المسلمين في تلك الليلة سلمان، فقال لأسيد: إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم. وكان الناس عجلوا في حفره، وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق، وأمنوا أن تطفره خيلهم[3].

«وكان عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرَّة ومضيقاً، من الخندق يقتحمانه، فكان للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي»[4].

وقال ضرار بن الخطاب:

نراوحهم ونغدو كل يوم ... عليهم في السلاح مدججينا[5]

(١) راجع: مرآة الجنان ج١ ص١٠ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٢ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠.

(٤) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٥ السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٢٦.

«ثم إن خالد بن الوليد كرَّ بطائفة من المشركين يطلب غرَّة للمسلمين، أي غفلتهم، فصادف أسيد بن حضير على الخندق في ماءتين من المسلمين، فناوشوهم، أي تقاربوا منهم ساعة، وكان في أولئك المشركين وحشي، قاتل حمزة رضي الله عنه، فزرق[1] الطفيل بن النعمان، فقتله.

ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل، يطمعون في الغارة، أي في الإغارة، فأقام المسلمون في شدة من الخوف»[2].

لكن صاحب تجارب الأمم يقول: تفرق ذلك الجمع من غير قتال إلا ما كان من عدة يسيرة اتفقوا على الهجوم على الخندق، يحكى: أن فيهم عمرو بن عبد ود فقتلوا[3].

إلا أن يكون المراد: أنه لم يكن قتال بالسيوف والرماح، أما الرمي بالنبل والحصا فليس محط نظره.

ملاحظة:

وقبل أن نمضي في الحديث: نلفت نظر القارئ إلى هذا الاهتمام الظاهر بإبراز دور أسيد بن حضير، الذي قلنا: إن السياسة كانت تهتم بشأنه، وتعمل على تكريس وتكديس الفضائل له، مكافأة له على هجومه على بيت فاطمة «عليها السلام»، وقيامه بدور فاعل في تشييد خلافة قريبه أبي بكر.

---

(١) زرق فلاناً: رماي بالمزراق، أي الرمح القصير.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٣.

(٣) تجارب الأمم ج٢ ص١٥٣.

كلام العلامة الحسني رحمه الله:

وذكر العلامة الحسني: أن المشركين ألفوا ثلاث كتائب لمحاربة المسلمين، فأتت كتيبة أبي الأعور السلمي من فوق الوادي، وكتيبة عيينة بن حصن من الجنب، ووقف أبو سفيان ومن معه في الناحية الثانية من الخندق[1].

لكننا قدمنا في فصل: الأحزاب إلى المدينة: أن أبا الأعور لم يكن له أي دور في الخندق، وأن أباه هو الذي شارك فيها.

روايات مشبوهة:

عن محمد بن مسلمة قال: كنا حول قبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» نحرسه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» نائم نسمع غطيطه إذ وافت أفراس على سلع، فبصر بهم عباد بن بشر، فأخبرنا بهم.

قال: فامضِ إلى الخيل.

وقام عباد على باب قبة النبي «صلى الله عليه وآله» آخذاً بقائم السيف ينظرني، فرجعت فقلت: خيل المسلمين أشرفت عليها سلمة بن أسلم بن حريش، فرجعت إلى موضعنا.

ثم يقول محمد بن مسلمة: كان ليلنا بالخندق نهاراً حتى فرجه الله[2].

وعن محمد بن مسلمة: أن خالد بن الوليد تلك الليلة أقبل في مئة فارس، من جهة العقيق حتى وقفوا بالمذاد وجاه قبة النبي «صلى الله عليه

---

(١) سيرة المصطفى ص٤٩٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٨.

وآله» فنذرت بالقوم، فقلت لعباد بن بشر ـ وكان على حرس قبة النبي «صلى الله عليه وآله» وكان قائماً يصلي ـ أتيت، فركع، ثم سجد، وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم، فأسمعهم يقولون: هذه قبة محمد، إرموا.

فرموا، فناهضناهم حتى وقفنا على شفير الخندق، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر.

فترامينا، وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم، وكثرت الجراحة بيننا وبينهم.

ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم، والمسلمون على محارسهم، فكلما نمر بمحرس نهض معنا طائفة، وثبت طائفة، حتى انتهينا إلى راتج، فوقفوا وقفة طويلة، وهم ينتطرون قريظة، يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن أسلم يحرس، قد أتت من خلف راتج.

فلاقوا خالداً، فاقتتلوا واختلطوا، فما كان إلا حلب شاة حتى نظرت إلى خيل خالد مولية. وتبعه سلمة بن أسلم حتى رده من حيث جاء.

فأصبح خالد، وقريش، وغطفان، تزري عليه وتقول: ما صنعت شيئاً فيمن في الخندق، ولا فيمن أصحر لك.

فقال خالد: أنا أقعد الليلة، وابعثوا خيلاً حتى أنظر أي شيء تصنع»[1].

ونقول:

إن هذه الرواية موضع ريب وشك، لأن إصحار سلمة بن أسلم ومن معه لخالد ومن معه واختلاطهم بهم يصعب تصديقه، لأن عبور سلمة وأصحابه

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٦.

إلى الجانب الآخر من الخندق أو مجيئهم من خلف راتج، من طرف الخندق، إلى جهة المشركين ينطوي على مخاطرة كبرى لما فيه من تعريض أنفسهم للإبادة الحتمية على يد ألوف المقاتلين من المشركين الذين كانت تعج بهم المنطقة.

ويلفت نظرنا هنا: أن الرواية لم تشر إلى مبادرة خالد لمطاولة هذه الجماعة القليلة، ثم طلب المدد من الجيش الذي هو أحد قواده. وقد كان عليه أن ينتهزها فرصة ذهبية نادرة ليلحق بالمسلمين نكبة هائلة ومروعة.

ثم إن تلك الرواية قد تحدثت: عن أن خالداً كان في مئة فارس، ولكنه حين أراد أن يرمي قبة النبي «صلى الله عليه وآله» كان في ثلاثة نفر هو رابعهم.

وحين ترامى خالد وأصحابه، ومحمد بن مسلمة وأصحابه أين كان عنه أصحابه، حتى يقول الراوي ـ وهو محمد بن مسلمة ـ وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم؟!

وما معنى قوله: ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم. فهل كان خالد وأصحابه على حافتي الخندق؟! الأمر الذي يعني أن خالداً ومن معه قد عبروا الخندق إلى جهة المسلمين، أو العكس.

ثم إننا لا ندري مدى صحة هذه الرواية التي لم يروها لنا إلا محمد بن مسلمة، الرجل الذي كانت تهتم السلطة في إعطائه الأدوار الحساسة، لأنه كان من أعوانها.

ولكن الغريب في الأمر: أننا نجد المؤرخين لم يعيروا هذه الرواية أي اهتمام رغم أهمية وحساسية المعلومات التي تدَّعيها فيما يرتبط بحرب الخندق.

دعوى قتل طليعة للنبي ﷺ:

وعن مالك بن وهب الخزاعي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث سليطاً وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب، فخرجا حتى إذا كانا بالبيداء التفت عليهما خيل لأبي سفيان، فقاتلا حتى قتلا، فأتي بهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدفنا في قبر واحد. فهما الشهيدان القرينان[1].

ونحن نشك في صحة ذلك، لما يلي:

أولاً: بالنسبة لسنده، قال البزار: «لا نعلم روى مالك إلا هذه»[2].

وقال: الهيثمي: «فيه جماعة لم أعرفهم»، وقريب من ذلك عند العسقلاني[3].

وثانياً: إن من الواضح: أن سفيان بن عوف الأسلمي وهو الغامدي، هو الذي كان يغير على أطراف علي «عليه السلام»، ويرتكب الجرائم، ويهتك الحرمات، وقد ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله: «وإن أخا غامد الخ..» وكان من قواد معاوية الأساسيين، وكان يعظمه. وقد مات سنة اثنتين أو ثلاث، أو أربع وخمسين[4].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥١٤ وكشف الاستار عن مسند البزار ج٢ ص٣٣٢ و ٣٣٣ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٣٥ وأسد الغابة ج٤ ص٢٩٧ عن أبي نعيم وأبي موسى والإصابة ج٣ ص٣٥٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص٢٤٥.

(٢) كشف الأستار عن مسند البزار ج٢ ص٣٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ج٦ ص١٣٥ والإصابة ج٣ ص٣٥٨.

(٤) راجع: الإصابة ج٢ ص٥٦ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص١٨٣ ـ ١٨٥ وغير ذلك من كتب التراجم.

ولنا أن نحتمل: أن تكون دعوى صحابية سفيان هذا قد جاءت لأجل إعطائه بعض المصونية والشأن الرفيع، حفاظاً على سيده معاوية من جهة، وإضعافاً لموقف علي «عليه السلام» من جهة ثانية، وتبريراً لمواقفه المخزية، وجرائمه الخطيرة التي ارتكبها بحق المسلمين الذين أغار عليهم وقتلهم، وهتك حرماتهم من جهة ثالثة.

حديث أم سلمة:

عن أم سلمة قالت: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الخندق، فلم أفارقه مقامه كله، وكان يحرس بنفسه في الخندق، وكنا في قرٍّ شديد. فإني لأنظر إليه قام فصلى ما شاء الله أن يصلي في قبته، ثم خرج فنظر ساعة، ثم قال: هذه خيل المشركين تطيف بالخندق، من لهم؟.

ثم نادى: يا عباد بن بشر!

قال: لبيك.

قال: أمعك أحد؟.

قال: نعم، أنا في نفر من أصحابي حول قبتك.

قال: فانطلق في أصحابك، فأطف بالخندق، فهذه خيل المشركين تطيف بكم، يطمعون أن يصيبوا منكم غرة، اللهم ادفع عنا شرهم، وانصرنا عليهم، واغلبهم، لا يغلبهم غيرك.

فخرج عبَّاد في أصحابه، فإذا هو بأبي سفيان في خيل المشركين يطيفون بمضيق الخندق، فرماهم المسلمون بالحجارة والنبل، فرجعوا منهزمين.

ثم جاء عبَّاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فوجده يصلي، فأخبره،

قالت أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيطه[1].

ويستوقفنا في هذا الحديث:

١ ـ قول أم سلمة أنها كانت مع رسول الله في غزوة الخندق. وأنها لم تفارقه فيها أصلاً. وهذا يكذِّب ما يقوله البعض: من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعقب بينها وبين عائشة وزينب بنت جحش.

٢ ـ عبارة أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيطه. لا ندري مدى صحة حصول الغطيط منه «صلى الله عليه وآله»، ونحن نتوقع منه خلاف ذلك. فإن الغطيط من المنفرات التي يتنزه عنها النبي «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ قولها: وكنا في قرٍّ شديد. قد تقدم في الفصل الأول ما يوجب الشك في هذا الأمر.

٤ ـ لا ندري كيف لم يلتفت عبَّاد بن بشر ومن معه إلى خيل المشركين وهي تطيف بالخندق، وكيف رآها النبي «صلى الله عليه وآله» دونهم؟ فهل علم «صلى الله عليه وآله» ذلك عن طريق الوحي؟! إن ظاهر الرواية: هو أنه «صلى الله عليه وآله» علم ذلك بواسطة عينه الباصرة.

٥ ـ أين كان سائر المسلمين عن حراسة خندقهم، ألم يكونوا يتناوبون عليه يحرسونه، ويطوفون به؟ لكن ذلك لا يعني أن تكون الرواية كاذبة من أساسها، فلعل النبي «صلى الله عليه وآله» قد نبه المسلمين لمحاولة تسلل من المشركين لم يكونوا قد التفتوا إليها، لانشغالهم بحديث فيما بينهم.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٤. ولا بأس بمراجعة: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٩ و ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٩ و ٢٣٠.

حديث آخر ينسب لأم سلمة:

عن أم سلمة قالت: والله، إني لفي جوف الليل في قبة النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو نائم إلى أن سمعت الهيعة[1]، وقائل يقول: يا خيل الله (وكان رسول الله قد جعل شعار المهاجرين: يا خيل الله) ففزع «صلى الله عليه وآله» بصوته، وخرج من القبة، فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها منهم عباد بن بشر، فقال «صلى الله عليه وآله»: ما بال الناس؟

قال عباد: يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب، الليلة نوبته، ينادي: يا خيل الله، والناس يثوبون إليه، وهو من ناحية حسيكة، ما بين ذباب ومسجد الفتح.

فأمر «صلى الله عليه وآله» عباداً أن يأتيه بالخبر، فذهب ثم رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين، معه مسعود بن رخيلة في خيل غطفان، والمسلمون يرامونهم بالنبل والحجارة.

قالت: فدخل «صلى الله عليه وآله» فلبس درعه ومغفره وركب فرسه، وخرج معه أصحابه، حتى أتى تلك الثغرة، فلم يلبث أن رجع وهو مسرور، فقال: صرفهم الله، وقد كثرت فيهم الجراحة.

ثم دخل «صلى الله عليه وآله» فنام، فسمعوا هائعة أخرى، فانتبه «صلى الله عليه وآله» فأخبروه أنه ضرار بن الخطاب، فلبس «صلى الله عليه وآله» درعه ومغفره وركب فرسه إلى تلك الثغرة، وعاد في وقت السحر، وهو

---

(١) الهيعة: الصوت المفزع.

يقول: رجعوا مفلولين قد كثرت فيهم الجراحة[١].

ونقول:

قد يمكن للبعض أن يشكك في صحة هذه الرواية، على اعتبار: أن الروايات الأخرى قد تحدثت عن هزيمة عمر بن الخطاب أمام ضرار، وأنه كاد أن يقتله، ثم كف عنه، لأنه كان لا يقتل قرشياً قدر عليه، كما سيأتي.

كما أن الطبري وغيره يذكرون: أنه قد اختبأ هو وطلحة وغيرهما في بستان إبان حرب الخندق، كما سيأتي عن قريب.

ولكن هذا التشكيك يمكن دفعه: بأن عمر لم يواجه حرباً بنفسه هنا، بل واجهها بغيره، أي بواسطة المسلمين الذين تصدوا للمشركين، وليس بالضروة أن يصل به الرعب والخوف إلى حد الهزيمة من ساحة الحرب، حتى حين يكون المتحاربون هم الآخرون.

غير أن ما يلفت نظرنا هنا: هو ما نراه بوضوح من محاولات جادة لإيجاد دور ما لأشخاص بأعيانهم، كان لهم دور سلطوي بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو دور في تركيز دعائم السلطة بعده «صلى الله عليه وآله» أو مناوأة آل أبي طالب بشكل أو بآخر، فنجد الاهتمام بإبراز دور ما لأبي بكر، ولعمر، وللزبير، ولمحمد بن مسلمة، ولسلمة بن أسلم، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير.

والمطلع على تاريخ هؤلاء يجد: أنهم كانوا على العموم من المناوئين

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٦ و ٤٦٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ و ٢٣١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٥.

لعلي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومنهم من هو من أركان الحكم وأعوانه، أو من المشاركين في الاعتداء على الزهراء «عليها السلام» حين قيامهم بعدة هجمات على بيتها صلوات الله وسلامه عليها.

إصابة سعد بن معاذ بسهم:

ويذكر المؤرخون: أنه كان للمشركين رماة يقدمونهم إذا غدوا متفرقين، أو مجتمعين بين أيديهم وهم حبان بن العرقة، وأبو أسامة الجشمي في آخرين.

فتناوشوا يوماً بالنبل ساعة، وهم جميعاً في وجه واحد، وجاه قبة رسول الله، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قائم بسلاحه على فرسه، فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحله.

وقال: خذها وأنا ابن العرقعة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: عرق الله[1] وجهك بالنار، (أو قال له سعد نفسه ذلك).

ويقال: بل رماه أبو أسامة الجشمي، وقيل: خفاجة بن عاصم[2].

---

(١) عرق وجهه: أي أغلاه بالماء الحار.

(٢) راجع النص المتقدم في: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣١ و ٢٣٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٨ و ٤٦٩ وراجع قسماً مما تقدم في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٠ وراجع ص٢٤١ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٨ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص١٥١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠١ ومجمع البيان ج٨ =

وقال سعد: اللهم إن أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليَّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وأخرجوه وكذبوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية[1].

أضاف البعض هنا قوله: فلما قال سعد ما قال إنقطع الدم[2].

= ص٣٤٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٦ و ٢٠٧ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٧ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧٠ و ١٧١ ودلائل النبوة ص٤٣٦ والعبر وديوان المتبدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وعيون الأثر ج٢ ص٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٤ و ٤٤١ و ٤٤٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٧ وراجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٨ و ٢٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٠٧ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ ودلائل النبوة ص٤٣٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وعيون الأثر ج٢ ص٦٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٠ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٧ و ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص١٥١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٧ و ٢٠٨ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٨١ و ٢٨٢ وراجع مسند أحمد ج٦ ص١٤١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٢٨ وج ٣ ص٤٤١.

حديث عائشة حول سعد:

وتقول عائشة ـ كما روي ـ: إن ابن معاذ مر عليها، وهي في الحصن، حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة ـ وذلك قبل أن يفرض علينا الحجاب[1] ـ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها أذرعه كلها، وفي يده حربة يرقد (يرقل) بها، وهو يقول:

لبث قليلاً يشهد الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه: الحق بني فقد ـ والله ـ أخرت.

فقالت لها عائشة: والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه.

فقالت أم سعد: يقضي الله ما هو قاض.

فقضى الله أن أصيب يومئذٍ[2].

---

(١) هذا العبارة ذكرها الواقدي، والدياربكري، وابن سيد الناس، وابن هشام، وابن كثير، والكلاعي، وابن إسحاق والبيهقي فراجع الهامش التالي.

(٢) راجع فيما تقدم ـ وإن اختلفت في بعض الألفاظ ـ المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٧.

وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٦٥ و ٢٦٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٠ والروض الأنف ج٢ ص١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٠ و ٤٤١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٩ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٨١ وعيون الأثر ج٢ ص٦٢ و ٦٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٧.

ونقول:

إننا نرجح أن يكون أبو أسامة الجشمي هو الذي قتل ابن معاذ، وذلك:

أولاً: لأن بعض المصادر تذكر لأبي أسامة الجمشي أبياتاً فيها أنه هو الذي رمى سعداً فأصابه، فقد قال مخاطباً عكرمة، ومشيراً إلى قتله سعداً:

أعكرم هلا لمتني إذ تقول لي ... فداك بآطام المدينة خالد

ألست الذي ألزمت سعداً مريشة ... لها بين أثناء المرافق عاند

قضى نحبه منها سعيداً فاعولت ... عليه مع الشمط العذارى النواهد

الأبيات[1].

ثانياً: ذكرت الروايات: أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يوم أحد حبان بن العرقة بسهم فوقع في ثغرة نحره (أو في نحره) فوقع على ظهره وبدت عورته، فضحك «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه.

فهل عاش حبان من جديد؟ أو لم يمت من سهم أصابه في نحره!! ـ وعاش ـ حتى رمى سعد بن معاذ في أكحله في الخندق؟[2].

إلا أن تكون قصة أُحد: قد صنعها محبو سعد بن أبي وقاص لإثبات فضيلة له، وذلك عن هؤلاء غير بعيد، فقد رأيناهم يفعلون ذلك في كثير من المواضع، ثم سرعان ما ينسيهم الله ذلك، فتظهر الحقيقة على ألسنتهم من جديد، ويكذبون أنفسهم من حيث لا يشعرون.

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١٠٨.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص١٣٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٢٧ و ٢٢٩ وسبل الهدى والرشاد (ط دار الكتب العلمية) ج٤ ص٢٠١.

الاختلاف في من قتل سعد بن معاذ:

وأما الاختلاف في قاتل سعد بن معاذ، فهو يعود ـ فيما يظهر لنا ـ إلى أن الذين كانوا يرمون باتجاه سعد والمسلمين كانوا أكثر من واحد، فاختلطت السهام، واستطاع كل منهم أن يدَّعي لنفسه أنه تمكن من قتل سيد قبيلة الأوس في المدينة وهو ـ باعتقادهم ـ شرف عظيم أراد كل منهم أن يخص نفسه به، مع أنه في الحقيقة غاية الخزي والعار، لو كانوا يعلمون.

سعد في خيمة رفيدة:

وأمر «صلى الله عليه وآله» بنقل سعد حينما جرح إلى خيمة رفيدة التي كانت أقامتها في مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» لمداواة الجرحى.

زاد القمي قوله: وكان يتعاهده بنفسه[1].

---

(١) عيون الأثر ج٢ ص٧٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٥٠ وتهذيب سيرة ابن هشام ص٢٠٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٧ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٧٢ عن البغوي والمواهب اللدنية ج١ ص١١٦ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٢١ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٣٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٦٧ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٨٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٣٨ وفتح الباري ج٧ ص٣١٧ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣٢ والإستيعاب بهامش الإصابة ج٤ ص٣١١ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٣٨٧ والتراتيب الإدارية ج٢ ص١١٣ وج ١ ص٤٦٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ والإصابة ج٤ ص٣٠٢ و ٣٠٣ عن ابن إسحاق، وعن البخاري في الأدب المفرد. وفي التاريخ بسند صحيح، والمستغفري، وأبي موسى.

ونستفيد من ذلك: إمكانية أن تتولى المرأة مداواة الجرحى. وقد تحدثنا عن ذلك بشيء من التفصيل في كتابنا: الآداب الطبية في الإسلام، فنحن نرجع القارئ الذي يريد التوسع إليه.

إصابة أبي بن كعب في أكحله:

وتذكر بعض الروايات عن جابر: أن أُبي بن كعب، رمي يوم الأحزاب على أكحله، فكواه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعنه أي عن جابر: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أُبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً، ثم كواه عليه[1].

ونحن نتساءل عن السبب الذي لم يقدم لأجله النبي «صلى الله عليه وآله» على معالجة سعد بن معاذ بهذه الطريقة حتى يشفى، أم أنه عالجه، لكن لم يفده العلاج لأن جراحته تختلف عن جراحة أُبي؟!

هل فر عمر وطلحة في غزوة الخندق؟

والذي يثير فينا العجب هنا: أننا نجد عائشة تروي لنا ما يدل على فرار جماعة من الصحابة في حرب الخندق، واختبائهم في حديقة هناك.

قال الطبري: «حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر، قال حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثني أبي عن علقمة، عن عائشة قالت:

خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فوالله إني لأمشي إذ سمعت وئيد الأرض خلفي ـ يعني حس الأرض ـ فالتفت فإذا أنا بسعد، فجلست إلى

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩ عن مسلم. كذا في المشكاة.

الأرض، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس ـ شهد بدراً مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حدثنا بذلك محمد بن عمرو ـ يحمل مجنه، وعلى سعد درع من حديد، قد خرجت أطرافه منها، قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم.

قالت: فأنا أتخوف على أطراف سعد، فمر بي، يرتجز ويقول:

لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فلما جاوزني قمت، فاقتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تَسْبِغَة له ـ قال محمد: والتسبغة: المغفر لا ترى إلا عيناه ـ فقال عمر: إنك لجرية، ما جاء بك؟ ما يدريك؟ لعله يكون تحوّز، (تحرف) أو بلاء.

فوالله ما زال يلومني حتى وددت أن الأرض تنشق لي فأدخل فيها، فكشف الرجل التَسْبِغَة عن وجهه: فإذا هو طلحة.

فقال: إنك قد أكثرت، أين الفرار، وأين التحوّز (التحرف) إلا إلى الله عز وجل[1].

نقول:

إن طلحة يتضايق من جهر عمر بالفرار أمام عائشة، ثم لما رأى أنه يكرر ذلك لها، يستنكر أن يكون هذا فراراً، ويعتبره فراراً إلى الله عز وجل.

ونلفت النظر هنا: إلى تجاهل جل المؤرخين لهذه الرواية، رغم أنهم

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٤٣٥ و ٤٣٦ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٨٤ والطبقات الكبرى ج٣ قسم ٢ ص٣ وكنز العمال ج١ ص٢٨٠ عن ابن عساكر.

يرون في الطبري المثل الأعلى لهم، وهم ينقلون عنه ويعتمدون عليه، ولعله هو بالإضافة إلى سيرة ابن هشام، يأتي على رأس القائمة في أي مراجعة للسيرة، أو تسجيل أي حدث، أو موقف منها.

كما أننا لا نستبعد: أن تكون هذه هي القضية الصحيحة، لا قضية عائشة مع أم سعد.

ثم إننا لا ننسى أن نسجل هنا تساؤلاً يبقى حائراً، وهو أنه كيف سوَّغت عائشة لنفسها أن تخرج من الحصن الذي وضعها النبي «صلى الله عليه وآله» فيه، مع خطورة الموقف وحساسيته المتناهية، ومع عدم إذن النبي «صلى الله عليه وآله» لها بذلك، إذ لو كانت مأذونة منه «صلى الله عليه وآله» لاحتجت به على عمر، ولم تصبر على هذا التقريع المر الذي واجهها به، حتى إنها لتود أن تنشق لها الأرض، فتدخل فيها.

ولعل مما يؤيد فرار الكثيرين يوم الخندق: ما سيأتي في حديث حذيفة حينما أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» لكشف خبر قريش، حيث ذكر أنه لم يبق مع النبي سوى اثني عشر رجلاً فقط[1].

والرواية الأخرى تقول: إن الناس تفرقوا ولم يبق من العسكر غير ثلاثة مئة[2].

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصححاه ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٥٠ و ٤٥١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٩ و ٢٥٠.

(٢) سيأتي ذلك في الفصل الأخير من هذا الباب.

من بطولات سعد بن أبي وقاص:

ويقولون: «كان يوم الخندق رجل من الكفار معه ترس، وكان سعد رامياً. وكان الرجل يقول كذا بالترس، يغطي جبهته، فنزع له سعد بسهم، فلما رفع رأسه رماه سعد لم يخطئ هذه منه، يعني جبهته، فانقلب وأشال برجله، فضحك النبي «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، يعني من فعله بالرجل»[1].

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك:

ألف: إن الذين قتلوا من المشركين معروفون، وستأتي أسماؤهم، وأسماء الذين قتلوهم، وهم:

١ ـ عمرو بن عبد ود، وقد قتله علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

٢ ـ حسل بن عمرو بن عبد ود، قتله علي «عليه السلام» أيضاً.

٣ ـ نوفل بن عبد الله، قتله علي «عليه السلام»، وقيل: بل قتله الزبير، وسيأتي أنه غير صحيح.

٤ ـ منبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه، أصابه سهم غرب فمات منه بمكة، وسيأتي ذلك مع مصادره في الفصل الأخير من هذا الباب.

فأين ذلك الرجل الذي قتله سعد بسهم؟!.

إلا أن يقال: إنه أصابه في جبهته، وانقلب وأشال برجله، لكنه لم يمت.

ب: إن هذه الرواية هي ـ تقريباً ـ نفس الحكاية التي تحكى لسعد مع

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ عن الترمذي في الشمائل.

حبان بن العرقة في غزوة أحد.

إلا أنها ذكرت: أن هذا كان يتلاعب بترسه، فرماه سعد في جبهته، وقد أشرنا غير مرة إلى أننا نجد اهتماماً خاصاً بتسطير الفضائل لسعد لتعويضه عن فراره في المواطن، ولرد الجميل له على مواقفه المؤيدة للسلطة التي اغتصبت مقام الخلافة بعد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

وقد أشرنا إلى ذلك: في غزوة أحد حين الكلام عن بطولات سعد الموهومة، فراجع.

بطولات وهمية للزبير:

روى البيهقي من طريق حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال: جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم (يعني حصناً) ومعي عمر بن أبي سلمة، فجعل يطأطئ لي، فأصعد على ظهره، فأنظر إليهم كيف يقتّلوا، وأطأطئ له فيصعد فوق ظهري، فينظر.

قال: فنظرت إلى أبي، وهو يحمل مرة ها هنا، ومرة ها هنا، فما يرتفع له شيء إلا أتاه.

فلما أمسى جاءنا إلى الأطم، قلت: يا أبه، رأيتك اليوم وما تصنع.

قال: ورأيتني يا بني؟!.

قلت: نعم.

قال: أما إن رسول الله قد جمع لي أبويه.

قال: فداً لك أبي وأمي"[1].

ونقول:

قد قدمنا في فصل: غدر بني قريظة: أن عبد الله بن الزبير كان آنئذٍ طفلاً صغيراً جداً، ولم يكن بحيث يمكن أن يصدر منه ذلك فقد كان عمره أقل من سنتين على ما يظهر، فراجع ما قدمناه.

هذا بالإضافة إلى أننا: لم نفهم معنى لما يدَّعيه ابن الزبير من حملات لأبيه هنا، وحملات هناك، ونحن نعلم أن ذلك لم يحدث في الخندق، بل الذي كان هو المراماة بالنبل والحصا في بعض الأحيان.

أما قضية المبارزة فإنما كانت بين علي «عليه السلام» وعمرو بن عبد ود، كما سيأتي.

هذا بالإضافة إلى: أن هذا الحديث زبيري سنداً ومتناً، ولم نجد من روى لنا هذه المواقف البطولية للزبير في حرب الأحزاب.

قدامة بن مظعون في حرب الخندق:

عن نافع، عن ابن عمر، قال: «بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف، فأتيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فاستأذنته ـ وهو بالخندق ـ فأذن لي، وقال لي: من لقيت منهم، فقل لهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمركم أن ترجعوا.

قال: فلقيت الناس، فقلت لهم..

---

(١) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٩ و ٤٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٦ و ٢٠٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٦.

إلى أن قال ابن عمر: والله ما عطف عليّ منهم اثنان أو واحد»[1].

ونقول:

ألف: إن هذه الرواية موضع ريب، لأن عثمان بن مظعون قد توفي قبل الخندق بزمان، فإنه أول من مات بالمدينة من المهاجرين. وذلك بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.

وقد احتمل البعض: أن يكون المقصود هو قدامة بن مظعون فراجع[2].

ب: قد يقال: إن هذه الرواية تدل على أن طائفة من الناس قد فروا يوم الخندق، وفقاً لما تقدم من فرار جماعة فيهم عمر وطلحة، وقد اختبأوا في حديقة هناك، فاكتشفتهم عائشة.

وسيأتي أيضاً: أن الناس قد تفرقوا عن النبي «صلى الله عليه وآله» حتى بقي في ثلاث مئة. بل في اثني عشر رجلاً كما في رواية القمي، والحاكم في المستدرك بسند صححه هو والذهبي.

لكن قد يجاب عن ذلك: بأن من الممكن أن تكون الرواية ناظرة إلى حالة المسلمين لما بلغهم فرار المشركين، فإنهم تركوا النبي وقصدوا المدينة لا يلوون على شيء، وسيأتي ذلك في آخر فصل: نهاية حرب الخندق.

إلا أن هذا الجواب لا يكفي: إذ لا معنى لطلب النبي من الناس الرجوع إلى مواقعهم، بعد ذهاب الأحزاب.

ج: إن هذه الرواية تشير إلى أنه قد كان ثمة دقة في التنظيم، وهيمنة قيادية،

---

(١) عيون الأثر ج٢ ص٥٦ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٩ بإسناد صحيح عن الطبراني.

(٢) عيون الأثر ج٢ ص٥٦.

قد فرضت عدم تغيب أي عنصر مشارك في الحرب إلا بإذن من الرسول «صلى الله عليه وآله» مباشرة، الأمر الذي يتيح للقيادة أن تبقى على اطلاع تام على حجم وفعالية القوة التي تعمل تحت قيادتها، فتتمكن من التخطيط الدقيق والسليم وفي نطاق وحدود القدرات المتوفرة لديها، والإستئذان هذا كان من الجميع حتى من المنافقين لأعذار مختلفة.

القتال بين المسلمين وبين بني قريظة:

قد ذكرت النصوص التاريخية عدة موارد يقال: إنها حصلت فيها مناوشات فردية بين المسلمين واليهود، وذكرت أيضاً حوادث محدودة في نطاق التدبير العسكري فيما بين الفريقين.

بالإضافة إلى: تحركات عامة في دائرة التفاهم لشن هجوم مشترك على المسلمين، ونذكر هذه الأمور في ضمن النقاط التالية:

ألف: التفكير بمباغتة المدينة:

قال الدياربكري: «واستعان بنو قريظة من قريش ليبيتوا المدينة فعلم به النبي «صلى الله عليه وآله»، فبعث سلمة بن الأسلم في ماءتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة رجل حتى حرسوا حصون المدينة ومحلاتها»[1].

ويفصّل ذلك البعض، فيقول: همت بنو قريظة أن يغيروا على بيضة المدينة ليلاً، فأرسلوا حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيهم منهم ألف رجل، ومن غطفان ألف فيغيروا بهم.

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٤.

فجاء الخبر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعظم البلاء، وبعث سلمة بن أسلم في مئتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير، ومعهم خيل المسلمين، فإذا أصبحوا أمنوا.

فكان أبو بكر يقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان. ولقد كنت أوفي على سلع، فأنظر إلى بيوت المدينة، فإذا رأيتهم هادين حمدت الله عز وجل، فكان مما رد الله به بني قريظة عما أرادوا: أن المدينة كانت تحرس»[1].

ونقول:

إنه ربما يستفاد من قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاؤُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾ أن بني قريظة قد تحركوا لقتال المسلمين، أو لمحاصرتهم، أو عملوا على ذلك بطريقة أو بأخرى.

هذا.. ولم تذكر لنا الرواية سبب عدم استجابة قريش وغطفان لطلب بني قريظة، ولا الطريقة التي علم بها رسول الله بإرسال بني قريظة تلك الرسالة إلى الأحزاب.

كما أننا لا نكاد نطمئن: إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى حراسة المدينة إلا بعد أن علم بعزمهم على تبييتها. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليغفل عن حراسة المدينة من أول يوم خرج فيه لحفر الخندق

---

(١) راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٠ وامتاع الاسماع ج١ ص٢٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤ و ٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٨.

ومواجهة الأحزاب، بل من أول ساعة.

أضف إلى ذلك كله: أن تخصيص خمس مئة مقاتل لحراسة المدينة، أي ما ربما يزيد على نصف جيش المسلمين، ثم الإكتفاء بالنصف أو بأقل من ذلك ـ حسبما تقدم عن عـدة المسلمين ـ ليواجهـوا جيش الأحزاب ـ إن هذا ـ قد يكون أمراً مبالغاً فيه، فلعله كان يرسل مئتين على التناوب، فتارة يرسل سلمة، وتارة يرسل زيداً، وهكذا.

ب: قصة خوات بن جبير واليهودي:

وبعث «صلى الله عليه وآله» خوات بن جبير لينظر غرة لبني قريظة، أو خللاً من موضع، فكمن لهم، فنام، فحمله رجل منهم وقد أخذه النوم، فأفاق، فعرف أن حامله طليعة لبني قريظة، فأمكنه الله من الرجل وقتله، ولحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» وأخبره، بعد أن كان «صلى الله عليه وآله» قد عرف بالقضية من جهة جبرئيل[1].

ونقول:

إننا لا ندري لماذا يفضل ذلك اليهودي حمل عدوه على ظهره؟! ولا يبادر إلى قتله، والتخلص منه.

والذي نعلمه في حالات كهذه هو أن يكون نوم من ينام قلقاً وغير مستقر، حتى إن النائم ليتنبه لأدنى حركة أو لمسة له، ونجد أن هذا اليهودي يحمل هذا النائم ويرفعه إلى كتفه ولا يشعر به.

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٠ و ٤٦١.

ثم كيف عرف خوات بن جبير أن حامله طليعة لبني قريظة؟! هذا ما لم تصرح لنا الرواية به.

وإذا أغمضنا النظر عن ذلك: فإن اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بالعمل الإستخباري في حروبه ظاهر للعيان.

ولكن طلب الغرة لبني قريظة والخلل من موضع، إنما يتناسب مع التخليط لمهاجمتهم، وذلك لم يكن متيسراً، أو فقل: لم يكن مطروحاً للتداول به والتخطيط له في غزوة الخندق.

فلعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يمهد لغزوهم حين فراغه من الأحزاب، فكان إرسال الطلائع تمهيداً لذلك.

ج: تحركات، وتحرشات:

وخرج نباش (ولعل الصحيح: شاس) بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن أسلم، فرموهم حتى هزموهم[1].

ومر سلمة في من معه، فأطاف بحصون يهود، فخافوه، وظنوا: أنه البيات.

ومن الواضح: أن هؤلاء اليهود لا يشكلون خطراً جدياً على المسلمين، إلا من حيث أنهم طليعة للعدو، وتريد أن تحصل على معلومات تفيد في توجيه ضربة عسكرية للمسلمين، أو من حيث أنهم يريدون الحصول على

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٢٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٢.

مكاسب مادية، لظنهم أن المسلمين في غفلة عن بعض المواقع التي يمكنهم التسلل إليها للحصول على ما يمكن الحصول عليه منها.

أو من حيث إحداث بلبلة في صفوف المسلمين، حين يشعرون أن نساءهم في معرض خطر أكيد من قبل الأعداء.

ومن الملفت للنظر أيضاً: هذا الرعب من قبل اليهود لمجرد رؤيتهم سلمة بن أسلم يطيف بحصونهم، مع أنهم يظنون أنهم مانعتهم حصونهم.

د: قتل مغامر:

روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن رافع بن خديج، قال: لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» النساء والصبيان والذراري فيه.

وقال لهن: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف. فجاءهن رجل من بني (ثعلبة) حارثة بن سعد، يقال له: نجدان، أحد بني جحاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل يقول لهن: انزلن إلي خير لكن.

فحركن السيف، فأبصره أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة، يقال له: ظفر بن رافع، فقال: يا نجدان ابرز.

فبرز إليه، فقتله، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩ عن الوفاء عن الطبراني ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠١ و ٣٠٢ عن الطبراني وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٤.

ولنا ملاحظة على هذا النص، وعلى نص سابق شبيه به: وهو أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لهن: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف، فهل هذا يعني: أن يلمعن بالسيف لإيهام الأعداء وجود أسلحة معهن؟!

الجواب: قد يكون لا، لأن هذا لو صح لكان الأنسب أن يقول لهن، فالمعن بالسيوف، إلا أن يكون المقصود هو جنس السيف، لا السيف الواحد.

والظاهر: أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يلمعن بالسيف لو تعرضن لأي هجوم من الأعداء ليعرف المسلمون بالأمر، لينجدوهن بالرجال.

ومعنى ذلك: هو أن موضع النساء كان قريباً من جيش المسلمين، وفي مقابلهم. كما أن هذه الطريقة لن تنفعهم إلا في وقت النهار، وحيث تكون السماء صافية والشمس طالعة لا مطلقاً. إذ في الليل وحيث لا شمس لا يلمع السيف.

صفية وحسان بن ثابت واليهودي:

روى الزبير بن العوام: أن صفية كانت في حصن فارع.

وفي نص آخر: «في حصن حسان بن ثابت» مع نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان معهن حسان بن ثابت، فرقى يهودي الحصن حتى أشرف عليهن، فقالت صفية: يا حسان قم إليه حتى تقتله.

وفي نص آخر: أن اليهودي جعل يطوف بذلك الحصن، فخافت صفية أن يدل على عورة الحصن.

قال: لا والله، ما ذاك فيَّ، ولو كان فيَّ لخرجت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قالت صفية: فاربط السيف على ذراعي. ثم تقدمت إليه حتى قتلته، وقطعت رأسه، فقالت له: خذ الرأس وارم به على اليهود.

قال: وما ذاك فيَّ.

فأخذت الرأس فرمت به على اليهود.

فقالت اليهود: قد علمنا: أنه لم يك يترك أهله خلوفاً، ليس معهم أحد.

ويذكر نص آخر: أنها طلبت منه أن يسلبه فرفض.

ونص آخر يذكر: أنها قتلته بواسطة عمود.

وفي غيره: قتلته بفهر. وتذكر رفض حسان لسلبه، ولا تذكر حديث قطع رأسه[1].

وقد زاد أبو يعلى: «فأخبر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فضرب

---

(١) راجع المصادر التالية: وفاء الوفاء ج١ ص٣٠٢ عن البزار. وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٤ و ٥٢٥ عن ابن إسحاق، والواقدي، وأبي يعلى، والبزار بسند حسن عن الزبير، بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلاً، وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤١ و ٢٤٢ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٦ وأسد الغابة ج٢ ص٦ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩ عن الوفاء، والهيثمي، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٧ ومسند أحمد والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٢ و ٤٤٣ وأمالي الشيخ الطوسي ص٢٦٧ و ٢٦٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٥ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٨ و ٢٠٩ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٠ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٩ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٧ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٣ وغرر الخصائص الواضحة ص٣٥٨.

لصفية بسهم، كما يضرب للرجل»[١].

لكن نصاً آخر يقول: إن غزال بن سموأل أقبل مع عشرة من اليهود نهاراً فجعلوا يستترون ويرمون الحصن. «وقد حاربت قريظة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في نحر العدو، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتاهم آت»[٢].

ونقول:

يلفت نظرنا في هذه الرواية أمور عدة، نذكر منها:

ألف: جبن حسان:

قال البلاذري والوقداي: «كان حسان رجلاً جباناً»[٣].

وقال ابن الأثير: «كان حسان من أجبن الناس حتى إن النبي «صلى الله عليه وآله» جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق»[٤].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٤ و ٥٢٥.

وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٢ و ٤٦٣ وسيرة المصطفى ص٥٠٥ و ٥٠٦ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٢ و ٤٤٣ والإكتفاء ج٢ ص١٧١.

(٣) أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٦٢ و ٤٦٣ وفاء الوفاء ج١ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥ وراجع: الروض الأنف ج٣ ص٢٨١ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٤ وأسد الغابة ج٢ ص٦.

وقال الحلبي: «وهذا يدل على ما قيل: إن حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم»[١].

وقد صرحوا: بأن حساناً لم يشهد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشهداً قط لأنه كان جباناً[٢]. وكان حسان ضارباً وتداً في ناحية الأطم، فإذا حمل أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» على المشركين حمل على الوتد فضربه بالسيف، وإذا أقبل المشركون ترك الوتد كأنه يقاتل قرناً. كان يرى أنه يجاهد جبناً عن القتال[٣].

وقال الإسكافي: «لو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف، وترك الحرب وأن ذلك يشاكل فعل النبي، لكان أوفر الناس في الرياسة، وأشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت»[٤].

وقال ابن الكلبي: «كان حسان بن ثابت لسناً، شجاعاً، فأصابته علة، أحدثت فيه الجبن، فكان لا ينظر إلى قتال ولا يشهده»[٥].

وقالت صفية: «كنت أعرف انكشاف المسلمين وأنا على الأطم برجوع حسان إلى أقصى الأطم»[٦].

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٣١٧.

(٢) المعارف (ط سنة ١٩٦٠م) ص٣١٢ وغرر الخصائص الواضحة ص٣٥٨ وأسد الغابة ج١ ص٦.

(٣) كنز العمال ج١٠ ص٢٨٦.

(٤) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج١٣ ص٢٨٢.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٤.

(٦) شرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٦ والمغازي للواقدي ج١ ص٢٨٨.

وكلام ابن الكلبي هذا: يدل على عدم صحة ما رد به السهيلي وغيره على هذا بحجة أنه لو صح أنه كان جباناً لهجاه به الشعراء، لأنه كان يهاجيهم كضرار وابن الزبعري. فلعل حساناً ـ لو صح أنه كان مع النساء في الأطم ـ كان معتلاً بعلة منعته من شهود القتال[1].

أضف إلى ذلك: أن المؤرخين قد حكموا على حسان بالجبن بصورة مطلقة معللين إبقاءه مع النساء بذلك، الأمر الذي يظهر منه أن جبنه كان معروفاً لديهم، لا أنهم استندوا في ذلك إلى خصوص هذه الرواية.

وأما لماذا لم يعيِّر الشعراء حساناً بالجبن، فقد قال الزرقاني: «إن ابن إسحاق لم ينفرد به، بل جاء بسند متصل حسن كما علم، فاعتضد حديثه.

وقال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة لأنه شاعره «صلى الله عليه وآله»»[2].

ونزيد نحن على ذلك: أن هجاءهم لحسان لا مبرر له، وإنما هم يريدون هجاء الإسلام، ورسول الإسلام، وجماعة المسلمين، ولا يهمهم حسان كشخص من قريب ولا من بعيد.

وهذا بالذات هو ما يطغى على شعرهم المتبادل فيما بينهم.

ب: قصة حسان في الخندق أم في أحد؟!

وقد رويت قصة جبن حسان، وقتل صفية لليهودي في غزوتي أحد

---

(١) راجع: الروض الأنف ج٣ ص٢٨١ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٤.

(٢) هامش السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٠ تحقيق الأبياري، والسقا، وشلبي.

والخندق معاً[1].

وقد تقدمت هذه الرواية في غزوة أحد أيضاً.

ونرجح أنها كانت في الخندق لأن اليهود إنما غدروا في الخندق[2]، وهذا هو ما رجحه السمهودي أيضاً استناداً إلى ذلك، وإلى أن الطبراني قد روى بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلاً: أنها كانت في الخندق، وممن ذكر القصة في الخندق ابن إسحاق أيضاً[3].

ج: تأثير هذه القضية على اليهود:

قد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن قتل صفية لليهودي قد جعل اليهود يعتقدون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل أناساً لحماية النساء والذرية، وليحفظوا مؤخرة الجيش عن أن تتعرض لأي عمل حربي، حيث قالت اليهود: إنه لم يك يترك أهله خلوفاً، ليس معهم أحد.

وذكر في نص سابق: أن عشرة من اليهود «جعلوا يستترون ويرمون الحصن، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في نحر العدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتانا آت».

ولكننا نشك في صحة ذلك: إذ قد كان ثمة حرس للمدينة يبلغ حوالي خمس مئة مقاتل، وقد كان يكفي لرد هؤلاء العشرة عشرة مثلهم، فضلاً عن

---

(١) وفاء الوفاء ج١ ص٣٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٢٨٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص١٥ و ١٦.

(٢) وفاء الوفاء ج١ ص٣٠٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٩.

(٣) المصدران السابقان.

المئات.

ثم إن وصول عشرة من بني قريظة إلى مكان قريب من الجيش الإسلامي، وفي قبال ذلك الجيش، مع احتمالهم أن يكون ثمة حرس يعتبر مجازفة منهم، لا نرى أن اليهود يقدرون عليها.

وقلنا: إن موضع النساء قريب من جيش المسلمين، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كما تقدم قد طلب من النساء أن يلمعن بالسيف إذا تعرضن لأي مكروه.

فلماذا لم يلمعن بالسيف كما صنعن في قصة أحد بني جحاش، الذي تم التخلص منه بهذه الطريقة بالذات؟

إلا أن يكون الناس في ذلك الوقت قد شغلتهم الحرب حتى لا يستطيع أحد منهم، ولا حتى مفرزة صغيرة بمقدار خمسين فارساً: أن تنجد النساء والأطفال.

ونحن لا نظن: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يحسب حسابه لساعات كهذه، وترك الأمر يتطور إلى أن يصل إلى هذه الدرجة من الخطورة.

ولهذا فنحن نعتقد: أن هذه مبادرة من صفية «رحمها الله» لمواجهة رجل تسلل إلى موضع قريب، وقد نجحت في المهمة التي أحبت أن تبادر لإنجازها، ثم زاد الآخرون ما شاؤوا على ذلك إكراماً لولدها الزبير، ولآل الزبير. ولعل هذه الزيادات لا تبعد كثيراً عن نشاطات عروة ونظرائه ممن يسيرون في نفس الخط الذي هو فيه.

د: ربط السيف على الذراع وتناقض الرواية:

ولا ندري كيف يربط السيف على الذراع، ولا ندري أيضاً كيف يمكن تفسير هذه الاختلافات والتناقضات لنصوص هذه الرواية، فإن ذلك مما يضعف وثوقنا بها أيضاً.

غنيمة المسلمين من المشركين:

وقال أبو سفيان لحيي بن أخطب: قد نفدت علافتنا فهل عندكم من علف؟!

فقال حيي: نعم.

فكلم كعب بن أسد، فقال: مالنا مالك. فأرسل المشركون إليهم عشرين بعيراً، فحملوها لهم شعيراً، وتمراً وتبناً، وخرجوا بها إلى قريش، فلما كانوا بصفنة، وهم يريدون أن يسلكوا العقيق، جاؤوا جمعاً من بني عمرو بن عوف، وهم يريدون منازلهم بأنصاف النهار، يطلبونهم، وهم عشرون رجلاً، فيهم أبو لبابة، وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي، خرجوا لميت مات منهم في أطمهم ليدفنوه.

فناهضوا الحمولة، وقاتلهم القرشيون ساعة، وكان فيهم ضرار بن الخطاب، فمنع الحمولة، ثم جُرِحَ وجَرَحَ، ثم أسلموها، وكثرهم المسلمون، وانصرفوا بها يقودونها، حتى أتوا بني عمرو بن عوف، فدفنوا ميتهم، ثم ساروا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بها.

فكان أهل الخندق يأكلون منها، فتوسعوا بذلك، وأكلوه حتى نفد، ونحروا من تلك الإبل أبعرة في الخندق، وبقي منها ما بقي حتى دخلوا به المدينة.

فلما رجع ضرار بن الخطاب أخبرهم الخبر، فقال أبو سفيان: إن حيياً

لمشؤوم، ما أعلمه إلا قطع بنا، ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا»[١].

ولكننا نسجل تحفظاً هنا: ينطلق من كلام أبي سفيان هذا، فإن حيياً لم يقطع بهم. كما أن هذه الغنيمة لم تكن خيلاً ولا إبلاً بل كانت شعيراً وتمراً وتبناً، وبعض الإبل، فما معنى قوله: ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا.

الجن الذين في المدينة:

وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا إلى أهليهم، فيقول «صلى الله عليه وآله»: إني أخاف عليكم بني قريظة، فإذا ألحوا يأمرهم بأخذ السلاح معهم.

«وكان فتى حديث عهد بعرس، فأخذ سلاحه وذهب، فإذا امرأته قائمة بين البابين، فهيأ لها الرمح ليطعنها، فقالت: اكفف حتى ترى ما في بيتك، فإذا بحية على فراشه، فركز فيها رمحه، فاضطربت، وخر الفتى ميتاً. فما يدري أيهما كان أسرع موتاً.

فقال رسول الله ـ لما أخبر بذلك ـ: إن بالمدينة جناً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان»[٢].

---

(١) راجع القصة في: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٩ و ٥٤٠ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٣.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٤ و ٢٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٨ والمغازي ج٢ ص٤٧٥.

والذي يلفت نظرنا في هذا النص:

ألف: لماذا يؤاذنونه ثلاثة أيام، لا أقل ولا أكثر؟! فإن الجن إذا كان مؤمناً، فإنه لا يعتدي على الناس، ولا يأخذ فراش الناس، ويكون فيه.

ب: لماذا يبادر إلى طعن زوجته بالرمح إذا رآها بين البابين ألم يكن بوسعه أن يسألها عن سبب كونها في ذلك المكان؟ وهل وجودها في هذا المكان دليل خيانة وانحراف؟!

ج: هل الجن قادر على مواجهة الإنسان بهذه الصورة؟

وهل لم يكن بوسع تلك الحية الجنية أن تتخلص من رمح ذلك الفتى؟!

وهل إذا مات الجن يبقى جسده ماثلاً للعيان؟ ويكون من لحم ودم؟!.

إشتباك مع الإخوة:

وخرجت طليعتان للمسلمين ليلاً، فالتقتا، ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الإسلام: حم، لا ينصرون.

فكف بعضهم عن بعض، وجاؤوا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد. فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم[1].

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٧ و ٥٣٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١.

لعن الله الراكب والقائد والسائق:

قال سبط بن الجوزي: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لمعاوية: «نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إليك يوم الأحزاب، فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله، وأخوك يقود الجمل، وأنت تسوقه، فقال: «لعن الله الراكب والقائد والسائق»»[1].

آية قرانية في خوات بن جبير:

محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، جميعاً عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما «عليهما السلام» في قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ..﴾ الآية[2].

فقال: نزلت في خوات بن جبير الأنصاري، وكان مع النبي «صلى الله عليه وآله» في الخندق وهو صائم، فأمسى وهو على تلك الحال، وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب.

فجاء خوات إلى أهله حين أمسى، فقال: هل عندكم طعام؟!

فقالوا: لا تنم حتى نصلح لك طعاماً.

فاتكأ فنام، فقالوا له: قد فعلت؟

قال: نعم.

---

(١) تذكرة الخواص ص٢٠١ والغدير ج١٠ ص١٦٩ عنه.

(٢) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

فبات على تلك الحال، فأصبح ثم غدا إلى الخندق، فجعل يغشى عليه، فمر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره، فأنزل الله عز وجل فيه الآية: ﴿..وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..﴾[1].

والحديث صحيح السند: كما هو ظاهر، لكن صرح في رسالة المحكم والمتشابه بأن ذلك كان حين حفر الخندق في شهر رمضان المبارك، وأن اسم الرجل هو مطعم بن جبير.

ونقول:

١ ـ الذي نعرفه في رجال الصحابة هو جبير بن مطعم، لا العكس.

٢ ـ قد وصف رواية القمي والسيد المرتضى خوات بن جبير بأنه كان حينئذٍ شيخاً كبيراً ضعيفاً.

مع أنهم يقولون: إن خوات بن جبير قد توفي سنة أربعين، أو اثنتين وأربعين وهو ابن أربع وسبعين سنة[2]، ومعنى ذلك هو أنه كان يوم الخندق

---

(١) الكافي ج٤ ص٩٩ وتفسير نور الثقلين ج١ ص١٤٤ و ١٤٥ وتفسير القمي ج١ ص٦٦ ومن لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج٢ ص١٣٠ و ١٣١ والوسائل ج٧ ص٨٠ و ٨١ ورسالة المحكم والمتشابه ص١٠ والبحار ج٢٠ ص٢٤١ و ٢٤٢ وتفسير البرهان ج١ ص١٨٦ و ١٨٧ عن الكافي والقمي، وعن تفسير العياشي. ومجمع البيان ج١ ص٢٨٠.

(٢) راجع: الإصابة ج١ ص٤٥٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٣٠ وأسد الغابة ج٢ ص١٢٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صار) ج٣ ص٤٧٧ و ٤٧٨ والثقات ج٣ ص١٠٩ ومشاهير علماء الأمصار ص٣٩ وخلاصة تذهيب تهـذيب =

في عز شبابه، وغاية نشاطه وقوته.

وقيل: كان سنه حين توفي إحدى وسبعين سنة[1] عن ابن نمير. وإن كان الإستيعاب قد سجل أربعاً وتسعين سنة[2]، ولعلها تصحيف سبعين، فإن الاشتباه بينهما كثير.

٣ ـ إن الرواية تقول: إنها نزلت في خوات، لكن روايات أخرى ذكرت: أنها نزلت في صرمة بن قيس أو غيره[3].

٤ ـ الرواية تقول: إن المسلمين كانوا إذا نام أحدهم قبل أن يفطر حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة ـ وهذا هو المروي بكثرة عجيبة ـ من طرق غير أهل البيت «عليهم السلام».

ونقول:

إن هذه كانت طريقة أهل الكتاب. وقد نزلت الآية لردع المسلمين عنها[4] فلعل بعض المسلمين بسبب انبهاره قد انساق وراء أهل الكتاب في ذلك فنزلت الآية لتردعهم عنه، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر[5].

= الكمال ص١٠٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤١٢ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٣٣٠.

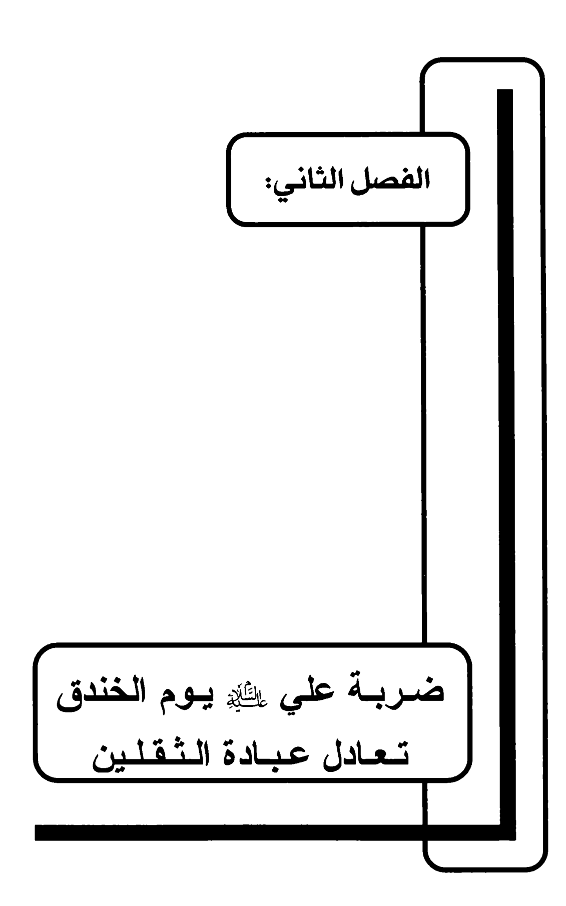
(١) تهذيب التهذيب ج٣ ص١٧١.

(٢) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج١ ص٤ ٤٤ وكذا في تهذيب الأسماء ج١ ص١٧٩.

(٣) الدر المنثور ج١ ص١٩٧ و ١٩٨ عن مصادر كثيرة.

(٤) الدر المنثور ج١ ص١٩٨ عن عبد بن حميد.

(٥) الدر المنثور ج١ ص١٩٨ عن ابن أبي شيبة وأبي داود، والترمذي، والنسائي.



الفصل الثاني:

ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين

الفصل الثاني :

[illegible]

عبور الخندق:

يقول المؤرخون: إنه بعد أن جُرح سعد بن معاذ أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جمعياً، وجاؤا يريدون مضيقاً يقحمون منه خيلهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فوجدوا مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون، فلم تدخله خيولهم، فعبره عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب وعمرو بن عبد ود.

وزاد المفيد «رحمه الله»: مرداساً الفهري.

وزاد البعض: حسل بن عمرو بن عبد ود في من عبر الخندق أيضاً.

ووقف سائر المشركين وراء الخندق[1].

---

(١) راجع: المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٢ و ٥٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ والإرشاد للمفيد ص٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج٨ ص١ ص١٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٩ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ و ٢٥٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن =

ويقول القاضي النعمان: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال: «فمن قاتلكم عليها فاقتلوه»[1].

فخرج علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في نفر من المسلمين، حتى أخذ الثغرة وسلمها إليهم.

وتقدم عمرو، فلما رأى المسلمين، وقف هو والخيل التي معه، وقال: هل من مبارز[2].

= هشام ص١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٠ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٨ و ٢٣٩ وراجع: الوفاء ص٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠.

(١) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٤.

(٢) راجع المصادر التالية: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ والإرشاد للمفيد ص٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٧ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٩ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ و ٢٥٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٧ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩.

وكان ذلك كما يقول القاضي النعمان بعد شهر من الحصار[١] وقال غيره غير ذلك، كما ذكرناه في موضع آخر.

وصفهم لعمرو:

قالوا: وكان عمرو قد بلغ تسعين سنة، وقد حرم الدهن حتى يثأر بمحمد وأصحابه. وذلك أنه في بدر قد أثبتته الجراحة، وارتث فلم يشهد أحداً[٢].

ونعتقد: أنهم يبالغون في مقدار عمر عمرو، ولعله بهدف بيان أنه كان في هذا الوقت قد ضعف وشاخ ولم يعد قتله بذلك الأمر المهم. ولكن جبن المسلمين عن مواجهته ـ كما سنرى ـ وهم جيش بأكمله، وكذلك ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» في حق قاتله، وغير ذلك مما سيأتي، يبطل كيد الخائنين، إن شاء الله تعالى.

وقالوا أيضاً: كان عمرو بن عبد ود فارس قريش[٣]، وكان يعد بألف

---

(١) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٣.

(٢) راجع المصادر التالية، فقد تعرضت لذلك كله أو بعضه: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ و ٦٣ وج ١٥ ص٨٥ و ٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ ووفاء الوفاء ص٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠.

(٣) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٧.

فارس[1]، ويسمى فارس يليل[2]، لأنه أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بيليل، وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد، فقال لأصحابه: امضوا.

فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك[3].

وكان: «من مشاهير الأبطال، وشجعان العرب»[4].

وعن علي «عليه السلام»: «وفارسها (أي قريش) وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم..

إلى أن قال: والعرب لا تعد لها فارساً غيره»[5].

وسيأتي: أن مسافع بن عبد مناف يبكي عمرواً، ويقول:

عمرو بن عبد كان أول فارس ... جزع المذاد، وكان فارس يليل

وقال أبو زهرة: «كان ـ كما قيل ـ لم يهزم في مبارزة قط»[6].

---

(١) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وينابيع المودة ص٩٥.

(٢) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ والبحار ج٢٠ ص٢٠٣ و ٢٢٦ وج٤١ ص٨٨ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥.

(٣) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ وج ٤١ ص٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦.

(٥) الخصال ج٢ ص٣٦٨ والبحار ج٢٠ ص٢٤٤ والإختصاص ص١٦٧ وشرح الأخبار ج١ ص٢٨٧.

(٦) خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨.

«وكان أشد من فيهم وأنجدهم، يعرف له ذلك جميعهم»[١].

وكان عمرو يلقب بعماد العرب، وكان في مئة ناصية من الملوك، وألف مقرعة من الصعاليك[٢].

المواجهة بين عمرو والمسلمين

وذكر القمي «رحمه الله»: أنه لما جاء الفرسان إلى الخندق ليعبروه كان «صلى الله عليه وآله» قد صف أصحابه بين يديه، فلما طفروا الخندق، صاروا قبال رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، والمسلمون خلف ظهر النبي «صلى الله عليه وآله».

رواية مشكوكة:

وادعى بعضهم: أن بعض المهاجرين قال لرجل من إخوانه بجنبه: أما ترى هذا الشيطان عمرواً؟! لا والله لا يفلت من يديه أحد، فهلموا ندفع إليه محمداً ليقتله، ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت قوله: **﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلاً، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ..﴾** إلى قوله: **﴿.. وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾**[٣]»[٤].

وصرح في موضع آخر: أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب لما قال

---

(١) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٤ والبحار ج٤١ ص٨٨ عنه.

(٣) الآيتان ١٨ و ١٩ من سورة الأحزاب.

(٤) تفسير القمي ج٢ ص١٨٢ و ١٨٣ والبحار ج٢٠ ص٢٢٥.

لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش ونلحق بقومنا: يحسون الأحزاب لم يذهبوا الخ..»[1].

ونقول:

إن هذه الرواية موضع شك وريب.

أولاً: إن مضمون الآيات لا ينسجم مع هذا الحدث الذي تقول الرواية: إن الآية نزلت لأجله، ولا يتطابق معه، بل هي لا تشير إليه لا من قريب ولا من بعيد.

ثانياً: ما معنى قوله: هلموا ندفع إليه محمداً ليقتله ونلحق نحن بقومنا؟ فهل إن محمداً، الذي معه سائر المهاجرين والأنصار أصبح الآن خاضعاً لابن عوف ولرفيقه، وأصبحا هما أصحاب القرار في أمره؟!

ثالثاً: ولو أنهما جهرا بهذا القول، ألم يكونا يخافان بأس علي «عليه السلام» وصولته، فضلاً عن غيره من أصحابه المخلصين؟!

أخذ الثغرة على عمرو وأصحابه:

وقد لاحظنا: أن علياً «عليه السلام» قد بادر إلى أخذ الثغرة التي عبر منها الفرسان، عليهم، حتى لا يمكنهم الرجوع منها، وليمنع بقية قوى الأحزاب من عبورها لمساعدة عمرو ومن معه.

وهذه المبادرة تعتبر من وجهة نظر عسكرية هي الإجراء الأمثل والأفضل لأنها أيضاً قد أدت إلى محاصرة المجازفين، والسيطرة على الموقف،

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٨٨ والبحار ج٢٠ ص٢٣٢.

وإفشال خطتهم.

ولكن علينا: أن لا نهمل التذكير بأن هؤلاء الذين جاؤوا مع علي «عليه السلام»، وأخذوا الثغرة على عمرو ومن معه، ما كانوا ليجرؤوا على الوقوف في مواقعهم لولا وجود علي «عليه السلام» إلى جانبهم، ثم اطمئنانهم إلى أنه سيكون هو الذي ينجدهم لو تعرضوا لأي مكروه من قبل عدوهم عمرو وأصحابه.

فإنما إلى علي «عليه السلام» استندوا، وعلى مبادرته لحمايتهم، والدفاع عنهم اعتمدوا، يدلنا على ذلك: أن المسلمين كانوا كأن على رؤسهم الطير خوفاً وفرقاً من عمرو كما سنرى.

طلب البراز، وخروج علي عليه السلام لعمرو:

لما وقف عمرو وأصحابه على الخندق قالوا: والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، فقال عمرو:

يا لك من مكيدة ما أنكرك   لا بد للملهوب من أن يعبرك

ثم زعق على فرسه في مضيق، فقفز به إلى السبخة، بين الخندق وسلع[1].

وجعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق وسلع، والمسلمون وقوف لا يقدم أحد منهم عليهم.

وجعل عمرو بن عبد ود يدعو للبراز ـ وكان قد أعلم ليرى مكانه ـ

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨.

ويعرض بالمسلمين، فقال «صلى الله عليه وآله» على ما في الروايات: من لهذا الكلب؟ فلم يقم إليه أحد.

فلما أكثر قام علي «عليه السلام»، فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، **فأمره** بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره.

وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، لمكان عمرو، والخوف منه وممن معه، ومن وراءه.

فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار؟ أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم عدواً له إلى النار؟.

فلم يقم إليه أحد.

فقام علي «عليه السلام» دفعة ثانية، قال: أنا له يا رسول الله، **فأمره** بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه مقبلاً مدبراً، وجاءت عظماء الأحزاب، ووقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو: أن أحداً لا يجيبه قال:

ولقد بححت من النداء ... بجمعهم هل من مبارز

ووقفت مذ جبن المشجع ... موقف القرن المناجز

إني كذلك لم أزل ... متسرعاً قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله ائذن لي في مبارزته. فلما طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ادن مني يا علي.

فدنا منه، فقلده سيفه (ذا الفقار)، ونزع عمامته من رأسه، وعممه بها،

وقال: امض لشأنك.

فلما انصرف، قال: اللهم أعنه عليه[1].

ولكن ابن شهرآشوب قال: إن عمرواً جعل يقول: هل من مبارز؟! والمسلمون يتجاوزون عنه.

فركز رمحه على خيمة النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال: ابرز يا محمد.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي؟!

فنكل الناس عنه.

إلى أن قال: روي أنه لما قتل عمرو أنشد علي «عليه السلام»:

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة

أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة

أخو رسول الله ذي العلامة وقال إذ عممني عمامة

أنت الذي بعدي له الإمامة[2]

وعند الحسكاني عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) راجع المصادر التالية: شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٣ و ٦٤ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ وإعلام الورى ص١٩٤ و ١٩٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧١ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥ والبحار ج٤١ ص٨٨ و ٨٩ وج ٢٠ ص٢٢٥ ـ ٢٢٨ ـ ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٥٤ ـ ٢٥٦ وتفسير القمي ج٢ ص١٨١ ـ ١٨٥ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥ والبحار ج٤١ ص٨٨.

وآله» درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: تقدم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه[1].

ويضيف البعض: «أنه رفع عمامته، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه، وقال: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب. ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[2]»[3].

وتصور لنا رواية عن علي «عليه السلام» الحالة حين عبور الفرسان الخندق، فهو يقول: «وفارسها وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز، ويرتجز، ويخطر برمحه مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، فأنهضني إليه رسول الله

---

(١) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ وج ٤١ ص٨٨. وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج٢ ص١١ وينابيع المودة ص٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥.

(٢) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦١ وج ١٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤ وكنز الفوائد للكراجكي (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٧، والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٥ وكنز العمال ج١٢ ص٢١٩ وج١٠ ص٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٢١.

«صلى الله عليه وآله»، وعممني بيده، وأعطاني سيفه هذا ـ وضرب بيده إلى ذي الفقار ـ فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقاً عليَّ من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعد لها فارساً غيره»(١).

ونحن نشك في الفقرة التي تذكر خروج نساء المدينة بواك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويذكر البعض: أنه «صلى الله عليه وآله»: «أدناه، وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل «صلى الله عليه وآله» رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأن على رؤوسهم الطير الخ..»(٢).

برز الإسلام كله إلى الشرك كله:

وقال «صلى الله عليه وآله» حينئذٍ: برز الإسلام أو الإيمان كله، إلى الشرك كله(٣).

---

(١) الخصال ج٢ ص٣٦٨ والبحار ج٢٠ ص٢٤٤ وشرح الأخبار ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ والإختصاص ص١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٥.

(٣) راجع: كشف الغمة ج١ ص٢٠٥ وينابيع المودة ص٩٤ و ٩٥ وإعلام الورى ص١٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٦١ و ٢٨٥ وج ١٩ ص٦١ والطرائف ص٦٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ والبحار ج٢٠ ص٢٠٥ و ٢٧٣ وج ٤١ ص٨٨ وج ٣٩ ص١ ونهج الحق ص٢١٧.

فخرج له علي «عليه السلام» وهو راجل، وعمرو فارساً، فسخر به عمرو، ودنا منه علي[١] ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري «رحمه الله»، لينظر ما يكون منه ومن عمرو[٢].

وصرحت بعض الروايات: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لأصحابه: أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟ فلم يجبه منهم أحد هيبة لعمرو، واستعظاماً لأمره. فقام علي ثلاث مرات والنبي «صلى الله عليه وآله» يأمره بالجلوس[٣].

وحسب نص ابن إسحاق، وغيره من المؤرخين: خرج عمرو بن عبد ود، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟!..

فقام علي بن أبي طالب، فقال أنا (له) يا نبي الله.

فقال: إنه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرزون إليَّ رجلاً؟!.

فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله.

فقال: إجلس.

ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بححت من النداء ... لجمعهم هل من مبارز

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢.

(٢) راجع الإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٤ وإعلام الورى ص١٩٤.

(٣) كنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧.

ووقفت إذ جبن المشجع ... موقف القرن المناجز

ولذاك إني لم أزل ... متسرعاً قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

قال: فقام علي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أنا له.

فقال: إنه عمرو.

فقال: وإن كان عمرواً.

فأذن له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة ... والصدق منجا كل فائز

إني لارجو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزاهز

وفي الديوان المنسوب لعلي «عليه السلام» بيتان آخران هما:

ولقد دعوت إلى البراز ... فتى يجيب إلى المبارز

يعليك أبيض صارماً ... كالملح حتفاً للمبارز

فقال له عمرو: من أنت؟.

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟.

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب، فنزل، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي «عليه السلام» مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته، فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه. وضربه علي «عليه السلام» على حبل عاتقة فسقط، وثار العجاج، فسمع رسول الله التكبير، فعرفنا أن علياً قد قتله، فثم يقول علي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي

الأبيات.

إلى أن قال: وخرجت خيولهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق[1].

---

(١) راجع المصادر التالية: البداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ عن البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن إسحاق. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ والبحار ج٢٥ ص٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٣٩ وج ٤١ ص٨٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥ و ١٣٦. وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ و ٤٨٧ وعيون الأثر ج١ ص٦١ و ٦٢ والروض الأنف ج٣ ص٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٨ و ٤٣٩.

وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ و ٣٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٦١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٧ و ١٦٨ وراجع: ديوان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص٦٧ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٢ و ٣٣ والمناقب للخوارزمي ص١٠٤ وراجع: ينابيع المودة ص٩٥ و ٩٦ وراجع أيضاً كنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧.

الخصال الثلاث وقتل عمرو:

وقد ذكرت بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» لما بارز عمرواً عرض على عمرو خصلتين، وهما: الإسلام، فرفضه، أو النزال، فاعتذر بالخلة بينه وبين أبي طالب، أو بغير ذلك[1].

لكن بعض الروايات ذكرت: أنه عرض عليه ثلاث خصال.

فهي تقول:

قال علي لعمرو: يا عمرو، إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها.

قال: أجل.

قال علي: فإني أدعوك إلى: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين.

---

(١) راجع عرض الخصلتين على عمرو، ثم قتل علي «عليه السلام» له في المصادر التالية: الإرشاد للمفيد ص٥٨، وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٣ و ١٩٨ و ١٩٩ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٠.

وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ والبحار ج٢٠ ص٢٥٣ و ٢٥٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٣ و ١٧٤ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٨ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ و ١٦٧ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٦ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٣ و ١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٢ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٥.

قال: يا ابن أخي، أخِّر عنى هذه.

قال: وأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن كاذباً كان الذي تريد.

وفي نص آخر: كفتهم ذؤبان العرب أمره.

قال: هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن[1].

قال: فالثالثة؟.

قال: البراز.

فضحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها، فمن أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال علي رضي الله عنه: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته.

ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة، فضربه عمرو، فاتقى علي الضربة بالدرقة، فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجه الخ..

---

(١) زاد في نص القمي: ولا تنشد الشعراء في أشعارها أنه جبن ورجع، وخذل قوماً رأَسوه عليهم. وعند المعتزلي: إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني.

أما المفيد وغيره، فقالوا: إن عمرواً قال لعلي «عليه السلام»: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.

وعند الواقدي: «فأنت غلام حدث إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر.

فقال علي «عليه السلام»: لكني أحب أن أقتلك، فانزل إن شئت، فأسف عمرو، ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع» انتهى.

وعند آخرين: أنه عرقب فرسه، وضرب علياً «عليه السلام» بالسيف، فاتقاه بدرقته، فقطها، فثبت السيف على رأسه.

وقال القمي وغيره: فقال له «عليه السلام»: أما كفاك أني بارزتك، وأنت فارس العرب، حتى استعنت علي بظهر؟!.

فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه على ساقيه، فقطعهما جمعياً.

وعبارة حذيفة هكذا: «وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه»[1].

وتستمر رواية القمي فتقول: وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب، ثم انكشفت العجاجة، فنظروا، فإذا أمير المؤمنين «عليه السلام» على صدره آخذ بلحيته، يريد أن يذبحه.

فذبحه، ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:

---

(١) راجع عبارة حذيفة في: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ والبحار ج٢٠ ص٢٠٤ وج ٤١ ص٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ و ١٣٧.

أنــــا علي وأنــــا ابــــن المطــلــب   المــوت خـيــر لــلـفـتــى من الهرب

فقال له «صلى الله عليه وآله»: يا علي، ماكرته؟!.

قال: نعم يا رسول الله، الحرب خدعة.

وينقل المفيد عن جابر، ونقله غيره من دون تصريح باسم الراوي قوله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتهما. فسمعت التكبير تحتها، فعلمت أن علياً «عليه السلام» قد قتله.

فانكشف أصحابه، حتى طفرت خيولهم الخندق.

وتبادر أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله الخ..»[1].

---

(١) راجع فيما تقدم بتفصيل أو إجمال المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ و ٢٠٣ وإعلام الورى ص١٩٤ و ١٩٥ وتفسير القمي ج٢ ص١٨١ ـ ١٨٥، والبحار ج٢٠ ص٢٢٥ ـ ٢٢٨ و ٢٠٣ فما بعدها و ٢٥٤ ـ ٢٥٦ وج ٤١ ص٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩، والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧١ وشرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٣ و ٤٦ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٣٥.

وراجع المصادر التالية: شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج٢ ص١١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٥ و ٢٩٦ وكنز العمال ج١٠ ص٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٩.

وعند المعتزلي: ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرواً فكبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين[1].

وروي: أن عمرواً جرح رأس علي «عليه السلام»، فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فشده، ونفث فيه، فبرئ وقال: أين أكون إذا خضب هذه من هذه؟![2].

وفي القاموس وغيره: كان علي ذا شجتين في قرني رأسه، إحداهما من عمر بن عبد ود، والثانية من ابن ملجم، ولذا يقال له: ذو القرنين[3].

وعنه «عليه السلام» أنه قال عن عمرو: «وضربني هذه الضربة. وأومأ بيده إلى هامته»[4].

نص الحسكاني:

وقد ذكر لنا الحاكم الحسكاني بعض التفصيلات الهامة هنا، فقال:

«ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت، ثم أقبل إلى علي «عليه السلام»، وكان

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١٣ ص٢٨٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ وتاج العروس ج٩ ص٣٠٧ والنهاية لابن الأثير ج٤ ص٥٢ و ٥١ والقاموس المحيط ج٤ ص٢٥٨ ولسان العرب ج١٣ ص٣٣٢ و ٣٣٣ وراجع: مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٣ لتجد حديث: إنك لذو قرنيها. وكذا نوادر الأصول ص٣٠٧.

(٤) الخصال ج٢ ص٢٦٨ و ٢٦٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٢٤.

رجلاً طويلاً، يدواي دبرة البعير وهو قائم.

وكان علي في تراب دق، لا يثبت قدماه عليه، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلداً من الأرض يثبت قدمه، ويعلوه عمرو بالسيف. وكان في درع عمرو قصر، فلما تشاك بالضربة، تلقاها علي بالترس، فلحق ذباب السيف في رأس علي، حتى قطعت تسعة أكوار، حتى خط السيف في رأس علي.

وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه.

وثارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قتله والذي نفسي بيده.

فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو.

فكبر عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، قتله.

فحز علي رأسه، ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله: يا علي، إن هذه مشية يكرهها الله عز وجل إلا في هذا الموضع الخ..»[1].

وفي نص آخر عند الحسكاني عن علي «عليه السلام»: أنه لما برز لعمرو دعا بدعاء علمه إياه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدرأ في نحره[2]. لكن البعض يقول:

---

(١) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج٢ ص١١ و ١٢ ومجمع البيان ج٨ ص٢٤٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٤ عنه.

(٢) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج٢ ص١٣.

«أتى برأسه وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر: إلا ترى يا رسول الله إلى علي كيف يتيه في مشيته؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: إنها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام»[١].

نصوص أخرى:

وذكر نص آخر: أنه احتز رأسه، وحمله، وألقاه بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله»، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي، ووجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتهلل، فقال: هذا النصر، أو قال: هذا أول النصر[٢].

وقال له أبو بكر: المهاجرون والأنصار رهين شكرك ما بقوا[٣].

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» ضرب عمرواً على حبل العاتق فسقط وثار العجاج.

وقيل: طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فسقط وسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» التكبير، فعرف أن علياً قتله[٤].

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي من ١٣٧.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ والإرشاد للمفيد ص٦١ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ والبحار ج٢٠ ص٢٠٦ وج ٤١ ص٩١ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢.

(٣) مناقب آل طالب ج٣ ص١٣٨.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ من ٥٣٣ و ٥٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ و ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٧.

وحكى البيهقي عن ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته[1].

وقالوا أيضاً: أنه حين قتل علي عمرواً ومن معه «انصرف إلى مقامه الأول، وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً»[2].

وقال علي «عليه السلام» في المناسبة أبياتا نذكرها، ونضم ما ذكروه بعضه إلى بعض، وهي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم أخرجوا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بناب

آلى ابن ود حين شد ألية ... وحلفت فاستمعوا إلى الكذاب

أن لا أصد ولا يولي والتقى ... رجلان يضطربان كل ضراب

عرف ابن عبد حين أبصر صارماً ... يهتز أن الأمر غير لعاب

أرديت عمرواً إذ طغى بمهند ... صافي الحديد مجرب قضاب

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب

فصدرت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطر بزني أثوابي

لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب[3]

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص٦٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٤.

(٣) هذه الأبيات توجد موزعة ومجتمعة في مصادر كثيرة، لكن رواية السهيلي لها تختلف جزئياً عما ذكرناه هنا، ومهما يكن من أمر، فإن ما ذكرناه مذكور كله أو بعضه =

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي رضي الله تعالى عنه[1].

وستأتي لنا: وقفة مع ابن هشام فيما يرتبط بكلامه هذا، وما أشبهه مما سيأتي.

وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق.

قال ابن هشام وغيره: وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذٍ، وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فــرَّ وألــقـى لـنـا رمحـه لـعـلـك عـكـرم لم تـفـعـل

= في المصادر التالية وغيرها: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٦ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٩ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ و ١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ وراجع: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ و ٣٤٤ والبحار ج٤١ ص٩١ عن المناقب وج ٢٠ ص٢٠٥ و ٢٠٦ عنه وص ٢٥٤ و ٢٥٧ عن الإرشاد وص ٦٥ عن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين «عليه السلام» ص٢٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٨ و ١٦٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧ و ١٣٨ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٦ وكنز الفوائد للكراجكي ١٣٧ و ١٣٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ عن ابن هشام.

وولـيـــت تـــعـــدو كعدو الظليم مـــا إن تجـــور عـــن المـــعـــدل
ولـــم تـــلـــق ظـــهـــرك مستأنساً كـــأن قـــفـــاك قـــفـــا فرعل[1]

وحول مبارزة علي لعمرو، وقتله على يده، راجع المصادر الموجودة في الهامش[2]، وبعضها قد صرح بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رد علياً «عليه السلام» مرتين، وأجازه في الثالثة[3].

وذكرت أبيات عمرو في طلب البراز، وجواب علي له بشعر على نفس

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ و ٥٣٥ وراجع: خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٤ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦. والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ و ٢٠٥ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٦.

(٢) راجع فيما عدا المصادر التي تقدمت في الهوامش السابقة ما يلي: مرآة الجنان ج١ ص١٠ وزاد المعاد ج٢ ص١١٨ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص١٥٠ والوفاء ج٢ ص٦٩٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ وتجارب الأمم ج٢ ص١٥٣ والأوئل للعسكري ج٢ ص٢٢٣ والطرائف ص٦٠ والبحار ج٣٩ ص١ عنه.

(٣) خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٧ وينابع المودة ص٩٤ و ١٣٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج٢ ص١٠.

الوزن والقافية في كثير من المصادر أيضاً[١].

يقول أهلكت مالاً لبداً:

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً﴾[٢]، قال:

هو عمرو بن عبد ود، حين عرض عليه علي بن أبي طالب الإسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟! وكان قد أنفق مالاً في الصد عن سبيل الله، فقتله علي[٣].

ولم نجد هذه الرواية إلا في تفسير القمي، فليلاحظ ذلك ولنا مع ما تقدم وقفات، هي التالية:

لماذا طلب عمرو من علي أن يرجع؟!

قال المعتزلي الشافعي، حين بلغ في حديثه الموضع الذي يطلب فيه عمرو من علي «عليه السلام» أن يرجع لأنه لا يحب أن يقتله:

---

(١) راجع عدا المصادر المتقدمة ما يلي: كشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٨ و ١٩٩ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٣ والبحار ج٢٠ ص٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٣٩ وعن ديوان أمير المؤمنين ص٦٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٣ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٧ و ١٦٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ و ٣١٩.

(٢) الآية ٦ من سورة البلد.

(٣) تفسير القمي ج٢ ص٤٢٢ والبحار ج٢٠ ص٢٤٢.

«كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول ـ إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع ـ : والله، ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله. فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيهما»[١].

علي عليه السلام غلام حدث؟! وشيخا قريش:

وقد تقدم أن رواية الواقدي تقول: «فأنت حدث، إنما أردت شيخي قريش، أبا بكر وعمر»[٢].

ورواية المعتزلي تقول: «إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني»[٣].

ونقول:

ألف: أما بالنسبة لصغر سن علي «عليه السلام» فقد كان عمره الشريف حينئذٍ سبعة وعشرين، أو ثمانية وعشرين عاماً. كما هو الأصح والأقوى.

بل بعض الأقوال تزيد في عمره عدة سنوات أخرى على ذلك، ولا يقال لمن هو بهذا السن: أنه غلام حدث.

ب: بالنسبة لأبي بكر وعمر، فإنهما لم يكونا شيخي قريش آنئذٍ، ولا قبل ذلك أيضاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ وراجع: البحار ج٢٠ ص٢٧٤ وسيرة المصطفى ص٥٠٢.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٧١.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤.

ولم يكونا أيضاً معروفين بالفروسية والشجاعة ليقصدهما عمرو بالبراز الذي يريد أن يكتسب به مجداً وشهرة عامة. فقتلهما لم يكن ليكسر شوكة المسلمين العسكرية. أما قتل علي «عليه السلام» فهو المقصود بعد النبي «صلى الله عليه وآله» لهم، لأنه هو الذي قتل فرسانهم في بدر وأحد.

ومن جهة ثالثة: فقد تقدم أن ضرار بن الخطاب، وخالد بن الوليد لم يقتلا عُمر في أحد وفي الخندق، رغم تمكنهما من ذلك.

بل كان موقفهما منه يرشح بروائح المودة والمحبة، والاهتمام بنجاته. وهل خلص أسرى المشركين في بدر غير أبي بكر حسبما تقدم بيانه؟.

جرح علي عليه السلام:

وهـل جرح علي «عليه السلام» حقـاً بسيف عمرو؟! وكان ذا شجتين؟! أم أن المقصود هو أظهار شجاعة عمرو وفروسيته في مقابل علي «عليه السلام»؟!.

إن البلاذري يقول: ويقال: إن علياً لم يجرح قط[1].

الكبرياء والغطرسة:

ذكر الحاكم الحسكاني: أن علياً «عليه السلام» حينما برز لعمرو وكان عمرو طويلاً: «جاء حتى وقف على عمرو، فقال: من أنت؟!.

فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفاً أُجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود، فمن أنت؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥.

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب؟.

قال: نعم.

قال: إن أباك كان لي صديقاً، وأنا أكره أن أقتلك.

فقال له علي «عليه السلام»: لكني لا أكره أن أقتلك.

ثم ذكر تخييره بين الخصال الثلاث، فرفضها، فقال له علي «عليه السلام»: فأنت فارس وأنا راجل.

فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام[1].

فعلي «عليه السلام» إذن يريد إذلال عمرو، وتحطيم كبريائه. وقد تحقق له ما أراد، حتى شكا ذلك عمرو نفسه كما ترى.

إنه عمرو:

قد اعتبر الإسكافي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضنَّ بعلي «عليه السلام» عن مبارزة عمرو، حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً، وفي كلها يحجمون، ويقدم علي، فيسأل الإذن له في البراز، حتى قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنه عمرو.

فقال: وأنا علي[2].

ونقول:

إننا لا نعتقد: أن هذا الكلام دقيق، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان

---

(١) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج٢ ص١١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤.

يعلم قدرات علي عليه الصلاة والسلام، ومدى ما عنده من استعداد للتضحية والإقدام في سبيل الله سبحانه، ومواقفه في بدر، وصده للكتائب في أحد، حتى نادى الملك بين السماء والأرض:

لا فتى إلا علي   لا سيف إلا ذو الفقار

وقد كانت هذه المواقف معروفة لدى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أكثر من أي شخص آخر، وهو الذي ربى علياً «عليه السلام»، وعلمه وهذبه، ودربه.

والصحيح هو: ما ذكره بعض المؤرخين حسبما تقدم وهو: أنه أراد أن يفسح المجال أمام الآخرين، فكان يأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره. وليعلم بذلك فضله، ويظهر زيف دعوى من سوف يحاول الدس والتشويه، وإطلاق الدعاوى الفارغة، لأهداف سياسية، وغيرها.

إذن، فنستطيع أن نلخص الأسباب في ضمن النقاط التالية:

١ ـ لكي يظهر للجميع: أن غير علي «عليه السلام» قد أحجم عن مبارزة عمرو خوفاً وجبناً. ولولا أنه «صلى الله عليه وآله» أمره بالجلوس ثلاث مرات لكان من الممكن للبعض أن يدَّعي: أن كل واحد من المسلمين كان قادراً على مبارزة عمرو وقتله، لكن علياً سبقهم إلى الاستئذان لمبارزته، رغبة منه في الثواب والأجر. وهو أمر يشكر عليه.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يظهر للناس جمعياً: أن عليهم النظر إلى بواطن الأمور، فلا تغرهم الدعاوى العريضة والشعارات الرنانة والانتفاخات الكاذبة في حالات الأمن والرخاء. ولا يجوز أن يخططوا ويقرروا ويتخذوا المواقف استناداً إلى ذلك بل لا بد من اختبار القدرات

والطاقات في الحالات الصعبة، واللحظات المصيرية..

٣ ـ وكان لا بد من التنويه بجهاد علي «عليه السلام»، وتعريف الناس بمن يضحي ويبذل نفسه في سبيل الله سبحانه، وبمن يستثمر تضحيات الآخرين ويسرق جهدهم وجهادهم لمصلحة نفسه أو من يمت إليه بصلة أو رابطة.. ويتضح ذلك من قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي: إنه عمرو[١].

وبذلك يتضح: أن عدم الإذن لعلي «عليه السلام» بمبارزة عمرو في بادئ الأمر، لم يكن رغبة بعلي عن المخاطر، وحباً بالإبقاء عليه، وتعريض غيره لذلك.

٤ ـ وقوله «صلى الله عليه وآله» له: إنه عمرو، فارس يليل أو نحو ذلك، ليفهم الناس: أن هذا الإقدام من علي «عليه السلام» ليس مجرد نزوة طائشة، ألقى نفسه بسببها في المهالك، دون أن يكون عارفاً بحقيقة عمرو، ومكانته في الفروسية، ثم حالفه الحظ فقتله، لأن علياً رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، كما يريد أعداؤه أن يقولوا.

بل كان هذا الإقدام منه عن علم وتثبت، واطلاع تام على شجاعة عمرو، ومكانته بين فرسان العرب.

الخصال الثلاث:

وحين عرض علي «عليه السلام» الخصال الثلاث على عمرو، نجد أن هذه الخصال قد جاءت من خلال الوعي والإحساس بالمسؤولية، وفي أعلى

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٨٣ والبحار ج٢٠ ص٢٢٦ و ٢٠٣ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣.

درجات السداد، وفي منتهى الموضوعية والنصفة. وتركت عمرواً يبوء بعار البغي، والعدوان، والتجني بلا مبرر، ولا سبب على الإطلاق.

فلم يفرض عليه أن يسلم فقط، بل هو كما عرض عليه أن يسلم من منطلق الإنصاف في الدعوة، ولإعطائه فرصة أخيرة لينقذ نفسه من النار، فإنه أيضاً يقدم له خياراً آخر لا يتعارض مع رغاتبه وطموحاته، ولا مع آرائه ومعتقداته، وهو أن يرجع عن حرب محمد والمسلمين. ثم قدم له ما يثير اهتمامه، ويقربه إلى اختيار هذه الخصلة مثيراً أمامه ما يوجب إعادة النظر في صوابية القرار الذي اتخذه في خصومته لمحمد «صلى الله عليه وآله»، مستثيراً في نفسه نوازع الطموح ومستحثاً في داخله المشاعر القبلية التي ينزع إليها، ويعتمد عليها، حين ذكر له: أنه إن يكن محمد صادقاً كان أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب أمره.

وفي كلمته الأخيرة تلويح يقرب من التصريح بما يراود النفوس عادة من حب السلامة والراحة والابتعاد عن المشاكل والمخاطر.

ولكن ما احتج به عمرو لاتخاذه قراره برفض هذ الخصلة الثانية ما كان غير سراب خادع ينطلق من غرور وعنجهية لا مبرر لهما، إلا روح الاستكبار والبغي والتجني والظلم الذي جره بالتالي إلى الخزي والخسران في الدنيا وفي الآخرة، وساء للظالمين بدلاً.

ولم يبق أمام أمير المؤمنين «عليه السلام» إلا أن يبادر إلى دفع غائلة هذا الظالم المتجبر فكان النصر على يديه، وكانت ضربته له التي تعدل عبادة الثقلين.

قطع رجل عمرو:

ويقول ابن شهرآشوب: «وتبادر المسلمون يكبرون، فوجدوه على فرسه برجل واحدة، يحارب علياً «عليه السلام»، ورمى رجله نحو علي، فخاف من هيبتها رجلان، ووقعا في الخندق»[1].

وهذا النص غير معقول: وذلك لأنه إذا كان على فرسه برجل واحدة، فإنه لا يستطيع أن يأخذ رجله عن الأرض يرمي بها علياً «عليه السلام» أو غيره، لأنها حين تقطع لا بد أن يقع القسم المقطوع منها على الأرض إلا أن يكون قد فعل ذلك بعد وقوعه على الأرض.

علي عليه السلام ودرع عمرو:

لما قتل علي «عليه السلام» عمرواً، وأقبل نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووجهه يتهلل قال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟! فإنه ليس في العرب درع مثلها.

فقال علي «عليه السلام»: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي، أو قال: ضربته فاتقاني بسوأته، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه.

وعند الحسكاني: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سأل علياً عن سبب عدم سلبه له[2].

---

(١) مناقب آل طالب ج٣ ص١٣٧.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص٦١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ وشواهد التنزيل ج٢ ص١٢ والبحار ج٢٠ ص٢٥٧ و ٢٠٤ وج ٤١ ص٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ و ٥٣٥ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ =

ويقال: إنه حين جلس على صدر عمرو، يريد أن يذبحه، وهو يكبر الله ويمجده طلب منه عمرو أن لا يسلبه حلته، فقال له علي «عليه السلام»: هي عليَّ أهون من ذلك، ثم ذبحه[1].

وزعم الحلبي: أن هذا اشتباه من الرواة، وأن ذلك كان في حرب أُحد مع طلحة بن أبي طلحة[2].

ويردّ قوله: أنه في قضية أُحد كان السؤال من سعد لعلي «عليه السلام»، وفي الخندق كان السؤال من عمرو لعلي «عليه السلام»، فهما قضيتان.

ونعود فنذكر كلام المعتزلي وهو يقارن بين علي وسعد بن أبي وقاص في ذلك:

«قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على السلب، ويتأسف على فواته (كما في قصة أُحد) وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها، ومبارزه فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفس سلب؟!.

فيقول: كرهت أن أبزّ السبي ثيابه.

فكأن حبيباً (أي أبا تمام) عناه بقوله:

= والروض الأنف ج٣ ص٢٨٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٤.

(١) كنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠.

إن الأسـود أسـود الـغـاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السلب[1]

ونقول:

إننا لا نريد أن نضيف إلى ذلك شيئاً، غير أن ما يستوقفنا هنا هو ما نجده من حرص واهتمام ظاهر لعمر بن الخطاب بأمر الدرع كي لا تفوت علياً، وكأنه يظن أنه «عليه السلام» إنما يحارب ليحصل على الغنائم والأسلاب.

ولم يلتفت إلى أن ما يهم علياً «عليه السلام» هو الدفاع عن أساس الدين، وفتح باب الأمل على مصراعيه أمام المسلمين المهزومين نفسياً، كما أخبر الله عنهم: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا، هُنَالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلزِلُوا زِلزَالاً شَدِيداً..﴾.

إلى أن قال: ﴿.. وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَال وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[2].

أما جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لعمر، ففيه تأكيد منه على أنه «عليه السلام»: لم يزل ولا يزال يتصرف وفق قواعد النبل والرجولة والقيم، حتى في مثل هذا الموقف، الذي هو أكثر المواقف صعوبة وخطراً، حيث تزل فيه الأقدام، وتضيع فيه المعايير والضوابط في زحمة الأهوال والمخاطر، وفي خضم ثورات النفوس والمشاعر.

فسلام الله عليك يا أبا الحسن، يوم ولدت في الكعبة، ويوم اغتالتك يد

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٧.

(٢) الآيات ١٠ ـ ٢٥ من سورة الأحزاب.

الإفك والحقد في مسجد الكوفة، ويوم تبعث حياً، حيث تقف لتسقي المؤمنين والمجاهدين من يدك على حوض الكوثر.

قتله في الله:

ولما أدرك علي «عليه السلام» عمرو بن عبد ود لم يضربه، فوقعوا في علي «عليه السلام»، فرد عنه حذيفة، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: مه يا حذيفة، فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

ثم إنه ضربه، فلما جاء سأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله[1].

ونقول:

إننا لا نشك في أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يقتل عمرواً غضباً لنفسه، وإن كان ذلك جائزاً له.. ولكنه «عليه السلام» أراد أن يتعامل مع الأمور كما لو كان رجلاً عادياً ليمكن أن يقدم للناس العظة والأمثولة بصورة عملية وحية ليروا بأم أعينهم كيف يكون هو الرجل الإلهي، الذي يتعامل مع كل الأمور من موقع المعرفة، والوعي، والثبات والتثبت، ويصل كل أعماله، ما دق منها وقل، وما عظم وجل بالله سبحانه، ليقربه خطوة إليه.

إنه ذلك الجبل الأشم الشامخ، الذي لا تزله الرياح العواصف، وهو الإنسان القوي والرصين، الذي لا يثور ولا يغضب إلا لله، ولله فقط، وحده لا شريك له.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١١٥ والبحار ج٤١ ص٥١.

فبإرادة الله ورضاه يسل سيفه، ويقاتل الأبطال، ويسحق كل جبروتهم وكبريائهم، وهو يغمد سيفه ويستسلم لإرادة الله سبحانه وامتثالاً لأمره، حين يهجمون عليه في بيته، ويضربون زوجته، ويسقطون جنينها، ويحرقون عليه بيته، أو يكادون. وهو علي هنا، وهو علي هناك، ولا أحد غير علي يستطيع أن يفعل ذلك.

الوسام الإلهي:

عن ابن مسعود، وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لمبارزة علي (أو قتل علي) لعمرو بن عبد ود (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خير) من عبادة الثقلين، أو أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة[1].

---

(١) راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: كنز العمال ج١٢ ص٢١٩ وتاريخ بغداد ج١٣ ص١٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص٤٥ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٢ وتلخيصه للذهبي بهامشه، والمناقب للخوارزمي ص٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٨ وشرح المواقف ج٨ ص٣٧١ وفرائد السمطين ج١ ص٢٥٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج٢ ص١٤ والغدير عن بعض من تقدم، وعن هداية المرتاب ص١٤٨ والتفسير الكبير للرازي ج٣٢ ص٣١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٣٢٣ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ وينابيع المودة ص٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وسعد السعود ص١٣٩ والطرائف ص٦٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ و ٣٢٠ وشرح المقاصد للتفتازاني ج٥ ص٢٩٨ وفردوس الأخبار ج٣ ص٤٥٥ ونفحات اللاهوت ص٩١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ والبحار ج٤١ ص٩١ و ٩٦ =

وفي نص آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم[1]، زاد المجلسي والطبرسي قوله:

«وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو. ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو»[2].

تمحلات وتعصبات ابن تيمية:

وقد اعتبر ابن تيمية حديث: قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين، ونحوه، من الأحاديث الموضوعة، التي ليس لها سند صحيح، ولم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من الكتب التي يعتمد عليها. بل ولا يُعرف له أسناد صحيح ولا ضعيف. وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء.

وقد قُتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو، مثل أبي جهل

= وج ٢٠ ص٢٠٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ وج ٦ ص٥ وج ١٦ ص٤٠٣ عن بعض من تقدم، وعن حياة الحيوان (ط القاهرة) ص٢٧٤ وعن المصادر التالية: نهاية العقول (مخطوط) ص١١٤ وروضة الاحباب للدشتكي (مخطوط) ص٣٢٧ وتجهيز الجيش للدهلوي (مخطوط) ص٤٠٧ و ١٦٣ ومفتاح النجاة ص٢٦ وتاريخ آل محمد لبهجت أفندي ص٥٧ ومناقب علي ص٢٦ ووسيلة النجا ص٨٤.

(١) ينابيع المودة ص٩٤ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ص١٢.

(٢) راجع: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ والبحار ج٢٠ ص٢٠٥ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج٢ ص١٢ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧.

وعقبة بن أبي معيط، وشيبة. وقصته في الخندق لم تذكر في الصحاح[1].

أما الذهبي، فقال عن حديث: ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين: «قبح الله رافضياً افتراه»[2].

ونقول:

قد رد الحلبي استبعاده أن تكون ضربة عمرو أفضل من عبادة الثقلين بقوله: «فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين، وخذلان للكافرين»[3].

فإنه إذا كانت قد زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وصاروا يظنون الظنون السيئة بالله سبحانه. وإذا كان المسلمون قد أحجموا عن مبارزة عمرو، خوفاً ورعباً، وكانوا كأن على رؤوسهم الطير.

وإذا كان عمرو هو فارس الأحزاب، الذين هم ألوف كثيرة، وقد جاؤوا لاستئصال المسلمين، وهم قلة، وقد جاءهم اليهود من جانب، وقريش من جانب، وغطفان من جانب، وكانوا في أشد الخوف على نسائهم وذراريهم،

وإذا كان المنافقون لا يألون جهداً في تخذيل الناس وصرفهم عن الحرب، حتى أصبح الرسول «صلى الله عليه وآله» في قلة قليلة، لا تزيد على ثلاث مئة رجل، بل قيل: لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً كما سنرى،

وإذا كان الجوع والبرد يفتكان فيهم، ويضعفان من عزائمهم..

---

(١) منهاج السنة ج٤ ص١٧١ و ١٧٢ باختصار. والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ وسيرة الرسول (ط سنة ١٩٦٨ دار الفكر للجميع) ص٢٢٠.

(٢) تلخيص مستدرك الحاكم للذهبي ج٣ ص٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠.

نعم.. إذا كان ذلك، فمن الطبيعي: أن يكون قتل هذا الكافر فيه حياة الإسلام، وانتعاش المسلمين، وفيه خزي الأحزاب، وفشلهم، وسيأتي بعض الكلام حول: أن النصر كان بسبب قتل عمرو في الفصل التالي إن شاء الله.

وأما بالنسبة لضعف سنده، وعدم ذكره في الصحاح، فلا يقلل ذلك من قيمته واعتباره إذ ما أكثر الأحاديث الصحيحة، والمتواترة التي لم تذكر في كتب الصحاح.

وقد عرفنا تحصب أصحاب الصحاح على علي «عليه السلام» وأهل بيته، وقول ابن تيمية ليس له سند ضعيف ولا صحيح، يكذبه رواية المستدرك لهذا الحديث عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده، وقد قال أبو داود: بهز بن حكيم أحاديثه صحاح[1].

شهادة حذيفة:

قال المفيد: «روى قيس بن الربيع، قال: حدثنا أبو هرون العبدي، عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنا لنتحدث عن علي «عليه السلام» ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي «عليه السلام». هل أنت محدثي بحديث فيه؟.

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي «عليه السلام»! فوالذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» في كفة الميزان، منذ بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل علي «عليه السلام» في

---

(١) خلاصة تهذيب الكمال ص٣٨١، وراجع سائر كتب الرجال والتراجم مثل تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال، وغير ذلك.

الكفة الأخرى لرجح عمل علي «عليه السلام» على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكع: وكيف لا تحمل؟ وأين كان أبو بكر، وعمر، وحذيفة، وجميع أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» يوم عمرو بن عبد ود دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً «عليه السلام»؟! فإنه برز إليه وقتله الله على يده. والذي نفس حذيفة بيده، لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» إلى يوم القيامة[1].

شهادات ومواقف أخرى:

شهادة أبي الهذيل والمعتزلي.

قال المعتزلي:

١ ـ «فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنها أجلُّ من أن يقال: جليلة، وأعظَمُ من أن يُقال: عظيمة.

٢ ـ وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله: علي أم أبو بكر؟

فقال: يا ابن أخي، والله، لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال

(١) الإرشاد ص٥٥ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ وسيرة المصطفى ص٥٠٤ شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٠ و ٦١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٩٥ والبحار ج٢٠ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ونهج الحق ص٢٤٩ و ٢٥٠ وشرح الأخبار ج١ ص٢٢٩ و ٣٠٠.

المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، وتربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

٣ـ وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه الخ..[1].

وعن حذيفة: لو قسمت فضيلة علي «عليه السلام» بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم[2].

٤ ـ وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضَرَبَ علي ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها ـ يعني ضربة عمرو بن عبد ود ـ ولقد ضُرِبَ علي ضربة ما ضرب الإسلام أشأم منها ـ يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله[3].

٥ ـ وقال الحافظ يحيى بن آدم ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ الله وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[4].

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٩ وص ٦٠. وعنه في إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٨ وسيرة المصطفى ص٥٠٣ والبحار ج٢٠ ص٢٧٣.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦١ والنص للمفيد في الإرشاد ص٦١ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ والبحار ج٢٠ ص٢٠٦ و ٢٥٨ وج ٤١ ص٩١ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٨.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٥ والإرشاد للمفيد ص٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٩٦ والبحار ج٢٠ ص٢٥٦ وج ٤١ ص٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١٩ ص٦١ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي ص١٠٦ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧.

٦ ـ وروي أن عمرواً قال لعلي: ما أكرمك قرناً[1].

لا نأكل ثمن الموتى:

قال ابن إسحاق ـ كما رواه البيهقي عنه ـ: وبعث المشركون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشترون جيفة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى[2].

وقال أبو زهرة: «ويظهر: أنه كان عظيماً بين المشركين، يعتزونه، فأرسلوا يطلبون جثمانه»[3].

وقد ذكرت نفس هذه الحادثة: بالنسبة لجيفة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، ونكاد نشك في صحة ذلك. ولعل الزبيريين قد حرفوا ما جرى لجيفة عمرو ليكون لصالح جيفة نوفل وذلك بهدف تضخيم شأن نوفل، ليصبح أهم من عمرو بن عبد ود، زعماً منهم أن روايتهم المكذوبة: أن الزبير قد قتل نوفلاً قد راجت على الناس.

وسيأتي أن علياً «عليه السلام» أيضاً هو الذي قتل نوفلاً وغيره.

وإن كنا نحتمل أيضاً: أن يكون بنو مخزوم قد طلبوا جيفة صاحبهم ليرفعوا من شأنه حتى لا يكون أقل من عمرو.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ والبحار ج٤١ ص٩٠.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٥ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠.

(٣) خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨.

فرح الملائكة بقتل عمرو:

عن الصادق «عليه السلام»: لما قتل علي «عليه السلام» عمرو بن عبد ود أعطى سيفه الحسن «عليه السلام»، وقال: قل لأمك تغسل هذا الصيقل.

فرده وعلي «عليه السلام» عند النبي «صلى الله عليه وآله» وفي وسطه نقطة لم تنقَ، قال: أليس قد غسلته الزهراء.

قال: نعم.

قال: فما هذه النقطة؟.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.

فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة، من دم الرجس النجس؟!

فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ود، فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه، وهو حظي منه، فلا تنتضيني يوماً إلا ورأته الملائكة وصلّت عليك[1].

وليس لدينا ما يثبت أو ينفي صحة هذه الرواية. وحين يصعب علينا فهم بعض ما ورد فيها، فإن علينا أن نكل علم ذلك إلى أهله، ما دام أن ذلك لا يمس أساس العقيدة، ولا يؤثر على الضوابط والمرتكزات العامة للبحث العلمي الرصين.

أين المقداد وعمار؟!

وقد يقال: أين كان المخلصون الأوفياء، والأبرار الأتقياء آنئذٍ عن

---

(١) البحار ج٢٠ ص٢٤٩ و ١٥٠ والخرائج والجرائح ج١ ص٢١٥ و ٢١٦.

مبارزة عمرو بن عبد ود؟!

ولماذا لم يبادروا إلى إجابة طلب النبي «صلى الله عليه وآله»، لينالوا الجنة، التي وعد بها رسول الله من يبارز عمرواً؟!

ونجيب: إنه قد كانت هناك مهمات كثيرة كان لا بد من التصدي لها وإنجازها على يد أهل الإيمان، ومنها: حراسة أبواب الخندق الثمانية، وحراسة الجيش الإسلامي، ومنع جيش الأعداء من التسلل والالتفاف، ورصد جميع تحركات الأعداء، حتى لا يجدوا أنهم في فسحة من أمرهم، ويستطيعوا أن يتصرفوا كما يحلو لهم. وهذا يفرض إفراز قوات تكفي لإنجاز هذه المهمات في المواقع المختلفة..

ولعل من يستطيع النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطمئن لسلامة أدائهم، أو عدم تأثرهم بإغراءات العدو وتسويلاته هم أمثال عمار، والمقداد، وسلمان..

وكانت الكثرة من المقاتلين الآخرين موجودة في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان هو الذي يضبط حركتها، ويهيمن على قرارها، ويراقب مسارها..

ويفترض فيها هي: أن تتولى صد العدو، ومبارزة فرسانه، وتحطيم استكباره وإسقاط عنفوانه..

وقد واجههم عمرو بن عبد ود بالتحدي القوي، وجاءت كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتعبر عن مدى خطورة الموقف، وأهمية الإنجاز الذي يتمثل بسحق هذا التحدي القوي،

الذي يتمثل بسحق هذا التحدي، من خلال قتل عمرو هذا..

وكان الطامحون والطامعون وأصحاب الدعاوى العريضة، وكذلك سائر من يلتقي معهم في الفكر، والرأي والمصالح، يتحلقون حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتصدرون مجالسه، قد فشلوا أمام أنفسهم، وأمام الناس كلهم في اتخاذ القرار الحاسم بالخروج من سجن ذواتهم وذاتياتهم وخصوصياتهم إلى آفاق الحرية في رحاب التقوى والورع، والعزوف عن الدنيا، وطلب رضا الله تبارك وتعالى..

ولذلك امتلأت قلوبهم رعباً وخوفاً من مواجهة أعداء الله، طلباً لمرضاته تبارك وتعالى، وحباً برسوله «صلى الله عليه وآله»..

فأحجموا عن هذا الأمر، حباً بالدنيا، وبادر إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام» صفوة الخلق، وعبد الله، وأخو رسوله، بل نفسه كما صرح به القرآن الكريم.. فأنزل صلوات الله وسلامه عليه ضربته الخالدة، التي تعدل عبادة الثقلين: الجن والإنس إلى يوم القيامة. أنزلها بعدو الله عمرو بن عبد ود.. وألحقه بالفراعنة والجبارين، إلى درك الجحيم.

قتل عمرو هزم بني قريظة والأحزاب:

وحين أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى بني قريظة قال له: «إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود، لا يخذلك»[1].

قال علي «عليه السلام»: «فاجتمع الناس إلي، وسرت حتى دنوت من

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٧ والبحار ج٢٠ ص٢٦١ وج ٤١ من ٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٥.

سورهم، فأشرفوا عليَّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو.

وجعل بعضهم يصيح ببعض، ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل علي عمروا   صاد علي صقرا

قصم علي ظهرا   أبرم علي أمرا

هتك علي سترا

فقلت: الحمد الله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك[1].

وكما كان قتل عمرو سبباً لهزيمة بني قريظة فإنه كان أيضاً سبباً لهزيمة الأحزاب كما سيأتي.

وقد أقنع قتله وقتل ابنه ونوفل بن عبد الله، أقنع قريشاً ومن معها: أن أية مغامرة من هذا القبيل سيكون مصيرها الفشل الذريع، والخيبة القاتلة.

وسيأتي في أواخر الفصل التالي نصوص تدل على أن قتل عمرو ومن معه كان سبب هزيمة الأحزاب فانتظر.

الخوارج وحديث قتل عمرو:

كنا نتوقع كل شيء من أعداء علي عليه الصلاة والسلام، إلا أننا لم نتوقع أبداً أن يشككوا في قتل علي «عليه السلام» لعمرو بن عبد ود.

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٨ والبحار ج٢٠ ص٢٦١ و ٢٦٢ وج ٤١ ص٩٥ و ٩٦ ومناقب آل طالب ج٣ ص١٤٥.

وقد ألفت نظري الحاكم النيسابوري، وهو يورد في مستدركه أحاديث صحيحة تثبت قتل علي «عليه السلام» لعمرو، فتساءلت في نفسي عن الداعي لإيراد أحاديث في أمر هو من أوضح الواضحات وأجلاها، وإذا به هو نفسه يصرح بسبب ذلك، ويبين لنا: أن أعداء علي قد حاولوا التشكيك حتى بهذا الأمر،فهو يقول:

«قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة، ومما عن عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني، ليتقرر عند المصنف من أهل العلم: أن عمرو بن عبد ود لم يقتله، ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وإنما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: أن محمد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة، وأخذ بعض السلب.

ووالله، ما بلغنا هذا من أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وكيف يجوز هذا وعلي رضي الله عنه يقول ما بلغنا: إني ترفعت عن سلب ابن عمي، فتركته. وهذا جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»»[1] انتهى.

متى قتل عمرو؟:

أما متى قتل عمرو، فإن اليعقوبي يقول: إن قتله كان بعد مضي خمسة أيام من الحصار[2].

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠.

لكن آخرين يقولون: إن ذلك كان بعد مضي بضع وعشرين ليلة منه[1].

وفريق ثالث يقول: بعد مضي شهر من الحصار[2].

ونحن نستقرب هذا الأخير: وذلك لما تقدم من أن الحصار قد دام شهراً. وقد علمنا أن قتل عمرو، كما سيأتي في أواخر الفصل التالي، كان سبب هزيمة الأحزاب بالإضافة إلى الريح العاتية التي أرسلها الله تعالى عليهم.

قتل حسل بن عمرو بن عبد ود:

قال ابن هشام: حدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري، أنه قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذٍ عمرو بن عبد ود، وابنه حسل بن عمرو.

قال ابن هشام: عمرو بن عبد ود، يقال: عمرو بن عبد[3].

قتل نوفل بن عبد الله:

قد ادَّعت بعض المرويات: أن الزبير بن العوام هو الذي قتل نوفل بن عبد الله فهي تقول: «رجع المشركون هاربين، وخرج في آثارهم الزبير وعمر

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٧ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٣ وإعلام الورى ص٩١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ والبحار ج٢٠ ص٢٠٢ و ٢٥١ و ٢٥٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٦.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٢ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٥ وراجع: سيرة المصطفى ص٥٠٢ و ٥٠٣ عنه والبداية والنهاية ج٤ ص١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٨ و ١٩٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ وراجع: نهاية الأرب ج١٧ ص١٧٩.

بن الخطاب، فناوشوهم ساعة، وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف، حتى شقه باثنين، وقطع أبدوج (أو أندوج) سرجه، حتى خلص إلى كاهل الفرس.

فقيل: يا أبا عبد الله، ما رأينا سيفك!!.

فقال: والله، ما هو السيف، ولكنها الساعد»[1].

وذكر البعض: أن نوفلاً سأل المبارزة، فبارزه الزبير، فشقه باثنتين، حتى فل في سيفه فلاً، وانصرف، وهو يقول:

إني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي[2]

لكن نصاً آخر يقول: إنه لما وقع نوفل في الخندق، وجعل المسلمون يرمونه، وطلب أن ينزل بعضهم إليه ليقاتله، فقتله الزبير بن العوام[3].

وفي الوفاء: بارزه الزبير، فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة[4].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧١ و ٤٧٢ لكنه ذكره بلفظ يقال، وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٨ وفيه: عثمان بن عبد الله.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص٢٤٩ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٦، وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠.

(٣) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٥.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٣ وراجع: فتح الباري ج٧ ص٣٠٧ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧.

قال دحلان: «ويمكن أن علياً والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله»[١].

ونقول:

إننا نشك في ذلك كثيراً، وذلك للأمور التالية:

١ ـ إن البعض ينسب قتل نوفل إلى المسلمين، فهو يقول عن عمرو: «ودنا منه علي، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي، فولى أصحابه الأدبار، وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة حتى قتل»[٢].

٢ ـ وقال البلاذري وغيره: «ونجا أصحاب عمرو إلا رجلاً سقط في الخندق، فتكسر، ورماه المسلمون حتى مات»[٣].

٣ ـ أما ابن الأثير فقد حاول أن يبهم الأمر، حيث قال: «وقتل مع عمرو رجلان، قتل علي أحدهما، وأصاب الآخر سهم مات منه بمكة»[٤].

فإذا عرفنا: أن مقصوده بالرجل الآخر الذي قتله علي ليس هو حسل بن عمرو، لأن كثيراً من المؤرخين سكتوا عن ذكره، وهم مجمعون على قتل نوفل بن عبد الله،

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥.

(٣) أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ عن معالم التنزيل، وراجع: عيون الأثر ج٢ ص٦٠ عن ابن عائذ. وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج١ ص١١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥ و ٣٢٠. وراجع كذلك: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٩ عن ابن أبي شيبة.

(٤) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٢.

وعرفنا أيضاً: أن الذي أصابه سهم فمات منه بمكة هو ـ كما سيأتي ـ منبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه[١]،

فإننا نعرف أنه يقصد بالذي قتله علي هو نوفل بن عبد الله بالذات.

وثمة فريق آخر يقول بصراحة: إن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل نوفلاً.

٤ ـ قال اليعقوبي: «وكبا بنوفل بن عبدالله بن المغيرة فرسه، فلحقه علي فقتله»[٢].

وقال الطبرسي، وابن كثير، والطبري: إنه لما تورط في الخندق جعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله، وطلب المشركون رمته، فمكنهم من أخذه[٣].

وذكرت بعض المصادر: أنه «عليه السلام» ضربه بالسيف فقطعه

---

(١) ستأتي مصادر ذلك حين الكلام عن عدد الشهداء من المسلمين، والقتلى من المشركين، أواخر الفصل التالي إن شاء تعالى.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج١ ص٢٦٦.

(٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج٢ ص٢٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٦ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧ والبحار ج٤١ ص٩٠ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥ وراجع ص٣٢٠ وسيرة المصطفى ص٥٠٢ والبحار ج٢٠ ص٢٧٤ ومحمد رسول الله، لمحمد رضا ص٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ و ٥ وشرح النهج للمعزلي ج١٩ ص٦٤ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٧ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٦ والإرشاد للمفيد ص٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ وإعلام الورى ص١٩٥.

نصفين[1].

وذكر ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فمات في الخندق[2].

٥ ـ هذا كله، عدا عن أن الشعر المنسوب إلى الزبير أنه قاله في هذه المناسبة غير مستقيم الوزن، فليلاحظ ذلك.

وأخيراً:

فإننا نذكر القارئ الكريم بأن هؤلاء الناس قد عودونا أن يغيروا على فضائل علي وعلى مواقفه «عليه السلام»، وينسبوها لغيره، ممن لهم فيه هوى، ولو لم يستطع أن يسجل حتى موقفاً رسالياً وجهادياً واحداً طيلة حياته.

إنما هي جيفة حمار:

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله، يشترونها، وأعطوا فيها عشرة آلاف درهم، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنما هي جيفة حمار، وكره ثمنه، فخلى بينهم وبينه[3].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥.

(٢) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ ودلائل النبوة ج٣ ص٤٣٨ عن ابن إسحاق والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥ والبحار ج٢٠ ص٢٠٥ و ٢٥٦ وج٤١ ص٩٠ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧.

(٣) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٤ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥. وراجع: عيون الأثر ج٢ =

وقال البعض: إنهم عرضوا الدية، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنه خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته، فلا إرب لنا في ديته، ولسنا نمنعكم أن تدفنوه[١].

وفي رواية أخرى: أنهم عرضوا اثني عشر ألفاً ثمناً لجسد رجل من المشركين يوم الأحزاب[٢].

ونص آخر يقول: إن أبا سفيان هو الذي بعث بديته مئة من الإبل[٣].

ولهذا الحديث نصوص مختلفة، فلتراجع في مصادرها[٤].

وبعد هذا، فلا يمكن الاعتماد على رواية الحاكم عن ابن عباس، قال: قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله «صلى

= ص٦٠ وحديث العشرة آلاف موجود في السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٥.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٦ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وراجع: عيون الأثر ج٢ ص٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٤ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص٢٤٧ و ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٠٥ و ٣٠٦.

(٣) راجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٤ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٩ عن ابن أبي شيبة.

(٤) راجع بالإضافة إلى جميع المصادر المتقدمة ما يلي: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ و ٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص٢٠٦ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٢.

الله عليه وآله» حتى أعطوه الدية[١].

فإنها رواية لا تصح بأي وجه.

الزبير وهبيرة بن وهب:

يقول القمي: إنه بعد أن قتل علي «عليه السلام» عمرواً «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» الزبير إلى هبيرة بن وهب، فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته»[٢].

وتقول رواية أخرى: أدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب، فضربه، فقطع ثفر[٣] فرسه، وسقطت درع كانت عليه، فأخذها الزبير[٤].

ونص ثالث يقول: ومر عمر بن الخطاب في أثر القوم، فناوشهم ساعة وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب، فأخذها الزبير[٥].

وهبيرة هو زوج أم هاني أخت علي وأبو أولادها وكان فارس قريش

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٣٢ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وقالا: إنه حديث صيحح.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٨٥ والبحار ج٢٠ ص٢٢٨.

(٣) الثفر: سير في مؤخر السرج (والسير: قطعة مستطيلة من الجلد).

(٤) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٤ من ٥٣٥ والرسول العربي وفن الحرب ص٢٤٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧.

(٥) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢.

كما يقولون[1].

نحن نشك في صحة ذلك، وذلك استناداً إلى ما يلي:

١ ـ لو كان الزبير قد ضرب هبيرة بالسيف حتى فلق هامته، فاللازم أن يكون قد قُتل، مع أن الجميع متفقون على أنه لم يقتل آنئذٍ.

٢ ـ قد ذكرت بعض النصوص: أن علياً لحق هبيرة فأعجزه، وضرب قربوس سرجه، فسقطت درع كانت عليه وفر عكرمة، وهرب ضرار[2].

٣ ـ ويفصل ذلك نص آخر، فيقول: ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة على علي، فأقبل علي عليهما. فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت أولاً، ثم ألقى درعه وهرب. وكان فارس قريش وشاعرها[3].

وسئل ضرار عن سبب فراره، فقال: خيل إلي أن الموت يريني صورته[4].

٤ ـ قد اعتذر هبيرة بن أبي وهب عن فراره من وجه علي «عليه السلام»، فقال:

لعمرك ما وليت ظهراً محمداً ... وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد ... لسيفي غناءً إن وقفت ولا نبلي

الخ...

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢١.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ والبحار ج٢٠ ص٢٥٤ و ٢٥٦ وراجع: إعلام الوري ص١٩٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

(٣) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧.

ويؤيد قولهم بأن الفرسان قد هاجموا علياً بعد قتله عمرواً، قوله «عليه السلام»:

أعــلي تـقـتـحم الفوراس هكـذا   عــني وعـنـهـم أخـروا أصحـابي

ولعل مواجهة هبيرة لعلي «عليه السلام» ولو للحظات جعلته يستحق وسام فارس قريش وشاعرها.

٥ ـ ثم إننا لم نفهم السبب في أن اللذين خرجا في أثر الهاربين هما الزبير وعمر فقط؟! وأين كان عنهم سائر فرسان المسلمين؟ ولماذا لم يتبعهم علي نفسه؟!

واحدي يا رسول الله:

وروى ابن أبي شيبة من مرسل عكرمة: أن رجلاً من المشركين قال يوم الخندق: من يبارز.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: قم يا زبير.

فقالت صفية بنت عبد المطلب: واحدي يا رسول الله.

فقال: قم يا زبير.

فقام الزبير فقتله. ثم جاء بسلبه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فنفله إياه[1].

ونقول: إننا نشك في صحة هذه الرواية.

أولاً: لأن صفية كانت مع النساء في حصن حسان حسبما تقدم، فما الذي جاء بها إلى ساحة القتال، في هذه الساعة الحساسة والحاسمة بالذات؟ وهل كان «صلى الله عليه وآله» يسمح للنساء بالتردد إلى ساحة الحرب؟!.

---

(١) فتح الباري ج٧ ص٣١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٩.

ثانياً: إن هذا الحديث مرسل، وهو ينتهي أيضاً إلى عكرمة المعروف بالكذب والوضع، وقد تحدثنا عن بعض حاله في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير» فليراجع.

ثالثاً: إننا نستبعد أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد خص الزبير بالطلب إليه أن يبارز ذلك الرجل، وهو قبل قليل قد طلب التطوع من المسلمين بمبارزة عمرو. فما هذه السياسة، وما هي مبرراتها يا ترى؟!

عمر وضرار بن الخطاب:

قال المعتزلي: «وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد مس الرمح رفعه عنه، وقال: إنها لنعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إني كنت آليت أن لا تمكنني يداي من قتل قرشي، فأقتله. وانصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه»[1] وهم عند جبل أبي عبيد.

وفي نص آخر: ذكر حملة الزبير وعمر بقية أصحاب عمرو، وقد كان ضرار يفر، وعمر يشتد في أثره. فكر ضرار راجعاً، وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال:

«يا عمر، هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك، ويدٌ لي عندك غير مجزي بها فاحفظها»[2].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ والبحار ج٢٠ ص٢٧٤ عنه والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧.

لكن القمي ذكر للرواية نصاً آخر، فقال: «أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً.

فقال ضرار: ويحك يا بن صهاك، أترميني في مبارزة؟ والله، لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلا قتلته.

فانهزم عنه عمر، ومر نحوه ضرار، وضربه على رأسه بالقناة، ثم قال: احفظها يا عمر، فإنني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه.

فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، فولاه»[1].

ونشير نحن هنا إلى ما يلي:

ألف: إن من الممكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أمر عمر بمبارزة ضرار، أثناء مبارزة علي «عليه السلام» لعمرو، فحمل عليه ضرار، حتى إذا وجد مس الرمح رفعه وقال له مقالته تلك. ثم لما قتل عمرو وحسل وهجم علي «عليه السلام» على ضرار وهبيرة ونوفل فهربوا، عاد وقتل نوفلاً.

ب: إننا لا نصدق أن يكون ضرار قد فر من عمر، لأن ضراراً يعرف عمر ومدى شجاعته، إلا أن يكون فر من السهم الذي حاول عمر أن يرميه به، ثم عاد فهاجهم عمر، وجرى بينهما ما جرى.

ج: إن هذه القضية قد حدثت أيضاً بين ضرار وبين عمر في غزوة أحد، وقال له نفس هذه المقالة المذكورة عنه آنفاً، وقد ذكرهما الواقدي في

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٨٥ والبحار ج٢٠ ص٢٢٨ عنه.

كتاب المغازي.

وحسب نص الحلبي: إنه ضرب عمر بالقناة ثم رفعها وقال: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب[1].

د: إننا نجد عمر يهتم بأمر ضرار بصورة ملفتة للنظر، فقد ذكر القمي: أنه ولاه ـ وقد تقدم ـ كما أنه حين قال عبد الرحمن بن عوف لرباح وهم في طريق مكة: غننا.

قال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب[2].

وهذا التعظيم لضرار قد سرى إلى الآخرين حتى قالوا عنه: إنه فارس قريش وشاعرهم[3]. ولعلهم أعطوه هذا الوسام لأنه أراد أن يقدم على علي ثم هرب.

عمر ليس أخا ضرار:

وقد قال البعض: إن ضرار بن الخطاب كان أخاً لعمر بن الخطاب[4].

وهذا غير صحيح: فإن عمر بن الخطاب كان من بني عدي، أما ضرار فكان من بني فهر، وشتان ما بينهما.

والذي أوجب الغلط لدى هؤلاء هو أن أبويهما كان اسمهما الخطاب، فتخيلوا أن الخطاب رجل واحد.

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٤ عنه، والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ و ٨.

(٢) الإصابة ج٢ ص٢٠٩.

(٣) الإستيعاب مطبوع بهامش الإصابة ج٢ ص٢١٠.

(٤) السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١.

الآن نغزوهم ولا يغزوننا:

قال المفيد «رحمه الله»: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع والخطاب، ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، إذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» **بعد قتله هؤلاء النفر**: الآن نغزوهم ولا يغزوننا»[1].

الأشعار في غزوة الخندق

هناك أشعار كثيرة في مناسبة غزوة الخندق نختار باقة منها وهي التالية:

عن علي «عليه السلام» أنه قال:

وكانوا على الإسلام إلباً ثلاثة ... فقد خر من تلك الثلاثة واحد

وفر أبو عمرو هبيرة لم يعد ... ولكن أخو الحرب المجرب عائد

نهتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا ... غداة التقينا والرماح مصائد

وعنه «عليه السلام»:

الحمد لله الجميل المفضل ... المسبغ المولي العطاء المجزل

شكراً على تمكينه لرسوله ... بالنصر منه على الغواة الجهل

كم نعمة لا أستطيع بلوغها ... جهداً ولو أعملت طاقة مقول

لله أصبح فضله متظاهراً ... منه علي سألت أم لم أسأل

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٦٢. وستأتي فقرة: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، مع ما لها من مصادر في أواخر الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

قـد عـايـن الأحزاب مـن تأييده　　　جـنـد النبي وذي البيـان المرسل
مـا فـيـه مـوعـظة لـكـل مفـكر　　　إن كـان ذا عـقـل وإن لم يـعـقل

وعنه «عليه السلام» مخاطباً لعمرو بن عبد ود:

يـا عـمرو قـد لاقيت فارس بهمة　　　عنـد الـلـقـاء مـعـاود الأقـدام
مـن آل هـاشـم مـن سناء باهر　　　ومـهـذبـيـن مـتـوجـيـن كـرام
يـدعـو إلى ديـن الإلـه ونصره　　　وإلى الهـدى وشـرائـع الإسلام
بـمـهـنـد عـضـب رقـيـق حـده　　　ذي رونـق يـقـري الـفـقار حسام
ومحـمـد فـيـنـا كـأن جبيـنـه　　　شـمـس تجـلـت مـن خـلال غمام
والله نـاصـر ديـنـه ونـبـيـه　　　ومـعـيـن كـل مـوحـد مـقـدام
شـهدت قـريـش والـقـبائل كلها　　　أن لـيـس فـيـها من يقوم مقامي[1]

وروي أنه لما قتل عمرواً أنشد:

ضـربـتـه بـالسيـف فـوق الهامة　　　بـضـربـة صـارمـة هـدامـة
أنـا عـلي صاحب الصمصامة　　　وصـاحب الحـوض لدى القيامة
أخـو رسـول الله ذي الـعـلامة　　　قـد قـال إذ عممـنـي عـمامة
أنـت الـذي بـعـدي لـه الإمـامـة[2]

---

(١) راجع المقطوعات الثلاثة المتقدمة في: البحار ج٢٠ ص٢٧٩ و ٢٨٠ وج ٤١ ص٨٩ و ٩١ و ٩٠ عن ديوان علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ص٤٦ و ١٠٩ و ١١٠ و ١٢٦ و ١٢٧ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص١٣٦ و ١٣٧.

(٢) البحار ج٤١ ص٨٨.

وقال حسان بن ثابت:

أمسى (الفتى) عمرو بن عبد يبتغي ... بجنوب يثرب عادة لم تنظر

ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر

ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً غير ضرب المحسر

أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر[1]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم ينكرها لحسان فأجابه فتى من بني عامر:

كذبتم وبيت الله لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشمين فافخروا

بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا ... بكف علي نلتم ذاك فاقصروا

ولم تقتلوا عمرو بن عبد بأسكم ... ولكنه الكفؤ الهزبر الغضنفر

علي الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا

ببدر خرجتم للبراز فردكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا

فلما أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهند يخطر

فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقلبوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا

فجال علي جولة هاشمية ... فدمرهم لما عتوا وتكبروا

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٦ والبحار ج٢٠ ص٢٥٩ وج ٤١ ص٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٨١ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٢٩٠ والبيت الأول فيه وفي البحار عن الإرشاد هكذا:

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً ... كيف العبور وليته لم ينظر

فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... وليس لكم فخر نعد ونذكر[1]

وروي أن علياً «عليه السلام» لما قتل عمرواً لم يسلبه، وجاءت أخت عمرو حتى قامت عليه فلما رأته غير مسلوب سلبه قالت: ما قتله إلا كفؤ كريم، ثم سألت عن قاتله، قالوا: علي بن أبي طالب، فأنشأت هذين البيتين[2]:

ولكن نصاً آخر يقول: لما نعي عمرو إلى أخته قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟!

فقالوا: ابن أبي طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم. لأرقأت دمعتي إن هرقتها عليه. قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه.

وفي لفظ آخر: «على يد كريم قومه» ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر. ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمرو لا يعاب به ... من كان يدعى قديماً بيضة البلد[3]

وقال المعتزلي: «فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه «عليه السلام» قتلهم أظهر وأكثر، أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٦ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٦ والبحار ج٢٠ ص٢٥٩ وج ٤١ ص٩٩.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢.

(٣) الإرشاد للمفيد ص٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٧ والبحار ج٢٠ ص٢٦٠ وج ٤١ ص٧٣ و ٩٧.

لـو كـان قـاتـل عـمرو غير قاتله　　　بـكـيتـه أبـداً مـا دمـت في الأبـد

لـكـن قـاتـلـه مـن لا نـظير له　　　وكـان يـدعـى أبـوه بيضة البلد[1]

وقالت أيضاً في ذلك:

أسـدان في ضـيـق المكـر تصاولا　　　وكـلاهما كـفـؤ كـريم باسل

فتخـالسـا مهج الـنفوس كـلاهما　　　وسـط المـدار مخـاتـل ومقاتـل

وكـلاهمـا حضـر القـراع حفيظة　　　لم يـثـنـه عـن ذاك شـغـل شـاغـل

فـاذهـب عـلي فـما ظـفـرت بـمثله　　　قـول سـديـد لـيـس فـيـه تحامـل

والـثـار عـنـدي يـا عـلي فـلـيتني　　　أدركـه والـعـقـل مـنـي كـامـل

ذلـت قـريـش بـعـد مقتل فارس　　　فـالـذل مـهلكها وخزي شـامـل

ثم قالت: والله، لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النيب[2].

وقال مسافع بن عبد مناف يبكي عمرو بن عبد ود، لما جزع المذاد، أي قطع الخندق:

عـمـرو بـن عبد كـان أول فـارس　　　جـزع المـذاد وكـان فارس مليل[3]

إلى أن قال:

سـأل الـنـزال هـنـاك فارس غالب　　　بـجـنـوب سـلـع لـيتـه لم يـنـزل

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٠ والبيتان في لسان العرب أيضاً ج٨ ص١٩٥ وفيه: بكيته ما أقام الروح في جسدي. وراجع مستدرك الحاكم ج٣ ص٣٣.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٧ والبحار ج٢٠ ص٢٦٠ وج ٤١ ص٩٨.

(٣) الصحيح: يليل، وهو واد ببدر.

فاذهب علي ما ظفرت بمثلها فخراً ولو لاقيت مثل المعضل
نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت الخ ..»[1]

وعند ابن هشام: تسل النزال علي فارس غالب.

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب وتركه عمرواً يوم الخندق، ويبكيه:

لعمرك ما وليت ظهراً محمداً وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي عناء إن وقفت ولا نبلي

إلى أن يقول:

كفتك علي لن ترى مثل موقف وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها أمنت بها ما عشت من زلة النعل[2]

وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمرواً، ويبكيه:

لقد علمت علياً لؤي بن غالب لفارسها عمرو إذ ناب نائب
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه[3] علي، وإن الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٨ وذكرها في آخر العثمانية ص٣٣٦ عنه، وراجع: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٧٨ و ٢٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص٢٨٩ وعيون الأثر ج٢ ص٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨٠ والملحق بالعثمانية ص٣٣٦.

(٣) وفي نسخة (يسومه).

فيا لهف نفسي إن عمرواً لكائن ... بيثرب لا زالت هناك المصائب

لقد أحرز العليا علي بقتله ... وللخير يوماً لا محالة جالب[١]

وقال حسان:

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو ... ومخزوم وتيم ما نقيل

وعمرو كالحسام فتى قريش ... كأن جبينه سيف صقيل

فتى من نسل عامر أريحي ... تطاوله الأسنة والنصول

دعاه الفارس المقدام لما ... تكشفت المقانب والخيول

أبو حسن فقنعه حساماً ... جرازاً لا أفل ولا نكول

فغادره مكباً مسلحباً ... على عفراء لا بعد القتيل[٢]

وقال مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو، فأجلوا عنه وتركوه:

عمرو بن عبد والجياد يقودها ... خيل تقاد له وخيل تنعل

أجلت فوراسه وغادر رهطه ... ركناً عظيماً كان فيها أول

عجباً وإن أعجب فقد أبصرته ... مهما تسوم علي عمرواً ينزل

لا تبعدن فقد أصبت بقتله ... ولقيت قبل الموت أمراً يثقل

وهبيرة المسلوب ولى مدبراً ... عند القتال مخافة أن يقتلوا

---

(١) المصدر السابق ج٣ ص٢٨٩ و ٢٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨١ والملحق بالعثمانية ص٣٣٧.

(٢) مسلحب: منبطح. والأبيات في شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج١٣ ص٢٩٠ والملحق بالعثمانية ص٣٣٧.

وضـرار كـان الـبـاس منه محضراً ولى كـما ولـى الـلـئـيـم الأعزل[1]

قال ابن هشام: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له. وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:

بـقـيـتـكـم عمـرو أبـحناه بالقنـا بـيـثـرب نـحـمي والحـماة قـلـيـل
ونـحـن قـتـلـنـاكم بكـل مهـنـد الخ..

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان[2].

وروى المعتزلي عن بعض شعراء الإمامية قوله:

إذ كـنـتـم ممـن يـروم لحـاقـه فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب[3]

ولا ننسى هنا قول الأزري «رحمه الله»:

فـانـتـضى مـشـرفـيـه فـتـلـقـى سـاق عـمـرو بـضـربـة فـبراهـا
وإلى الحـشـر رنـة الـسـيـف منـه يـمـلأ الخـافـقـين رجـع صـداها
يـا لهـا ضـربـة حـوت مكرمـات لم يـزن ثـقـل أجـرهـا ثـقـلاها
هـذه مـن عـلاه إحـدى المعـالي وعـلى هـذه فـقـس مـا سـواهـا

المكر المفضوح:

إن من يلاحظ سيرة ابن هشام، التي ادَّعى أنها تلخيص لسيرة ابن إسحاق، ويقارن بينها وبين ما وصل إلينا من سيرة ابن إسحاق، من طرق

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٨١.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٥ ص٧.

الآخرين يجد: أن ابن هشام لم يكن يريد مجرد تلخيص سيرة ذلك الرجل العلامة الخبير والمعتمد في شأن السيرة النبوية الشريفة.

بل أراد أيضاً: أن يستبعد نصوصاً ذات طابع معين رأى أن الاحتفاظ بها يضر ببعض الاتجاهات، أو يضع علامة استفهام كبيرة عليها.

وهذا الأمر: يضع عمل ابن هشام في السيرة في عداد الأعمال الخيانية بالنسبة للحق وللحقيقة، من منطلق تعصب مذهبي بغيض ومقيت.

والذي يلاحظ تعليقات ابن هشام على الأشعار المتقدمة يجد: أنه يحاول التشكيك في خصوص ذلك النوع من الشعر الذي يمقته ويبغضه، ولا يطيقه، فيدعي أن أكثر أهل العلم ينكره لحسان، أو لعلي، أو لمسافع الخ..

رغم أننا لم نعثر ولو على رجل واحد قد أنكر أياً من تلك المقطوعات، أو شكك في نسبتها لأصحابها. ما عدا أولئك الذين لا وجود لهم إلا في مخيلة ابن هشام.

ولا نريد بعد هذا أن نسأل ابن هشام ولا غيره: عن سبب تشكيكهم ذاك. فإننا لن نسمع منه جواباً مقنعاً ولا مقبولاً، مهما طال بنا الانتظار.

تعصب يثير الغثيان:

كنا نتوقع كل شيء من التجني، والافتراء، والتحريف للحقائق الثابتة، بدافع من الحقد والتعصب ضد علي وأهل بيته «عليهم السلام»، إلا أننا لم نتوقع أن يتجاهل هؤلاء الحاقدون الأغبياء مواقف وبطولات وأثر علي في حرب الخندق، خصوصاً قتله كبش كتيبة جيش الشرك عمرو بن عبد ود العامري، لأن تجاهل مثل هذا الحدث المصيري، الذي شاع وذاع، يحتاج إلى

درجة كبيرة من الشجاعة النادرة، أو فقل إلى درجة عالية من الوقاحة الفاجرة.

وهذا ما حصل بالفعل: حيث نجد بعضهم ليس فقط لا يذكر لعلي «عليه السلام» خبراً، ولا يورد في مواقفه أثراً. بل هو يكاد يجهر بإنكار تلك المواقف الرسالية الرائدة.

حيث يقول أحدهم: «ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالنبل والحصا، فأوقع الله بينهم التخاذل، ثم أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريح الصبا الشديدة في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزلزلتهم، حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة فارتحلوا خائبين»[1]. ثم يذكر إرسال الزبير بن العوام لكشف خبر القوم.

بينما نجد رجلاً مسيحياً، لا يرغب بالاعتراف للمسلمين بشيء ذي بال، يعتبر قتل علي «عليه السلام» لعمرو ولصاحبه «سبب هزيمة الأحزاب على كثرة عَدَدِهم، ووفرة عِدَدِهم»[2].

فشتان ما بين هذا الرجل، وبين أولئك، ولا حول ولا قوة بالله.

من تشكيكات الجاحظ وتعصباته:

قد ادَّعى ابن تيمية: أن عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا في هذه

---

(١) حدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ وراجع: الزمخشري في الكشاف ج٣ ص٥٢٦ وقد تعجب منه في سعد السعود ص١٣٨ و ١٣٩.

(٢) تاريخ مختصر الدول ص٩٥.

الغزوة[1].

وقد حاول الجاحظ أن يدَّعي: أن شهرة عمرو بن عبد ود بالشجاعة مصنوعة، من قبل محبي علي، حتى تركوه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتيبة بن الحارث، وبسطام بن قيس، مع أنه لم يسمع لعمرو ذكر في حرب الفجار، ولا في الحروب بين قريش ودوس.

وقد رد عليه الإسكافي بما حاصله: أن أمر عمرو بن عبد ود أشهر من أن يذكر، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل. ثم ذكر شعر مسافع بن عبد مناف، وشعره الآخر في رثائه له.

وليس أحد يذكر عمرواً إلا قال: كان فارس قريش وشجاعها، وقد شهد بدراً، وجرح فيها، وقتل قوماً من المسلمين. وكان عاهد الله عند الكعبة أن لا يدعوه أحد إلى إحدى ثلاث خصال إلا قبلها، وآثاره في أيام الفجار مشهورة.

كما أنه لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، جبن المسلمون كلهم عنه، وهو يوبخهم ويقرعهم، وملكهم الرعب والوهل، فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

وإنما لم يذكر مع الفرسان الثلاثة لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب، وأهل بادية، وقريش أهل مدينة، وساكنوا مدر وحجر، لا يرون الغارات، ولا ينهبون غيرهم من العرب، وهم مقيمون ببلدتهم، فلم يشتهر اسمه

---

(١) منهاج السنة ج٤ ص١٧٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ وسيرة الرسول ص٢٢٠.

كاشتهار هؤلاء[1].

هذا كله: بالإضافة إلى أنه كان قد نذر في بدر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمداً. وكان أيضاً معروفاً بفارس يليل، وقد ذكر ذلك مسافع بن عمرو في شعره الذي يرثيه فيه.

وقد وصفه النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأنه فارس يليل أيضاً.

هذا وقد قتل عمرو في بدر عمير بن أبي وقاص، وسعد بن خيثمة[2] وكان على ميسرة قريش في بدر[3].

المعركة التي لا حقيقة لها:

قالوا: ولما قتل عمرو، ورجع المنهزمون إلى أبي سفيان قال: هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء، ارجعوا.

فنفرت قريش إلى العقيق، ورجعت غطفان إلى منازلها، واستعَدّوا يغدون جمعياً، ولا يتخلف منهم أحد. فباتت قريش يعبئون أصحابهم، وكذلك غطفان، ووافوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخندق، قبل طلوع الشمس. ولم يتخلف منهم أحد، وعبأ «صلى الله عليه وآله» أصحابه، وحضهم على القتال، ووعدهم النصر إن صبروا. والمشركون قد جعلوا

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٩١ وراجع الملحق آخر العثمانية ص٣٣٥ ـ ٣٣٩.

(٢) قد تقدمت مصادر كثير مما ذكرناه. وراجع أيضاً: شرح النهج للمعتزلي ج١٤ ص٢٠٧ وراجع أيضاً السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٤ ص١٢٠.

المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم، فأحدقوا بكل وجه من الخندق، ووجهوا نحو خيمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتيبة غليظة، فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم إلى الليل، وكان القتال من وراء الخندق.

فلما حان وقت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي، ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا، فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أنه «صلى الله عليه وآله» قال: شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطوبهم (أو قبورهم) ناراً.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» ما قدر على صلاة ظهر، ولا عصر، ولا مغرب، ولا عشاء، فجعل أصحابه يقولون: ما صلينا.

فيقول: ولا أنا ـ والله ـ ما صليت.

حتى كشف الله المشركين، فرجعوا متفرقين، ورجع كل من الفريقين إلى منزله.

وقام أسيد بن حضير في ماءتين على شفير الخندق، فكرت خيل المشركين يطلبون غرة، وعليها خالد بن الوليد، فناوشهم ساعة، فزرق وحشي الطفيل بن النعمان. وقيل: الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء الأنصاري السلمي بمزراقة، فقتله، كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد.

فلما صار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى موضع قبته أمر بلالاً، فأذن وأقام للظهر، وأقام بعد لكل صلاة إقامة، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.

أضاف البعض هنا قوله «صلى الله عليه وآله»: ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله تعالى في هذه الساعة غيركم.

وقال يومئذٍ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: شغلنا المشركون عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً.

«ولم يكن لديهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل طمعاً بالغرة»[1].

ونحن نشك في صحة ذلك، لما يلي:

أولاً: صرح بعض المؤرخين: بأنه بعد قتل عمرو ورفاقه لم يحصل أي قتال، فقال:

«ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً، حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل، يطمعون بالغارة»[2].

ثانياً: إنه إذا كان القتال بهذا العنف، فأين القتلى والجرحى، لا سيما مع اجتماع ألوف من الناس؟ أم يعقل أن تكون جميع تلك السهام والحجارة،

---

(١) راجع هذه النصوص باختصار تارة، وبتطويل أخرى في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٦ ـ ٥٣٩ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٢ ـ٤٧٤ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٤ و ١٧٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ والوفاء ص٦٩٤ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ وعيون الأثر ج٢ ص٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠١ و ٤٠٢ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٩ و ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٠ ـ ٢١٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٦ عن ابن سعد ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨.

والحصى، كانت تذهب سدى ولا تصيب أحداً؟!.

ثالثاً: إن القتال لا يمنع من الصلاة بصورة نهائية، فقد كان من الممكن أن يصلوا منفردين، أو أفواجاً.

وقد ذكر الفقهاء: أن الصلاة لا تسقط حتى عن الغريق، فكيف بالمقاتلين؟ وصلاة المطاردة حال القتال مذكورة في الكتب الفقهية، وإذا كان المسلمون لا يعرفونها، فالنبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرفها، فلماذا لم يصلِّها؟!.

رابعاً: إن تناقص الروايات في كثير من خصوصياتها يفقدنا الثقة بها، وبالمراجعة والمقارنة يتضح ذلك بجلاء.

ويكفي أن ننبه: إلى اختلاف الروايات في الصلاة أو الصلوات التي فاتت النبي والمسلمين، فهل فاتتهم صلاة فقط كما في حديث جابر[1] وعلي[2] وابن

---

(١) راجع المصادر المتقدمة، وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص٢٤٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٤ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٩ عن الشيخين، والترمذي، والنسائي، وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٨.

(٢) المصنف للصنعاني ج٥ ص٥٧٦ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٨١ و ٨٢ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٩ عن الخمسة إلا ابن ماجة، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٠ ومسند أحمد ج١ ص٨١ و ٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٨ وعن فتح الباري ج٦ ص١٠٥ وج ٧ ص٤٠٥=

عباس[1] وحذيفة وابن حبيبة[2].

أم أنهم شغلوا عن الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، كما عن جابر أيضاً، وأبي سعيد وابن مسعود[3]؟

أو عن الظهر والعصر، كما عن سعيد بن المسيب وابن عباس وعمر وعلي «عليه السلام»[4]؟

= والدر المنثور ج١ ص٣٠٣ عن الستة، وعن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، وابن أبي حاتم، وراجع: مسند الطيالسي ص١٦ وكنز العمال ج٢ ص٢٤٠ عن البخاري، والبيهقي، وعبد الرزاق، وأحمد، وأبي عبيد في فضائله، والعدني، ومسلم، والنسائي، وابن جرير، وابن خزيمة، وأبي عوانة، وابن زنجويه، وعبد بن حميد وغير ذلك.

(١) كنز العمال ج١ ص٢٤٠ عن الطبراني وص ٢٨٦ عن البيهقي.

(٢) كنز العمال ج١٠ ص٢٨٣ و ٢٨٨.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ و ٣٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٨ عن أحمد، والنسائي، وأحمد عن ابن مسعود، وعن البزار عن جابر، وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١١٠ و ١١١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٢ و ٢١٣ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٨ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٥ عن مصادر عديدة وص ٢٨٨ عن ابن أبي شيبة.

(٤) المصنف للصنعاني ج٥ ص٥٧٦ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦٣ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ عن الموطأ وكنز العمال ج٢ ص٢٤٠ ومجمع الزوائد ج١ ص٣٠٩ عن الطبراني والدر المنثور ج١ ص٣٠٤ و ٣٠٣ عن الطبراني، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ومسلم والنسائي والبيهقي وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٠.

أو الظهر والعصر والمغرب كما في رواية أبي هريرة، وأبي سعيد[1]؟

وفي الموطأ: أن الفائتة هي الظهر[2]، وكذا عن جابر وأم سلمة وعلي وابن مسعود[3].

وبعض الروايات: عن ابن عباس وحذيفة، لم تعين الصلاة أو لم تعين العدو.

قال المقريزي: «فاحتمل أن يكون كله صحيحاً، لأنهم حوصروا في الخندق، وشغلوا بالأحزاب أياماً»[4].

وقد جمع النووي بين هذه الروايات بأن فوات الصلاة قد حصل مرتين لأن الحرب استمرت في الخندق عدة أيام[5].

إستفادات غير موفقة:

وقد حاول البعض: أن يستفيد من هذا الحديث المشكوك أحكاماً

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١١٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٢.

(٢) شرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٨.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج١ ص٣٠٩ و ٣١٠ والدر المنثور ج١ ص٣٠٤ عن البزار وص٣٠٣ عن مصادر أخرى، وكنز العمال ج١٠ ص٢٣٩ عن مصادر كثيرة وكشف الأستار عن مسند البزار ج١ ص١٩٦ و ١٩٧.

(٤) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٣.

(٥) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ ومحمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمحمد رضا ص٢٣.

شرعية وغيرها، فقال بعضهم:

«إن هذا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير لعذر الحرب، وأجازه أحمد وغيره، وقال: وتكون الصلاة المؤخرة أداءً لا قضاءً»[1].

واستدلوا على ذلك أيضاً، أي على جواز التأخير لعذر القتال بقوله «صلى الله عليه وآله»: لا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة، فمنهم من صلاها في الطريق، ومنهم صلاها بعد الغروب في بني قريظة، ولم يعنف واحداً من الفريقين.

وقالوا: إن هذا قد نسخ بتشريع صلاة الخوف، ولو كانت مشرعة لم يؤخروها[2].

لكن هذا الكلام لا يصح، إذا كان «صلى الله عليه وآله» والمسلمون قد أجبروا على تأخير الصلاة بحيث لم يكن لديهم أي خيار في ذلك، ولا يصح بناء على قول من قال: إن تأخير الصلاة يوم الخندق كان نسياناً[3].

وقد صرحت بذلك رواية عن ابن عباس، قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نسي الظهر والعصر يوم الأحزاب فذكر بعد المغرب، فقال:

---

(١) خاتم النبيين ج٢ ص٩٤٠ وراجع ص٩٥١ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١١ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٦٨ وفقه السيرة ص٣٠٣.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١١ و ٢١٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤.

(٣) راجع المصادر المتقدمة.

اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملأ بيوتهم ناراً[1].

وعن أبي جمعة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى المغرب، فلما فرغ قال: هل أحد منكم علم أني صليت العصر؟!

فقالوا: يا رسول الله ما صليت، فأمر المؤذن فأقام الصلاة، فصلى العصر، ثم أعاد المغرب[2].

أضاف الحلبي: «أقول: يحتاج إلى الجواب عن إعادة المغرب. وقد يقال: أعادها مع الجماعة»[3].

الصحيح في القضية:

وأخيراً.. فنحن لا نمانع من أن يكون قد حصل تأخير في أداء الصلاة إلى حد يصدق معه الاضطرار ليمكن للمكلف أن يصلي صلاة المضطر، أو صلاة المطاردة. فإن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً..﴾[4] قد ورد في سورة البقرة، النازلة في أوائل الهجرة.

وقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى يوم الأحزاب إيماءً[5].

ومعنى ذلك: هو أن الآية المذكورة قد نزلت في غزوة الخندق.

وهذه الآية هي غير الآية التي تحدثت عن صلاة الخوف جماعة فراجع.

---

(١) الدر المنثور ج١ ص٣٠٤ عن الطبراني.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٩ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٢.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٣.

(٤) الآية ٢٣٩ من سورة البقرة.

(٥) تفسير نور الثقلين ج١ ص١٩٩ ومجمع البيان ج١ ص٣٤٤.

السر والسبب:

١ ـ إننا بعد أن استظهرنا عدم صحة ما ذكروه نرى: أن السبب الذي يدعو البعض لإشاعة أمور كهذه هو الرغبة في تبرير تهاون الحكام بصلاتهم، وتأخيرهم لها عن أوقاتها ـ كما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب ـ ولا يهمهم أن يكون ذلك على حساب كرامة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، والنيل من عصمته، وعقله وحكمته.

٢ ـ قد يكون السبب هو ما جرى لعمر بن الخطاب حين فاتته الصلاة في غزوة الخندق، حيث قال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: والله ما صليتها.

فنزلنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب[1].

٣ ـ إن دعوى وجود قتال ضار استمر ثلاثة أيام، أو أكثر أو أقل، قد يكون الهدف منها هو التضخيم والتهويل في قوة المشركين، والتأكيد على شوكتهم وعلى ارتفاع معنوياتهم بعد قتل عمرو بن عبد ود ورفاقه، الأمر الذي ينتج عنه أن لا يكون علي «عليه السلام» قد حقق إنجازاً ذا بال،

---

(١) راجع: صحيح البخاري ج٣ ص٢٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٢ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص٢٤٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٤ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٠ عن الشيخين، والترمذي، والنسائي.

فضلاً عن أن يكون ما جرى قد أسهم في هزيمة المشركين بطريقة أو بأخرى.

٤ ـ إن ذلك أيضاً سوف يحدث ترديداً وتشكيكاً في قيمة الأوسمة التي حباه بها رسول الله، وفي استحقاقه «عليه السلام» لها، وفي جدارته لحملها.



الفصل الثالث:

كيف انتهت الحرب الخندق؟!

الفصل الثالث

في النهضة العربية الحديثة

ما فعله نعيم بن مسعود:

لقد حاول المؤرخون والمحدثون الذين توجههم التيارات والقوى والتعصبات السياسية، والمذهبية، والأحقاد ـ حاولوا ـ التعتيم على النصر المؤزر الذي سجله علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الأحزاب بطريقة أخرى غير طريقة تضخيم الأمور، وادعاء حصول قتال شغلهم عن صلاة العصر، وغيرها.

فادعوا: أن نعيم بن مسعود قد قام بدور فاعل وأساس في تخذيل القوم، وإلقاء الريب والشك ببعضهم البعض فيما بينهم.

فيدعي المؤرخون: أن نعيم بن مسعود الغطفاني جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مسلماً ـ وكان من دواهي العرب ـ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت أنته إليه[1].

---

(1) يقول القمي في تفسيره ج٢ ص١٨١ والبحار ج٢٠ ص٢٢٣ عنه: إن قريظة قد نقضوا العهد نهاراً، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام.

ونقول: لماذا أخَّر نعيم مجيئه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليعلن إسلامه هذه المدة الطويلة؟! وآثر البقاء في صفوف أهل الشرك.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنما أنت رجل واحد فينا، وإنما غناؤك أن تخذل عنا ما استطعت، وعليك بالخداع، فإن الحرب خدعة.

وحسب نص المقدسي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: إن الحرب خدعة، فاحتل لنا.

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودِّي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.

قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ومن التف معهم جاؤوا لحرب محمد، فإن ظاهرتموهم عليه، فليسوا كهيئتكم، وذاك أن البلد بلدكم، به أموالكم، وأولادكم، ونساؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا إلى غيره. فأما قريش وغطفان، فإن أموالهم، وأبناءهم، ونساءهم ببلاد غير بلادكم، فإن رأوا نهبة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل. والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به، وإن خلا لكم.

زاد الواقدي: «وقد كبر عليهم جانب محمد، أجلبوا عليه بالأمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمرو بن عبد ود وهربوا منه مجرحين»، فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه.

قالوا: لقد أشرت علينا برأي ونصح.

ثم خرج حتى أتى قريشاً.

فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه: يا معشر قريش، قد عرفتم ودِّي إياكم، وفراقي محمداً، وقد بلغني أمر رأيت حقاً علي أن أبلغكم، نصحاً

لكم، فاكتموا عليَّ.

قالوا: نفعل.

قال: اعلموا: أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا ـ وأنا عندهم ـ أن قد ندمنا على ما صنعنا، فهل يرضيك عنا: أن نأخذ من القبيلتين (مئة رجل، كما عند المقدسي) من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، وكبرائهم، ونعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم؟

أضافت بعض المصادر: «وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم ـ يعنون بني النضير»، فإن بعثت إليك يهود، يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً.

فوقع ذلك من القوم.

وخرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني.

قالوا: صدقت.

قال: فاكتموا عليَّ.

قالوا: نفعل.

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم.

فأرسل أبو سفيان[1]، ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي

---

(١) وذكرت بعض المصادر: أن اليهود هم الذين أرسلوا عزال بن سموأل يطلبون التواعد على الزحف بشرط اعطائهم رهائن من أشرافهم سبعين رجلاً، فلم =

جهل في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم:

إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليه: أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً (وكان قد أحدث فيه بعض الناس شيئاً فأصابه ما لم يخفَ عليكم) ومع ذلك فلسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم (سبعين رجلاً)، يكونون بأيدينا ثقة حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى ـ إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال ـ أن تشمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد.

وأرسلت غطفان مسعود بن رخيلة في رجال بمثل ما راسلهم به أبو سفيان..

فلما رجعت الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله، إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق.

فأرسلوا إلى بني قريظة: إنَّا والله ما ندفع إليكم رجلاً واحداً، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا[1].

= يرجعوا إليهم بجواب. أضافت بعض المصادر: أن نعيماً عاد إلى بني قريظة وأخبرهم: أن أبا سفيان قال بعد أن ولى عزال: لو طلبوا مني عناقاً ما رهنتها، راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٢ و ٤٨٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٥ و ٣٢٦.

(١) ويذكر الواقدي: أن الزبير بن باطا قد نصحهم بعدم طلب الرهن من قريش، لأنها لا تعطيهم إياه، وهم أكثر عدداً ومعهم كراع ولا كراع مع بني قريظة =

فقالت بنو قريظة حين أدت إليهم الرسل: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل. فأرسلوا إلى القوم: إنا ـ والله ـ لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً.

قالوا: وتكررت رسل قريش وغطفان إلى بني قريظة، وهم يردون عليهم بما تقدم، فيئس هؤلاء من نصر هؤلاء. وتخاذل القوم، واتهم بعضهم بعضاً. وذلك في زمن شات، وليال باردة، كثيرة الرياح، تطرح أبنيتهم، وتكفأ قدورهم الخ..

ولما طالب أبو سفيان حيي بن أخطب بالأمر، حاول حيي أن يقنع بني قريظة بالعدول عن ذلك، فلم يفلح[1].

= «وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه، وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة، فأبى أن يعطيهم إلا السيف» فلم يوافق الزبير أحد من قومه، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان الخ.. راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٣ و ٥٤٤.

(١) تجارب الأمم ج١ ص١٥٠ ـ ١٥٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٨١ ـ ٤٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤١ ـ ٥٤٥، وتجد هذه القضية بتلخيص أو بدونه في المصادر التالية: الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٢ وإمتاع الأسماع ج١ ص٦ ٢٣ ـ ٢٣٨ والبداية والنهاية ج٢ ص١١١ و ١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٢ و ٢٤٣ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٠ ـ ٢٤٢ وتفسير القمي ج٢ ص١٨١ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١٨٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٠٧ و ٢٠٨ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٥ ـ ١٧٧ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٠ =

ورواية القمي: تختلف عن هذه الرواية فلتراجع[1].

ونقول:

كان ما تقدم هو النص الذي يذكره أكثر المؤرخين مطولاً أو ملخصاً، لهذه القضية. وتساورنا شكوك حول صحة ذلك، ونرى أن ما جرى لم يكن بهذا الشكل، وذلك بالنظر إلى الأمور التالية:

أولاً: يقول البعض عن دور نعيم: «يمكن أن يكون في ذلك مبالغة، لأن القصة تروى عن نعيم نفسه، بواسطة رواة أشجع»[2].

ثانياً: بالنسبة لطلب الرهائن تقول رواية نعيم بن مسعود: إن ذلك قد كان بعد نقض بني قريظة للعهد مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وبعد أن طال الحصار على قريش، وبإيحاء من نعيم بن مسعود بالذات.

= والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ص٢ ص٣٠ و ٣١ وعيون الأثر ج٢ ص٦٤ و ٦٥ وحبيب السير ج١ ص٣٦٣ وجوامع السيرة النبوية ص١٥١ و ١٥٢ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧٢ ـ ١٧٤ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٧ ـ ٢٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٤ ـ ٢١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤١ و ٢٤٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٤ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٤ ـ ١٩٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٦ ـ ٢١٩ و ٢٢٠ وزاد المعاد ج٢ ص١١٨ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٧ ـ ٢٧١.

(١) راجع: تفسير القمي ج٢ ص١٨٢ والبحار ج٢٠ ص٢٢٤ وفيه أن نعيم بن مسعود حرض أبا سفيان على طلب الرهن من بني قريظة، عشرة رجال من أشرافهم.

(٢) محمد في المدينة ص١٣٩.

لكن هناك نص يقول: إنهم قد طلبوا الرهائن حين كلمهم حيي بن أخطب في نقض العهد، فإنهم طلبوا منه: أن يأخذ لهم رهائن من قريش وغطفان تكون عندهم، تسعين رجلاً من أشرافهم[1]، وذلك قبل إسلام نعيم.

وقد حاول البعض: أن يحل هذا الإشكال، فقال: «قد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة»[2].

وهو حل غير مقبول: لأنهم بعد أن يئسوا من انتظام أمرهم مع المشركين، وصيرورتهم في الموقف الأضعف، وأصبحوا يخشون على أنفسهم من مغبة غدرهم، وعواقب خيانتهم وما جنته أيديهم، لم يكونوا ليجرؤوا على اشتراط إرجاع بني النضير إلى أراضيهم.

أضف إلى ذلك: أن هذا الاحتمال الذي ذكره ابن كثير لا يحل إشكال أن يكون طلب الرهائن قبل إسلام نعيم. حسبما أوضحناه.

ثالثاً: إننا لا نكاد نصدق دعوى نعيم: أن قريظة قد أرسلت بحضوره إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تعده بأخذ سبعين، أو تسعين رهينة من أشراف قريش وغطفان ليقتلهم.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٣ و ١٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٩٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠١.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص١١٣.

إذ إن نعيم بن مسعود نفسه كان من غطفان، فهل يجهر بنو قريظة أمام غطفاني ـ مهما كانت درجة إخلاصه لهم ـ بأنهم يريدون أخذ أشراف قومه ليسلموهم إلى القتل؟!.

وهل يمكن أن يصدقه المشركون: أنه قد سمع ذلك حقاً من بني قريظة؟!.

رابعاً: لو صحت قصة نعيم على النحو المذكور آنفاً، لكان يجب أن نتوقع من حيي بن أخطب موقفاً آخر من بني قريظة. فيتملص من تعهداته لهم، ولا يسلم نفسه إلى القتل بدخوله معهم في حصنهم بعد رحيل قريش، لأن لديه حجة واضحة، وهي أن الإخلال وإفشال ما جمعه من كيد إنما من قبل بني قريظة أنفسهم، فإنهم هم الذين أخلّوا بتعهداتهم تجاه قريش، وليس العكس.

خامساً: هناك العديد من الروايات التي تؤكد على أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي أفسد العلاقة بين قريش والمشركين من جهة، وبين بني قريظة من جهة أخرى. وليس نعيم بن مسعود بل كان هو الآخر غافلاً عن حقيقة التدبير النبوي في هذا المجال.

والنصوص المشار إليها هي التالية:

١ ـ قال ابن عقبة: إن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث، فاتفق أنه مرّ بالقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم عشاء، فأشار إليه «صلى الله عليه وآله» أن تعال، فجاء، فقال: ما وراءك؟!.

فقال: إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك.

فقالت قريظة: نعم، فأرسلوا إلينا بالرهن.

قال: فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني مسر إليك شيئاً فلا تذكره.

قال: «إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح، وأرد بني النضير إلى دورهم وأموالهم». وإنما قال له «صلى الله عليه وآله» ذلك على سبيل الخدعة الجائزة في الحرب.

فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحرب خدعة. وعسى أن يصنع لنا.

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم؛ فبادر القوم وأرسلوا إلى بني قريظة عكرمة وجماعة معه ـ فاتفق ذلك ليلة السبت ـ يطلبون منهم أن يخرجوا للقتال معهم، فاعتلت اليهود بالسبت. ثم أيضاً طلبوا الرهن توثقة، فأوقع الله بينهم واختلفوا»[1].

ونعتقد: أن هذه الرواية هي الأقرب إلى الصواب، ويشهد لذلك ما يلي:

٢ ـ قال القمي: إنه لما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» نقض بني قريظة للعهد، قال «لعناء، نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنه كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عيون لقريش، يتجسسون خبره»[2].

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٦ و ٢١٧ وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي ص٢٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٤ و ٤٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٨٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٢٣ عنه.

٣ ـ عن علي «عليه السلام» قال: الحرب خدعة. إذ حدثتكم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حديثاً، فوالله، لأن أخرّ من السماء أو تخطفني الطير أحب إلي من أن أكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله». وإذ حدثتكم عني، فإن الحرب خدعة.

فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلغه: أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: أنكم إذا التقيتم أنتم ومحمد «صلى الله عليه وآله» أمددناكم وأعنّاكم.

فقام النبي «صلى الله عليه وآله»، فخطبنا فقال: إن بني قريظة بعثوا إلينا: أنّا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمددونا وأعانونا.

فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم[1].

٤ ـ عن عائشة: كان نعيم رجلاً نموماً، فدعاه «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن يهود قد بعثت إليّ: إن كان يرضيك عنا: أن نأخذ رجالاً رهناً من قريش وغطفان، من أشرافهم، فندفعهم إليك فتقتلهم، فخرج من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتاهم، فأخبرهم بذلك.

فلما ولى نعيم، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما الحرب خدعة[2].

٥ ـ ويروي الواقدي عن أبي كعب القرظي: أنه لما جاء حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد يريده على نقض العهد قال له: لا تقاتل حتى تأخذ سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندكم.

---

(١) راجع: قرب الإسناد ص٦٣ والبحار ج٢٠ ص٢٤٦ عنه وج١٠٠ ص٣١ والوسائل ج١١ ص١٠٢ و ١٠٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٧ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٩.

وذلك من حيي خديعة لكعب حتى ينقض العهد. وعرف أنه إذا نقض العهد لحم الأمر، ولم يخبر حيي قريشاً بالذي قال لبني قريظة، فلما جاءهم عكرمة يطلب منهم أن يخرجوا معه البست (أي يوم السبت)، قالوا: لا نكسر البست، ولكن يوم الأحد. ولا نخرج حتى تعطونا الرهان.

فقال عكرمة: أي رهان؟!

قال كعب: الذي شرطتم لنا.

قال: ومن شرطها لكم؟.

قالوا: حيي بن أخطب.

فأخبر أبا سفيان ذلك، فقال: يا يهودي، نحن قلنا لك كذا وكذا؟

قال: لا، والتوراة ما قلت ذلك.

قال أبو سفيان: بل هو الغدر من حيي.

فجعل حيي يحلف بالتوراة ما قال ذلك[1].

وفي نص آخر: قال كعب: يا حيي، لا نخرج حتى نأخذ من كل أصحابك من كل بطن سبعين رجلاً رهناً في أيدينا.

فذكر ذلك حيي لقريش ولغطفان، وقيس. ففعلوا، وعقدوا بينهم عقداً بذلك حتى شق كعب الكتاب.

فلما أرسلت إليه قريش تستنصره قال: الرهن، فأنكروا ذلك واختلفوا[2].

---

(١) المغازي ج٢ ص٤٨٥ و ٤٨٦ وذكر ابن عقبة أيضاً ما فعله عكرمة راجع السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٩٩.

(٢) المغازي ج٢ ص٦ ٤٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص١ ٣٠

٦ ـ قال نص آخر ما ملخصه: حدثني معمر، عن الزهري: أرسلت بنو قريظة إلى أبي سفيان: أن ائتوا فإنا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم، فسمع ذلك نعيم بن مسعود، وكان موادعاً للنبي «صلى الله عليه وآله» فأقبل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبره، فقال «صلى الله عليه وآله»: فلعلنا أمرناهم بذلك.

فقام نعيم بكلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان نعيم رجلاً لا يكتم الحديث، فلما ولّى من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذاهباً إلى غطفان، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما هذا الذي قلت؟ إن كان هذا الأمر من الله تعالى فأمضه، وإن كان هذا رأياً من قبل نفسك، فإن شأن بني قريظة هو أهون من أن تقول شيئاً يؤثر عنك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: بل هو رأي رأيته، الحرب خدعة. ثم أرسل «صلى الله عليه وآله» في أثر نعيم فدعاه، فقال «صلى الله عليه وآله» له: أرأيت الذي سمعتني قلت آنفاً؟ اسكت عنه، فلا تذكره فإنما أغراه.

فانصرف من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى عيينة ومن معه من غطفان، فقال لهم: هل علمتم محمداً قال شيئاً قط إلا كان حقاً؟!

قالوا: لا. قال: فإنه قال لي فيما أرسلت به إليكم بنو قريظة: «فلعلنا نحن أمرناهم بذلك» ثم نهاني أذكره لكم.

فأخبر عيينة بن حصن أبا سفيان بذلك، فقال: إنما نحن في مكر بني قريظة.

فقال أبو سفيان: نرسل إليهم الآن فنسألهم الرهن، فإن دفعوا الرهن إلينا، فقد صدقونا، وإن أبوا ذلك فنحن منهم في مكر.

فأرسلوا إليهم يطلبون الرهن ليلة السبت، فامتنعوا من إعطائه لأجل السبت.

فقال أبو سفيان ورؤوس الأحزاب: هذا مكر بني قريظة، فارتحلوا فقد طالت إقامتكم، فأذنوا بالرحيل، وبعث الله تعالى عليهم الريح، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله. فارتحلوا، فولوا منهزمين.

ويقال: إن حيي بن أخطب قال لأبي سفيان: أنا آخذ لك من بني قريظة سبعين رجلاً رهناً عندك حتى يخرجوا فيقاتلوا، فهم أعرف بقتال محمد وأصحابه، فكان هذا الذي قال: إن أبا سفيان طلب الرهن.

قال ابن واقد: وأثبت الأشياء عندنا قول نعيم الأول[1].

ونقول:

إننا نلاحظ: أن هذه الرواية، وكذلك رواية جعل ثلث ثمار المدينة لعيينة بن حصن، تظهر: أن سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب، يعتقدان أن النبي «صلى الله عليه وآله» يتصرف أحياناً انطلاقاً من هدى الوحي، ووفق التدبير والتسديد الإلهي، ويتصرف أحياناً أخرى إنطلاقاً من رأيه الشخصي، ووفقاً لهواه الذي قد يصيب وقد يخطئ. وهذا بالذات هو ما عبر عنه عمر بن الخطاب هنا.

ثم أظهرت هذه الرواية وتلك: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعترف هو نفسه بهذا الأمر وقرره بصراحة ووضوح.

مع أن نبينا الأكرم أجل من أن يتصرف أو يتكلم بوحي من الهوى وبغير إذن من الله سبحانه. ولا يخرج من بين شفتيه إلا الحق والصدق، والهدى، ولا شيء غير ذلك.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٦ و ٤٨٧ والمصنف ج٥ ص٣٦٨ و ٣٦٩ وكنز العمال ج١٠ ص٢٩٢ و ٢٩٣ عن ابن جرير.

وملاحظة أخرى نسجلها على هذه الرواية وهي: أن نعيم بن مسعود قد أخبر عيينة بن حصن ومن معه من غطفان بمقالة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بالطريقة التي لا بد أن يعرفوا منها: أن نعيماً هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما أرسلت به قريظة إليهم. وهو ينطوي على مخاطرة واضحة حين يكتشف عيينة وغطفان أن نعيماً قد خانهم وأفشى سرهم، ولن يسكتوا عن هذا الأمر أبداً.

إلا أن يكون الرواي قد نقل أصل الحدث ذاهلاً عن الصياغة الحقيقية التي أظهرها نعيم لقومه.

اللمحات الأخيرة:

١ ـ قد يظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن نعيم بن مسعود كان يتجسس للمشركين. وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بأمره، فاختاره «صلى الله عليه وآله» ليلقي إليه قوله ذاك الذي انتهى بتخذيل الأحزاب، وشكهم ببعضهم البعض.

٢ ـ ثم إن لنا تحفظاً آخر هنا: وهو أن تسليم سبعين رهينة من أشراف قريش وغطفان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليقتلهم، إنما يعني أن يستقل اليهود من بني قريظة بعداوة الأحزاب وكل من له بهم صلة أو هوى في المنطقة بأسرها، ولا طاقة لليهود بهؤلاء جميعاً. بل إن ذلك يحمل معه أخطار إبادتهم عن بكرة أبيهم. فكيف يمكن أن يصدق المشركون أن يقدم اليهود على أمر كهذا؟!.

وهذا يعني: أن ما ذكرته النصوص الأخرى المتقدمة أقرب إلى الصواب.

وأولى بالاعتبار.

٣ ـ وقد تقدم في الجزء السابق: أن نعيم بن مسعود وحسان بن ثابت قد أظهرا تعاطفاً واضحاً مع بني النضير حينما أجلاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتصدى لهما أبو عبس ورد عليهم بقوة[1]، فراجع.

وقد يستفيد البعض من ذلك: أن نعيم بن مسعود كان حينئذٍ مسلماً.

فما معنى قولهم هنا: إنه قد أسلم في غزوة الخندق؟!.

التبرير بلا مبرر:

ويقول البعض: «كان لوحدة الصف الإسلامي، وانضباط المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً خلف قائدهم أثر كبير في تطور الموقف ونتائجه، سيما وأن خصومهم كانوا على نقيض ذلك. وهذا ما سهل كثيراً مهمة الدبلوماسية الإسلامية، التي اعتمدت اعتماداً رئيسياً على هذه الناحية، فنجحت في تفريق صفوف الأحزاب، وتشتيت شملهم»[2].

ونقول:

إن هذا الكاتب قد نسي: المتخاذلين والمنافقين، الذين كانوا يتسللون لواذاً، ويتركون النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحتجون لانسحابهم من المعركة بحجج واهية. وكان لهم دور رئيس في تخذيل الناس، وبث الرعب والخوف في نفوس الكثيرين منهم.

ونسي أيضاً: تخاذلهم عن عمرو بن عبد ود ورفاقه، وهم أقل عدداً من

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج١ ص٣٧٥.

(٢) الرسول العربي وفن الحرب ص٢٥٦.

أصابع اليد الواحدة.

نعم.. لقد نسي ذلك، وجاء ليدعي أن الصف الإسلامي كان على غاية من القوة والتماسك خلف قائده. مع أنهم يذكرون ـ كما تقدم وسيأتي إن شاء الله ـ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بقي في ثلاث مئة من أصحابه.

بل ذكرت بعض النصوص: أنه لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً فقط.

كما أن هذا الكاتب لم يعرف: أن نعيم بن مسعود لم يكن هو بطل القصة. بل كان المحرك والمحور الأساس فيها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه حسبما أوضحناه آنفاً.

الشائعات والحرب النفسية:

قد روي عن علي «عليه السلام»، أنه قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول يوم الخندق: الحرب خدعة، ويقول: تكلموا بما أردتم[1].

وقد اتضح مما تقدم أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعمل على إيقاع الشك والريب فيما بين الأحزاب بالطريقة الإعلامية الذكية والواعية، حتى تحقق له «صلى الله عليه وآله» ما أراد، واستطاع من خلال ذلك أن يفشل كل مخططاتهم، ويبطل كل ما بذلوه من جهد وكيد.

وقد تجلت لنا من خلال ذلك أهمية الإعلام الحربي الموجه، وأنه قد يهزم الجيوش، ويثل العروش، إذا كان هادفاً وواعياً وذكياً.

---

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص١٠٢ وفي هامشه عن التهذيب ج٢ ص٥٣.

الدعاء والابتهال:

لقد دعا النبي «صلى الله عليه وآله» على الأحزاب، فاستجاب الله تعالى له.

يقول المؤرخون والمحدثون: إنه «صلى الله عليه وآله» أتى مسجد الأحزاب يوم الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء؛ فدعا عليهم يوم الأربعاء بين الصلاتين، قال جابر: فعرفنا البشر في وجهه[1].

وفي نص آخر: انتظر «صلى الله عليه وآله» حتى زالت الشمس، ثم قام في الناس، فقال: يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو فاصبروا، واعلموا: أن الجنة تحت ظلال السيوف[2].

ثم قال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وانصرنا عليهم وزلزلهم[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٠ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٠ و ٤٩١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ والكافي (ط دار الاضواء) ج٨ ص٢٣٣ والبحار ج٢٠ ص٢٦٨ و ٢٦٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٤ وفيه: «الأحاديث التي جاءت بذم يوم الأربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر».

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٣.

(٣) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤١ والبداية والنهاية ج٤ ص١١١ عن الصحيحين، وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٣ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٠٩ و ١١٠ (ط مؤسسة آل البيت)، والجعفريات ص٢١٨ وتيسير المطالب ص٢٤٦ =

وعن ابن المسيب: أنه «صلى الله عليه وآله» لما اشتد عليهم الحصار قال: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد»[1].

وعند الراوندي: أنه «صلى الله عليه وآله» صعد مسجد الفتح، فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض بعدها، فبعث الله ريحاً قلعت خيم المشركين الخ..

إلى أن قال: ثم رجع من مسجد الفتح إلى معسكره، فصاح بحذيفة بن اليمان، وكان قد ناداه قريباً ثلاثاً الخ..

ثم ذكر إرساله لكشف خبرهم[2].

وقد ذكرت أدعية أخرى عديدة له «صلى الله عليه وآله» في يوم

= وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٢ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٨ وصحيح مسلم ج٥ ص١٤٣.

وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٤ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٧ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ و ١٢ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤١ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٣ و ٤٠٤ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٧ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٦٧.

(٢) الخرائج والجرائح ج١ ١٥٦ والبحار ج٢٠ ص٢٤٨ وراجع: ص٢٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص١٨٦ وغير ذلك.

الأحزاب فلتراجع في مصادرها[1].

ولعله «صلى الله عليه وآله» قد دعا بذلك كله في مواقف مختلفة.

وآخر ما نذكره نحن هنا:

ما عن الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر.

قال: نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا.

قال: فصرف الله تعالى ذلك[2].

ونقول:

إن لنا هنا وقفات:

إحداها: أن رواية عبد الله بن أبي أوفى المتقدمة موضع ريب وشك، لأن المسلمين لم يتمنوا لقاء العدو آنئذٍ، بل كان الحال يزداد شدة وصعوبة عليهم يوماً بعد يوم. وكان الخوف مسيطراً على الكثيرين، فإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال كلاماً من هذا النوع، فلا بد أن يكون قد قاله في مناسبة أخرى، غير مناسبة الخندق.

أضف إلى ذلك: أننا نستبعد كثيراً: أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٩١ ص٢١٢ و ٢١٣ ومهج الدعوات ص٧٠ و ٧١ والوسائل ج١٠ ص٢٧٦ و ٢٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤١ والبداية والنهاية ج٤ ص١١١ عن أحمد، وابن أبي حاتم، وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ و ١٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٣ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٩.

كلاماً من هذا النوع، وذلك لما يحمل في طياته من تضعيف وتخذيل لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ليقدم عليه في حالات الحرب.

الثانية: إننا نجد النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» يلتجئ للصلاة وللدعاء، ويوجه الناس إلى الله سبحانه في هذه الظروف الحرجة، التي يكون فيها الإنسان أكثر من أي وقت مضى مؤهلاً للتفاعل مع الحالات الروحية.

يساعد على ذلك أنه في هذه الظروف بالذات تكون نظرته إلى الأمور واقعية وسليمة، لا تشوبها نوازع نفسية، ولا أهواء ولا غيرها مما من شأنه أن يضخم الأمور له، أو يمنعه من رؤيتها على حقيقتها.

وذلك لأنه حين تصبح القضية لها مساس بمصيره وبحياته، فإنه لا بد له من أن يحدق بها، ويكشف كل خباياها وخفاياها، وتتبلور فيه حساسية خاصة تجاه أية بادرة يلاحظها، إذا كانت تصب في نفس الاتجاه الذي يسير فيه، أو تؤثر على الواقع الذي يتعامل معه، سلباً كان ذلك التأثير أو إيجاباً.

وإذا كان ثمة ارتباط في هذه الناحية بالذات بالغيب، وبالله سبحانه على الخصوص، فإن التأثير يصبح أكثر عمقاً وأصالة وشمولية، لأنه يرتكز على الناحية العقيدية والإيمانية والشعورية ومداها، قبل أن يدخل في الحسابات المادية وفي نطاقها.

فإذا كانت الناحية الإيمانية تقوم على أساس فكري راسخ وتستند إلى القناعة من خلال الدليل الصحيح والقاطع، فإنها تستمد حينئذٍ من اللامحدود، وتستند إلى المطلق، الذي يملك القدرة على استيعاب المحدود، مهما كانت قوته، ومهما اشتد وتعاظم خطره.

الثالثة: من الواضح أن التربية الروحية بحاجة إلى القول وإلى العمل، فإن ذلك يفيد في نيل درجات القرب، ويؤثر أيضاً في التصفية والتزكية، بما توحي به الكلمة من معان، وتنشره من ظلال روحية، وتثيره من نسمات إيمانية أنيسة ودافئة.

كما أن العمل العبادي بما يمثله من تجسيد للحالة الروحية والنفسية يستطيع أن يرسخ الوعي في المشاعر وفي الخواطر، فتثير لديه وعياً جديداً، وأملاً وليداً.

الريح والملائكة:

قد عرفنا فيما تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد دعا على الأحزاب، في مسجد الأحزاب، يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء.

١ ـ قالوا: فلما كان ليلة السبت بعث الله الريح على الأحزاب، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله، ولا يقر لهم قدر ولا بناء.

وقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل. وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف، وكان إذا حَزَبه أمر أكثر من الصلاة[1]، وكان ذلك في أيام شاتية[2]، وبرد شديد[3].

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٨ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٨ و ١٢ وحبيب السير ج١ ص٣٦٤.

(٢) تاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٣٥.

(٣) الجامع للقيرواني ص٢٨١.

وقال البعض: أرسل الله تعالى الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرجل، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، وأنزل الله الخ..»[1].

وكانت الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم هي ريح الصبا، فأكفأت قدورهم، وطرحت آنيتهم، ونزعت فساطيطهم[2].

وفي نص آخر: بعث الله عليهم ريحاً وظلمة، فانصرفوا هاربين لا يلوون على شيء، حتى ركب أبو سفيان ناقته وهي معقولة. فلما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، قال: عوجل الشيخ[3].

ويقول نص آخر: «كان الله عز وجل قبل رحيلهم قد بعث عليهم بالريح بضع عشرة ليلة، حتى ما خلق الله لهم بيتاً يقوم، ولا رمحاً، حتى ما كان في الأرض منزل أشد عليهم ولا أكره إليهم من منزلهم ذلك، فأقشعوا[4] والريح أشد ما كانت، معها جنود الله لا ترى، كما قال الله عز وجل الخ..»[5].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٥ وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ و ١٢.

(٢) راجع: البحار ج٢٠ ص١٩٢ عن مجمع البيان ج٨ ص٣٣٩ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وراجع: الخرائج والجرائح (منشورات مصطفوي) ص١٥٢ والبحار. ج٢٠ ص٢٤٩.

(٤) أقشعوا: تفرقوا.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٦.

ولكن هذا النص الأخير: لا ينسجم مع ما تقدم، وما سيأتي في حديث حذيفة أيضاً: من أن إرسال الريح عليهم إنما كان بعد دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم، وذلك بعد قتل عمرو بن عبد ود، وأن ذلك لم يدم إلا مدة يسيرة انتهت بفرارهم. بل لقد أخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الأحزاب بالريح، كما صرحت به النصوص.

كما أننا لا نرى مبرراً لأن يصمدوا أمام هذه الريح العاتية هذه المدة الطويلة.

والنصوص التاريخية حول ما صنعته الريح بهم كثيرة، وسيأتي في حديث حذيفة المزيد.

أما بالنسبة: لإرسال الملائكة، فإن النصوص فيه أيضاً كثيرة.

ويذكر المفسرون: أن آية قرآنية قد ذكرت إرسال الريح والملائكة على الأحزاب، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[1].

ويظهر من بعض النصوص: أن ما فعلته الريح هو نفس ما فعلته الملائكة، وأن حركة الريح هي حركة الملائكة بالذات، فهو يقول:

وكَثُرَ يومئذٍ تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم، وكانوا ألفاً. ولم تقاتل يومئذٍ، وسمعوا قعقعة السلاح، ولكن قلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في

---

(١) الآية ٩ من سورة الأحزاب.

بعض، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فارتحلوا، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم[١].

١ ـ وقيل: إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذٍ، بل كانوا يشجعون المؤمنين، ويجبنون الكافرين[٢].

٢ ـ في رواية: أن الملائكة قطعت أوتاد الخيام، وأطفات نيرانهم، ورأى الجيش أنه لا خلاص لهم إلا بالفرار[٣].

٣ ـ قال البعض: وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم، حتى إذا اجتمعوا عنده قال: النجاة النجاة، أتيتم[٤]، لما بعث الله عليهم من الرعب.

٤ ـ قال البلاذري: «وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم»[٥].

٥ ـ قيل إنما بعث الله الملائكة تزجر خيل العدو وإبلهم، فقطعوا مدة ثلاثة أيام في يوم واحد فارين منهزمين[٦].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨ عن ابن ظفر في الينبوع، والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٤ وراجع: سعد السعود ص١٣٨.

(٢) مجمع البيان ج٨ ص٣٣٩ والبحار ج٢٠ ص١٩٢ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩١.

(٣) حبيب السير ج١ ص٣٦٤.

(٤) راجع: بهجة المحافل ج١ ص٢٩٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٦ ولم يذكر الملائكة. والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨ وسعد السعود ص١٣٨.

(٥) أنساب الأشراف ص٣٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٦.

(٦) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٦.

٦ ـ جاءت الملائكة، فقالت: يا رسول الله، إن الله قد أمرنا بالطاعة لك، فمرنا بما شئت.

فقال: زعزعي المشركين وأرعبيهم، وكوني (وكونوا) من ورائهم.. أي فهي قد نفثت الرعب في قلوبهم[1].

٧ ـ وقالوا: إن الملائكة لم تقاتل يومئذٍ[2].

مهمة حذيفة بن اليمان:

وبعد أن بقي النبي «صلى الله عليه وآله» في اثني عشر رجلاً[3] ـ أو في ثلاث مئة رجل ـ كما في روايات أخرى عن حذيفة ـ يحدثنا حذيفة عن تلك الليلة التي قام الرسول فيها على التل، الذي عليه مسجد الفتح ـ في ليلة ظلماء ذات قرة[4].

وكان المسلمون صافين قعوداً، والأحزاب فوقهم، وقريظة أسفل منهم، يخافونهم على ذراريهم. ونحن نلخص كلامه هنا، فقد قال:

---

(١) راجع: الخرائج والجرائح ج١ ص١٥٦ و ١٥٧ والبحار ج٢٠ ص٢٤٨ وراجع ص٢٣٠ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٠و٣٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٥ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٦ وراجع السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠.

(٣) مستدرك الحاكم ج٣ ص٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه.

(٤) إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠١ والكافي ج٨ ص٢٧٨ والبحار ج٢٠ ص٢٦٨ وراجع ص٢٣٠ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٦.

ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه. فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله، ويقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾[1]. فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاث مئة، أو نحو ذلك.

فطلب النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأتيه أحدهم بخبر القوم، ثلاث مرات، فلم يجبه أحد من شدة الجوع والقر والخوف، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ابعث حذيفة.

فلما كلم النبي «صلى الله عليه وآله» حذيفة تقاصر إلى الأرض، كراهية أن يقوم، فأمره «صلى الله عليه وآله» بالقيام، فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنه كائن في القوم خبر، فأتني بخبر القوم.

وفي نص آخر: إن الله قد أخبرني: أنه قد أرسل الرياح على قريش فهزمهم.

فشكى إليه البرد، فقال له «صلى الله عليه وآله»: لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي.

فذكر له أنه يخاف الأسر والتمثيل به فقال: إنك لن تؤسر، فخرج حذيفة، فدعا له النبي «صلى الله عليه وآله»، فذهب الفزع، والبرد عنه.

قال حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حمام[2]. فلما وليت دعاني، فقال: يا

---

(١) الآية ١٣ من سورة الأحزاب.

(٢) في تفسير القمي ج٢ ص١٨٧ والبحار ج٢٠ ص٢٣١: أنه بعد أن اجتاز الخندق شعر كأنه يمشي في حمام. وراجع: الخرائج والجرائح ج١ ص١٥٧.

حذيفة، لا تحدثن في شيء حتى تأتيني.

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: أئت قريشاً، فقل: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس؟ فيقدموكم، فتصلوا القتال، فيكون القتل فيكم.

ثم ائت بني كنانة، فقل: «وعلمه ما يشبه الكلام السابق لقريش، وكذا الحال بالنسبة لقيس».

فذهب حذيفة فلما دنا منهم رأى أدهم ضخماً عند نار توقد، وحوله عصبة، وقد تفرق الأحزاب عنه، وهو يقول: الرحيل الرحيل.

ولم يكن حذيفة يعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزع سهماً ليرميه. فذكر وصية النبي «صلى الله عليه وآله» له، فأمسك.

قال: فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم غيرهم، فقال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه. فضربت بيدي على يد الذي عن يمني، فأخذت بيده، فقلت: من أنت؟!

قال: معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟

قال: عمرو بن العاص.

وفي نص آخر: سهيل بن عمرو.

وفي آخر: سبحان الله أما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان، فإذا رجل من هوازن.

وعند الراوندي: خالد بن الوليد. فعلت ذلك خشية أن يفطن بي،

فبدرتهم بالمسألة.

ثم تلبثت فيهم هنيهة، وأتيت بني كنانة وقيساً، وقلت ما أمرني به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم دخلت في العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر. ونادى عامر بن علقمة: يا بني عامر، إن الريح قاتلي وأنا على ظهر، وأخذتهم ريح شديدة. وصاح بأصحابه.

فلما رأى ذلك أصحابه جعلوا يقولون: يا بني عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم.

وإذا الريح في عسكر المشركين ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم، والريح تضربها، فلما دنا الصبح نادوا أين قريش؟ أين رؤوس الناس؟.

فقالوا: أيهات، هذا الذي أتينا به البارحة.

فقالوا: أين كنانة؟.

فقالوا: أيهات هذا الذي أُتينا به البارحة.

أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟.

فقالوا: أيهات، هذا الذي أتينا به البارحة.

فلما رأى ذلك أبو سفيان، أمرهم بأن يتحملوا، فتحملوا، وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم. حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يستحثه ولا يستطيع أن يقوم حتى حل بعد.

فعاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما انتصف به الطريق التقى بعشرين فارساً، أو بفارسين فقط، فقالا: أخبر صاحبك: أن الله تعالى كفاه

القوم بالجنود والريح.

فرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فوجده يصلي، وعاد إليه البرد والقر، فسدل عليه فضل شملته فنام، ثم أخبره: أنه تركهم يرحلون.

وذكر ابن سعد: أن عمرو بن العاص وخالد بن الواليد أقاما في ماءتي فارس ساقة للعسكر، وردءاً لهم، مخافة الطلب[1].

نص آخر لقضية حذيفة:

إننا نذكر نصاً مختصراً آخر لقضية حذيفة، ثم نحيل القارئ إلى المصادر التي ذكرت هذه القضية بتفصيل أو بإجمال ليراجعها من أراد الاستقصاء والمقارنة.

فنقول:

بعد أن ذكر المؤرخون ما قام به نعيم بن مسعود من كيد بين قريظة، وقريش وغطفان ـ وإن كنا نحن قد سجلنا فيما سبق تحفظات قوية عليه ـ قالوا:

«وتخاذل القوم، واتهم بعضهم بعضاً، وذلك في زمن شات، وليال باردة كثيرة الرياح، تطرح أبنيتهم، وتكفأ قدورهم. وضاق ذرع القوم، وبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» اختلاف القوم، وما هم فيه من

---

(١) راجع هذا النص الذي حاولنا تلخيصه في: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٧ ـ ٥٤٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم في دلائلهما، ومسلم، وابن عساكر، وابن إسحاق، وستأتي بقية المصادر في الهامش الذي بعد التالي، وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٢ و ٢٨٣.

الجهد، فدعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.

قال حذيفة: فذهبت فرأيت من الرياح أمراً هائلاً، لا يقر لهم ناراً ولا بناءً.

فقام أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ جليسه.

قال: فبادرت وأخذت بيد الرجل الذي إلى جانبي، فقلت: من أنت؟!

قال: أنا فلان بن فلان.

ثم قال أبو سفيان: إنكم يا قوم ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من الجهد والشدة، وهذه الريح ما ترون، فارتحلوا، فإني مرتحل[1].

ثم قام إلى جمله، وقام الناس معه.

في نص آخر: «قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم».

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانصرفوا إلى بلادهم.

وتفرق ذلك الجمع من غير قتال، إلا ما كان من عدة يسيرة، اتفقوا على الهجوم الخ..

ثم ذكر قتل علي «عليه السلام» لعمرو.. ثم قال: وانتقض ذلك الجمع والتدبير كله[2].

---

(١) وفي نص آخر أنه قال: «إن كنا نقاتل أهل الأرض فنحن بالقدرة عليه، وإن كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء الخ..» الخرائج والجرائح ص١٥٧ والبحار ج٢ ص٢٤٨ عنه.

(٢) تجارب الأمم ج٢ ص١٥٢ و ١٥٣. وحديث حذيفة هذا موجود بإيجاز أو بتفصيل في المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٩ والكامل في التاريخ ج٢=

وذكرت المصادر: أنه «صلى الله عليه وآله» نادى حذيفة مرتين، فلم يجبه، وأجابه في الثالثة.

فقال له: تسمع صوتي ولا تجيبني؟! فاعتذر عن عدم إجابته بالخوف والبرد والجوع[1].

= ص١٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٣ ـ ١٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٧ ـ ٢٢١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠١ وعيون الأثر ج٢ ص٦٥ و ٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٣ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ و ٣٤٥ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٧ و ١٧٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٩ و ٤٩٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩١ و ٤٩٢ والوفاء ج٢ ص٦٩٤ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٤٣٣ ـ ٤٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٥ ـ ١٩٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٦٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٤٩ ـ ٤٥٥ وفتح الباري ج٧ ص٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٢ والكافي ج٨ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وتفسيره وصححاه، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٦ ـ ٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ ـ ١٢ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٧٠ و ٢٧١ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧٤ و ١٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٨ و ١٤٩ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٥.

(١) راجع: تفسير القمي ج٢ ص١٨٧ والبحار ج٢٠ ص٢٣٠ والخرايج والجرائح ج١ ص١٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٢٢٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ و ١١ ولم تصرح المصادر الثلاثة الأخيرة بأنه «صلى الله عليه وآله» ناداه باسمه ثلاث مرات، وكذا في المصادر =

وثمة نص آخر يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يبعث رجلاً من أصحابه يعبر الخندق فيعلم ما خبر القوم، فأتى رجلاً فطلب منه ذلك فاعتل، فتركه، وأتى آخر، فاعتل أيضاً فتركه، وحذيفة يسمع، ولكنه صامت لا يتكلم، فأتاه «صلى الله عليه وآله» وهو لا يدري من هو، فسأله إن كان قد سمع ما جرى، فأجاب بالإيجاب، ثم اعتذر عن عدم مبادرته لإجابة طلبه «صلى الله عليه وآله» بالجوع والضر. ثم أمره «صلى الله عليه وآله» بالذهاب الخ..»[1].

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة قضية حذيفة بما لها من خصوصيات وتفاصيل مذكورة آنفاً، وإن كنا لا نمنع من أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسله لكشف خبر الأحزاب، فعاد إليه فأخبره بأنهم بدأوا بالرحيل..

وشكنا فيما عدا ذلك من تفاصيل وأحداث مزعومة، يستند إلى عدة أمور، نذكر منها:

= التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٨ و ١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٣٣ و ١٤٤ وراجع: مجمع البيان ج٨ ص٢٤٤ و ٢٤٥ وتاريخ الخميس ١ ص٤٩١ والبحار ج٢٠ ص٢٠٨ و ٢٠٩ وعيون الأثر ج٢ ص٦٥ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٧ ـ ٢١٩.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٠٦ و ٤٠٧.

أولاً: أننا نجد حذيفة يذكر أنه رأى أبا سفيان في ضوء النار الموقدة، وهو يستدفئ بها مع أصحابه، وأراد أن يرميه بسهم، لولا أنه ذكر وصية النبي «صلى الله عليه وآله» له، وقد رآه رجلاً ضخماً أدهم.. فكان من الوضوح له أنه استطاع أن يميز لونه، ويعرف أنه أدهم.

ولكنه يأتي ويجلس بين نفس تلك العصبة التي حول أبي سفيان. ولا يستطيع أن يراه أحد من تلك العصبة، ولا أحس به، رغم وجود النار والنور. ورغم إحساس أبي سفيان بأن رجلاً غريباً دخل بينهم. وإذا كانت الظلمة شديدة إلى هذا الحد، فكيف استطاع حذيفة أن يجد مكانه بينهم دون أن يصطدم ولو جزئياً بواحد منهم؟!.

وكيف استطاع حذيفة أن يرى العصبة وأبا سفيان، ويرى تفرق الأحزاب عنه، ثم لا يراه أحد، ولا يحس به أي منهم على الإطلاق؟.

ثانياً: إذا كان أبو سفيان حين ورود حذيفة ينادي: الرحيل الرحيل، وكذلك كان عامر بن علقمة بن علاثة ينادي الرحيل الرحيل، لا مقام لكم، فما معنى أن يقوم حذيفة بدوره في تخذيلهم، وفق ما علمه الرسول إياه؟

ثالثاً: هناك اختلاف في نصوص الرواية. ونذكر تناقضاً صريحاً واحداً هنا وهو واقع في الرواية التي ذكرناها أولاً نفسها، فهي تقول: إن الريح كانت في عسكر المشركين، ما تجاوز عسكرهم شبراً. مع أنه قد جاء في بداية الرواية نفسها قوله: «ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها مثل الصواعق، فجعل المنافقون يستأذنون الخ..».

رابعاً: تقول الرواية التي ذكرناها أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله»

قد أمر حذيفة بأن يأتي قريشاً فيقول: يا معشر قريش، إنما يريد الناس الخ.. ثم يأتي كنانة فيقول كذا وكذا، ثم يأتي قيساً فيقول كذا وكذا..

وهذا لا ينسجم مع عنصر السرية الذي كان مطلوباً لحذيفة في ظروف كهذه. كما لا ينسجم مع ما جرى بينه وبين جليسيه حين طلب أبو سفيان أن يعرف كل منهم جليسه.

وخامساً:

ألف: إن بعض المصادر ذكرت: أنه لما سأل حذيفة جليسه عن اسمه. قال: سبحان الله، أما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان، فإذا رجل من هوازن.

فما معنى تعجب هذا الرجل؟ فهل رأى حذيفة وجهه في ذلك الظلام الدامس ولم يعرفه، فأثار ذلك تعجبه؟!

ب: كما أننا نعرف أن حذيفة قد حضر حرب أحد، وكان أبو سفيان قائد جيش المشركين في أحد، فهل لم يكن قد رآه آنئذٍ، ليقول هنا: إنه لم يكن يعرف أبا سفيان حتى ذلك الوقت؟!.

وحين رآه واقفاً يوقد النار ويستدفئ بها كيف عرف أنه أبو سفيان؟ فلعله رجل آخر من هذا الجيش الكثيف.

ج: تذكر رواية الراوندي: أن حذيفة قال: «فصرت إلى معسكرهم فلم أجد هناك إلا خيمة أبي سفيان، وعنده جماعة من وجوه قريش، وبين أيديهم نار تشتعل مرة، وتخبو أخرى، فانسللت فجلست بينهم»[1].

والسؤال هو: لماذا لم يجد إلا خيمة أبي سفيان، فهل استعصت هذه

---

(١) الخرائج والجرائح ج١ ص١٥٧ والبحار ج٢٠ ص٢٤٨ عنه.

الخيمة فقط على الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم؟! ودمرت خيام جيش يعد بالألوف؟!

وسادساً: إن البعض قد أورد ما يشبه هذه الرواية، لكنه يجعل بطلها الزبير بن العوام، فهو يقول:

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟!.

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟!

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: إن لكل نبي حوارياً، وإن حواري الزبير[1].

ونقول:

إذا كان هذا صحيحاً فلماذا ترك الزبير، ولم يرسله. وأرسل حذيفة؟!.

فأجاب البعض: بأن حذيفة إنما ذهب ليأتيه بخبر المشركين.

---

(١) حدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ و ٥٩١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٤٨ وعيون الأثر ج٢ ص٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣١ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٤٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٧٠ عن البخاري ومسلم، وسنن الترمذي، وابن ماجة، وفي الأخير عن علي.

أما الزبير فقد كشف خبر بني قريظة[١].

ولكنه كلام لا يصح: لأن ابن الديبع قد صرح بأن الزبير هو الذي سمع أبا سفيان ينادي، ويأمرهم بسؤال جلسائهم عن أنفسهم.

قال الزبير: فبدأت بجليسي وقلت: من أنت؟[٢].

وقد حاول دحلان أن يجيب عن ذلك التساؤل بطريقة أخرى، فقال: «فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما سيأتي، ولم يرسل الزبير (رض) مع سؤاله ذلك ثلاثاً؛ لأن له حدة وشدة، لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئاً مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي، فاختار إرسال حذيفة ذلك. هذا هو التحقيق عند أئمة السير. وهو أن المرسل إنما هو حذيفة (رض). ونسب بعضهم الإرسال إلى الزبير، وهو اشتباه. وإنما إرسال الزبير (رض) في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد»[٣] انتهى.

ونقول:

قد تقدم: أن إرسال الزبير إلى بني قريظة لا يصح أيضاً، فراجع.

وأما أنه «صلى الله عليه وآله» عدل عن الزبير إلى حذيفة لأجل حدة كانت في الزبير، فإنما هو على فرض تسليم أصل القصة. وهي مردودة جملة وتفصيلاً؛ لأن حذيفة يصرح بأنه «صلى الله عليه وآله» ناداهم ثلاثاً فلم يجب منهم أحد، وهذا يكذب أن يكون الزبير قد أجاب ثلاث مرات.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٦٢ و ٥٦٣ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وفتح الباري ج٧ ص٣١٢.

(٢) حدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ و ٥٩١.

(٣) السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨.

حقيقة القضية:

ونعتقد: أن ما يذكر للزبير هنا إنما هو من مجعولات محبيه، لينال وساماً عن غير جدارة ولا استحقاق.

أما حذيفة، فقد يكون النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله لكشف خبر المشركين، فراقبهم عن بعد، أو عن قرب، وسمع بعض أقوالهم، ثم زاد الرواة على ذلك ما شاؤوا حتى أخرجوا القضية عن حدود المعقول والمقبول.

رسالة أبي سفيان للنبي ﷺ قبل الرحيل:

وكتب أبو سفيان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» رسالة يقول فيها: لقد سرت إليك في جمعنا. وإنا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟.

فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أُحد، تبقر فيه النساء.

وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي؛ فقرأه له أُبي بن كعب؛ فكتب إليه «صلى الله عليه وآله»:

أما بعد، فقديماً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى.

وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق، فإن الله تعالى ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى، وأساف، ونائلة،

وهبل حتى أذكرك ذلك[١].

ثمة نص آخر لكتاب كتبه أبو سفيان، فليراجع[٢].

الرحيل الذليل:

وذكر الواقدي: أن أبا سفيان جلس على بعيره وهو معقول، ثم ضربه، فوثب على ثلاث قوائم، فما أطلق عقاله إلا بعد ما قام.

فناداه عكرمة: إنك رأس القوم وقائدهم، تقشع؟ وتترك الناس؟.

فاستحيا، فأناخ جمله ونزل عنه، وأخذ بزمامه وهو يقوده، وقالوا: ارحلوا.

قال: فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتى خف العسكر.

ثم قال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، لا بد لي ولك أن نقيم في جريدة[٣] من خيل بإزاء محمد وأصحابه، فإنا لا نأمن أن نُطلب حتى ينفذ العسكر.

فقال عمرو: أنا أقيم.

وقال لخالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سليمان؟.

فقال: أنا أيضاً أقيم.

فأقام عمرو وخالد في ماءتي فارس وسار العسكر إلا هذه الجريدة على متون الخيل.

---

(١) المغازي ج٢ ص٤٩٢ والإمتاع ج١ ص٢٤٠ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٤٢ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٤ والنزاع والتخاصم ص١٧ و ١٨ والغدير ج٣ ص٢٥٢ عنه.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣١.

(٣) الجريدة: جماعة الخيل.

وأقامت الخيل حتى السحر، ثم مضوا فلحقوا الأثقال والعسكر مع ارتفاع النهار بملل.

ولما ارتحلت غطفان وقف مسعود بن رخيلة في خيل من أصحابه، ووقف الحارث بن عوف في خيل من أصحابه، ووقف فرسان من بني سليم في أصحابهم، ثم تحملوا في طريق واحدة، وكرهوا أن يتفرقوا حتى أتوا على المراض (موضع على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة) ثم تفرقوا إلى محالهم[1].

لكن الراوندي يقول: إن أبا سفيان قال لخالد:

إما أن تتقدم أنت فتجمع إلي الناس، ليلحق بعضهم ببعض، فأكون على الساقة، وإما أن أتقدم أنا وتكون على الساقة.

قال: بل أتقدم أنا وتتأخر أنت.

فقاموا جمعياً، فتقدموا، وتأخر أبو سفيان فخرج من الخيمة، وأنا اختفيت في ظلها، فركب راحلته وهي معقولة من الدهش الذي كان به، فنزل يحل العقال، فأمكنني قتله، فلما هممت بذلك تذكرت الخ..[2].

فالرواية المتقدمة تقول: إن خالداً قد بقي هو وعمرو بن العاص في جريدة من مائتي فارس، وهذه تقول: إن خالداً تقدم على أبي سفيان، وابن العاص حيث بقي أبو سفيان على ساقة العسكر، وابن العاص في الجريدة،

---

(١) المغازي ج٢ ص٤٩٠ وأشار إلى ذلك في عيون الأثر ج٢ ص٦٦، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١١ و ١٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٧ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٩.

(٢) الخرائج والجرائح ج١ ص١٥٧ والبحار ج٢٠ ص٢٤٨ عنه.

التي تأخرت.

ومهما يكن من أمر: فقد روي عن قتادة: أن سيد كل حي كان يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده قال: النجاة، النجاة أتيتم. لما بعث الله عليهم من الرعب، وتركوا ما استثقلوه من متاعهم[1].

ويقول البلاذري: بعد أن ذكر: أن الله سبحانه قد أرسل عليهم ريحاً صفراء، فملأت عيونهم فداخلهم الفشل والوهن، وانهزم المشركون وانصرفوا إلى معسكرهم، ودامت عليهم الريح..

وقالت غطفان وسليم: «والله، لمحمد أحب إلينا، وأولى بنا من يهود، فما بالنا نؤذيه وأنفسنا، وكانت تلك السنة مجدبة، فجهدوا، وأضر مقامهم بكراعهم، فانصرفوا، وانصرف الناس»[2].

وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) عليه السلام:

إن ملاحظة معظم المؤخرين تعطينا:

١ ـ إن ما فعله نعيم بن مسعود ـ حسب زعمهم ـ من الفتنة بين بني قريظة والمشركين، ثم إرسال الريح عليهم ـ كان هو السبب في هزيمة الأحزاب[3].

---

(١) راجع: بهجة المحافل ج١ ص٢٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢.

(٢) أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥.

(٣) راجع: على سبيل المثال: فتح الباري ج٧ ص٣٠٢.

٢ ـ وبعضهم يرى: أن السبب هو الريح فقط، أو الريح والجنود[1].

٣ ـ والبعض يرى: أن ما فعله نعيم هو السبب[2].

بل يقول البعض:

إن دور الريح والملائكة كان صورياً. والسبب الحقيقي هو الفرقة التي بثها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين صفوف المهاجمين، فأصبح بعضهم لا يأمن بعضاً قبل المعركة، فكيف يأمنه إذا حمي الوطيس واحمرت الحدق؟!.

ولذلك ما إن هبت عليهم الرياح التي أرسلها الله حتى اتخذوها ذريعة للانسحاب من ميدان القتال يحملون في قلوبهم الضغائن على بعضهم[3].

وهو كلام عجيب لما فيه من الجرأة والوقاحة على نفي كلام القرآن، الذي يصرح بالدور القوي للملائكة وللريح في حسم الموقف، كما تقدم في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾**[4].

فهل يرى هذا الكاتب أن ما أرسله الله سبحانه لم يكن له أي أثر أو دور إلا أنه اتخذ ذريعة للفرار من قبل المشركين؟!.

وقد ورد أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز

---

(١) راجع: سيرة مغلطاي ص٥٦ والدر المنثور ج٥ ص١٩٢ عن ابن أبي حاتم وابن جرير عن السدي وقتادة.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص١٩٥ عن ابن سعد بن المسيب.

(٣) التفسير السياسي للسيرة ص٢٦٢ و ٢٦٣.

(٤) الآية ٩ من سورة الأحزاب.

جنده، ونصر عبده، وغلب (أو وهزم) الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»[1].

ونقول:

إن النصوص المختلفة تلمح وتصرح: بأن هزيمة الأحزاب كانت لأسباب ثلاثة:

الأول: وهن أمر المشركين بسبب تضعضع ثقتهم ببعضهم البعض، مع طول الحصار، ثم مع ما واجهوه من مصاعب فيما يرتبط بالناحية المعيشية لهم ولكراعهم.

وذلك لأن خروجهم إلى حرب النبي بعد انقضاء زمن الحصاد، وفي سنة مجدبة، قد تسبب بنكسة قوية. وهو يدل على أنهم لم يدرسوا الموقف من جميع جوانبه، ولعل ذلك لأجل أنهم كانوا مطمئنين إلى أنهم سيحسمون الموقف لصالحهم في فترة وجيزة ففاجأهم الرسول بخطته الحربية التي كانت قاصمة الظهر بالنسبة إليهم.

الثاني: ما أرسله الله سبحانه عليهم من الريح والجنود التي لا ترى، فإن الآية وإن لم تصرح بأن هزيمتهم كانت بسبب ذلك إلا أن عدم التصريح هذا لأن ذلك لم يكن هو تمام السبب في الهزيمة، بل كان من المؤثرات فيها.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥٠ عن البخاري والبداية والنهاية ج٤ ص١١١ و ١١٥ عن الصحيحين ومجمع البيان ج٨ ص٢٤٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٠ وعن مسلم كتاب الذكر ج٨ ص٨٣ والبحار ج٢٠ ص٢٠٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٥٦ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢١٤ و ٢٢١ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٠٦.

الثالث: ما قذفه في قلوبهم من الرعب، بسبب قتل فرسانهم وكبش كتيبتهم، حتى يئسوا من أن يلجوا الخندق مرة أخرى.

قال ابن العبري: «وبقوا بضعة وعشرين يوماً لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو إلى البراز، فسعى نحوه علي بن أبي طالب، فقتله وقتل بعده صاحباً له، وكان قتلهما سبب هزيمة الأحزاب، على كثرة عددهم، ووفرة عددهم»(١).

ب: وقال المعتزلي: «الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرواً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم»(٢).

ج: وقال الشيخ المفيد: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع، والخطاب. ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، إذ كان الفتح له، وعلى يديه. وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين»(٣).

د: ويقولون أيضاً: «وفر عكرمة، وهبيرة، ومرداس، وضرار، حتى انتهوا إلى جيشهم، فأخبروهم قتل عمرو ونوفل، فتوهن من ذلك قريش، وخاف أبو سفيان. وكادت أن تهرب فزارة، وتفرقت غطفان»(٤).

هـ : تقدم عن علي عليه الصلاة والسلام أنه قال عن قتله لعمرو بن

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج٥ ص٧.

(٣) الإرشاد ص٦٢ والبحار ج٢٠ ص٢٥٨.

(٤) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

عبد ود يوم الأحزاب: «فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكاية»[1].

و: ثم هناك ما روي عن ابن مسعود: من أنه كان يقرأ ـ على سبيل التفسير والبيان طبعاً ـ ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي[2].

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين «عليه السلام».

وما أكثر القراءات التفسيرية هذه، فراجع كتابنا: «حقائق هامة حول القرآن الكريم».

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ج٢ ص٣٦٩ والبحار ج٢٠ ص٢٤٤.

(٢) راجع: الدر المنثور ج٥ ص١٩٢ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر وينابيع المودة ص٩٤ و ٩٦ و ١٣٧ عن المناقب وأبي نعيم وميزان الاعتدال ج٢ ص٣٨٠ ومناقب آل طالب ج٣ ص١٣٤ والإرشاد للمفيد ص٦٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٣٢٣ والبحر المحيط ج٧ ص٢٢٤ وروح المعاني ج٢١ ص١٧٥ وكفاية الطالب ص٢٣٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥٠ و ٣٣٤ والبحار ج٢٠ ص١٩٦ و ٢٠٥ و ٢٥٩ وج ٤١ ص٨٨ وشواهد التنزيل (ط وزارة الثقافة والإرشاد الايرانية) ص٧ و ٨ و ٩ ج٢ ونهج الحق ص١٩٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج٢ ص٤٢٠. وملحقات إحقاق الحق للمرعشي النجفي ج٣ ص٣٧٦ ـ ٣٨٠ وج ١٤ ص٣٢٧ ـ ٣٢٩ وج ٢٠ عن مصادر تقدمت وعن المصادر التالية: معارج النبوة للكاشفي ج١ ص١٦٣ ومناقب مرتضوي ص٥٥ ومفتاح النجا للبدخشي (مخطوط) ص٤١ وتجهيز الجيش ص٨١ (مخطوط) ودر بحر المناقب (مخطوط) ص٨٥ وأرجح المطالب ص٧٥ و ١٨٦.

ز: عن ابن عباس: كفاهم الله القتال يوم الخندق، بعلي بن أبي طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود[١].

وذكر القمي أيضاً: نزول الآية في علي فراجع[٢]. وكذا روي عن الإمام الصادق[٣].

ح: تقدم في الفصل السابق قول الحافظ يحيى بن آدم، أو جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: **﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾**[٤].

ط: قال الشيخ المفيد: «وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء النفر (يعني: عمرواً وأصحابه): الآن نغزوهم ولا يغزوننا»[٥].

وعند المعتزلي الشافعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال عند قتل عمرو: «ذهبت ريحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله»[٦].

أشجع الأمة:

قال المحقق التستري: تدل الآية بناء على قراءة ابن مسعود: «على كون

---

(١) شواهد التنزيل (ط وزراة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ج٢ ص١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١٣ ص٢٨٤ عن الإسكافي.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٨٩ والبحار ج٢٠ ص٢٣٣.

(٣) ينابيع المودة ص٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٤ والبحار ج٤١ ص٨٨.

(٤) الآية ٢٥١ من سورة البقرة.

(٥) الإرشاد ص٦٢ والبحار ج٢٠ ص٢٥٨.

(٦) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج١٩ ص٦٢ والبحار ج٢٠ ص٢٧٣ عنه.

علي أشجع من كل الأمة، وأنه تعالى به «عليه السلام» كفى شر العدو عنهم يوم الأحزاب، فيكون أفضل منهم، ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[1]»[2].

وقال المظفر: «..فمنه حياة الإسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندرست معالم الإسلام، لضعف المسلمين ذلك اليوم، وظهور الوهن عليهم الخ..»[3].

مفارقة في الموقف:

وقد ذكرت إحدى الروايات: أن هند بنت عمرو بن حزام، حين قتل زوجها عمرو بن الجموح وأخوها عبد الله، وابنها في حرب أحد، قالت لعائشة:

أما رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصالح، وكل مصيبة بعده جلل. واتخذ الله من المؤمنين شهداء ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[4].

قال المعتزلي: قلت: هكذا وردت الرواية. وعندي أنها لم تقل كل ذلك. ولعلها قالت: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ لا غير. وإلا فكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى، أنزلت بعد الخندق. والخندق بعد أحد. هذا

---

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء.

(٢) إحقاق الحق ج٣ ص٣٨١.

(٣) دلائل الصدق ج٢ ص١٧٥.

(٤) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

من البعيد جداً[1].

ونقول:

إننا نوافق المعتزلي على ما قاله.

ولكننا نقول له: كيف صار هذا من البعيد جداً، ولم تكن موافقات عمر للقرآن[2] على اختلافها وتنوعها، من البعيد جداً أيضاً؟!.

أم أن عبقرية عمر ليست لغيره من البشر، حتى الأنبياء وأوصيائهم، فضلاً عن النساء؟ أم أن حق التأليف القرآني محفوظ لعمر بن الخطاب بالإشتراك مع العزة الإلهية؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون والوضاعون لفضائل عمر علواً كبيراً.

الآن نغزوهم، ولا يغزوننا:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال يوم الأحزاب، حين أجلاهم الله سبحانه: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم.

أو قال: لن تغزوكم قريش بعد عامهم (أو عامكم) هذا، أو نحو ذلك[3]. فلم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١٤ ص٢٦٢.

(٢) راجع على سبيل المثال: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٣٢ ـ ٣٤ والغدير للعلامة الأميني ج٥ ص٤٣ ـ ٦٥.

(٣) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٩ عن أحمد، والبخاري، والبزار، والبيهقي، وأبي نعيم، وفتح الباري ج٧ ص٣١٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٣٩٤، و ٤٥٧ و ٤٥٨ والسيرة النبوية=

متى قال النبي ﷺ كلمته؟!

وقد صرح المفيد والمعتزلي: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك حين قُتل عمرو وأصحابه. لكن المؤرخين الآخرين يذكرون ذلك بعد جلاء الأحزاب.

والظاهر هو: أنه لا فرق بين القولين، لأن جلاء الأحزاب كان في اليوم الثاني، أو الثالث من قتل الفرسان. فلم يكن هناك فاصل زماني يعتد به. ولا حدثت بعد قتلهم أحداث متميزة ومهمة سوى ما أرسله الله سبحانه

= لابن دحلان ج٢ ص١٢ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ والبحار ج٢٠ ص٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص٦٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٨ وعيون الأثر ج٢ ص٦٦ وراجع ص٧٦ وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٥ عن ابن إسحاق ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢.

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٥ ومجمع البيان ج٢ ص٣٤٥ والبحار ج٢٠ ص٢٠٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢١ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص٢٠٧ والبحر المحيط ج٧ ص٢٢٤.

على الأحزاب من الريح.

ولعل البعض: قد حاول تعمية الأمر هنا، لأجل أن يقلل من أهمية الإنجاز الكبير الذي حققة علي «عليه السلام»، الذي ابتلي بأناس لا يزالون يحاولون إنكار فضائله، وإطفاء نور جهاده الرسالي الرائد.

لماذا لن تغزوهم قريش بعد اليوم؟!

لقد أشاع المشركون بعد حرب أُحد: أن المسلمين قد هزموا، وتكبدوا خسائر فادحة، رغم أن نهايات حرب أحد كانت كبداياتها قد أرعبت جيش الشرك، وهزمته روحياً وعسكرياً، وإن كانت قد حصلت نكسة في أواسط المعركة، تكبد المسلمون بسببها خسارة كبيرة.

ولكنهم بفضل جهاد علي «عليه السلام»، ثم عودة الخلص من المسلمين للقتال قد استعادوا زمام المبادرة، وانتهت الحرب بهزيمة المشركين وكسر عنفوانهم، وتكبدوا هم أيضاً خسائر كبيرة على مستوى القيادات وغيرها.

ولكن الخسارة التي مني بها المسلمون كانت أكبر ـ كما قلنا ـ فكان أن أشاع المشركون أنهم قد انتصروا في حرب أحد، كمحاولة دعائية فارغة لرد الإعتبار.

ثم حزبوا الأحزاب، وجمعوا الجموع، واتفقوا مع يهود بني قريظة، فانتعشت آمالهم من جديد، وبدا واضحاً لهم: أن أمر المسلمين قد انتهى، وأصبحت المسألة مسألة وقت لا أكثر ولا أقل.

وقد كانت المشاركة الشاملة للقبائل الفاعلة في المنطقة تطمئن زعماء قريش، الذين حشدوا كل ما لديهم من قوى بشرية ومادية لحسم هذا

الأمر، والتخلص من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم.

ولكن وجود الخندق، وحسن إدارة الرسول «صلى الله عليه وآله» لأمر الحرب معهم، قد هيأ للمسلمين فرصة للمطاولة في أمر الحرب، حتى مل الأحزاب طول الحصار، وأصبحوا يواجهون مشكلات على مستوى التموين وغيره.

ثم ظهرت خلافات زعزعت الثقة فيما بين الفرقاء المؤتلفين، حيث فسد الأمر بينهم وبين بني قريظة وكان الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» السبب في ظهورها، حسبما أوضحناه.

ثم كان قتل علي «عليه السلام» لعمرو، فارس الأحزاب وكبش كتيبتهم، ولمن معه، وفرار الباقين، هو الضربة القاصمة لهم، والمرعبة لقلوبهم.

وجاءت الريح لتثير في نفوسهم المزيد من الخوف والرهبة، والإحساس بالوحشة والوحدة. حيث يجد كل منهم نفسه مسؤولاً عن حفظ نفسه في مواجهة طغيان هذه الريح. ولا أحد يستطيع مساعدته والدفع عنه.

فآثروا الفرار على القرار، خوفاً من أن يبطش بهم سيف الإسلام من جديد، دون أن يتمكنوا من لم شعثهم، وتسوية صفوفهم. بل وحتى دون أن يتمكنوا من رؤية ما حولهم، لأنهم أصبحوا في ظلمة شديدة، وحالة مزرية إلى أبعد الحدود.

فكانت الهزيمة، وكان الخزي والعار لهم، دون أن يتمكنوا من تحقيق أي شيء سوى أنهم قتلوا أفراداً قليلين، قد لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة وقد خسروا في المقابل ما يعادل نفس هذا العدد، إلا أن من بينهم فارس قريش والعرب عمرو بن عبد ود العامري لعنه الله.

فإذا كان هذا أكبر حشد يمكن لقوى الشرك والكفر في المنطقة كلها أن تقوم به، وقد طار صيت هذا الحشد في مختلف البلاد، وشدت إليه الأنظار، وانتظر الناس أخباره في الليل والنهار، وتوقعت القبائل نتائجه في مختلف أرجاء الجزيرة العربية بفارغ الصبر لا سيما وأن الهدف الذي أعلنوه لهذه الحرب، هو استئصال محمد ومن معه، حسبما تقدم[1].

فإن النتائج التي قدمها هذا الحشد كله، قد جاءت بمثابة زلزال هز المنطقة من الأعماق، وبث روح الفشل والوهن في كل قلب، وزرع الخوف والرعب في كل بيت.

وحدثت الهزيمة الساحقة والماحقة لكل عنفوان الشرك، وجبروت الكفر حيث فهم الجميع أن أقصى ما يمكن لهم أن يفعلوه ضد الإسلام ونبي الإسلام قد فعلته قريش والأحزاب ولم ينته إلى نتيجة.

وكانت النتيجة كذلك هي أن قريشاً قد فقدت الكثير من نفوذها ومكانتها، ولم تعد الكثير من القبائل تجد نفسها ملزمة بالخط أو الموقف الذي تريد قريش إلزامها به.

ولم يعد بالإمكان إقناع الكثير من القبائل بالمخاطرة بمستقبلها، والدخول في حرب جديدة مع الإسلام ومع المسلمين.

أضف إلى ذلك: أنه لم يعد بالإمكان تحصيل درجة كافية من الوثوق

---

(١) راجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٤٢ والمغازي للواقدي ج٢ وبقية المصادر ـ وهي كثيرة جداً ـ تجدها في فصل: الأحزاب إلى المدينة، وفي فصل: غدر بني قريظة.

بالآخرين، الذين لا بد من ضمان مشاركتهم الفاعلة حتى النهاية. بعدما أثبتت التجربة مع بني قريظة، بل وفيما بين فئات المشركين أنفسهم، أن الرهان على ذلك رهان فاشل، بل هو رهان على يباب وسراب.

وهكذا فإن القبائل التي باتت على يقين من عجزها عن مواجهة الإسلام تسير باتجاه ترميم علاقاتها، وتحسينها مع التيار الإسلامي الجديد، الذي لا يزال يتنامى ويتعاظم في المنطقة بصورة مطردة.

وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله»: الآن نغزوهم ولا يغزوننا أو ما هو قريب من هذا.

وأصبح زمام المبادرة العسكرية على الخصوص بيد المسلمين، منذ هزيمة الأحزاب واليهود في حرب الخندق.

﴿..وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾[1].

غلط حسابات المعتزلي:

وقد ادَّعى المعتزلي: أن النبي «انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه يوم أُحد وكان يوم الخندق كفافاً، خرج هو وهم سواء لا عليه ولا له، لأنهم قتلوا رئيس الأوس، وهو سعد بن عبادة، وقتل منهم فارس قريش، وهو عمرو بن عبد ود، وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك التي كانت»[2].

وقد اشتبه الأمر على المعتزلي في موضعين:

أحدهما: قوله: إن المشركين انتصروا على النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٢٠.

يوم أُحد.

وقد بينا في غزوة أُحد: أن النصر فيها كان للمسلمين، وأن المشركين قد فروا من ساحة الحرب، خوفاً من أن ينال المسلمون منهم بصورة أشد وأعنف.

نعم.. قد حصلت نكسة للمسلمين في وسط المعركة، ثم تجاوزوها بفضل جهاد علي، وقتله العديد من قادة كتائب المشركين، فراجع.

الثاني: دعواه: أنه يوم الأحزاب لم يكن النصر لأحد، مع أن النصر فيها كان للمسلمين، وذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان. وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم من نصوص وبحوث.

إلا أن يكون محط نظر المعتزلي هو عدد القتلى الذين سقطوا من الفريقين في هذه المعارك.

ولكن من الواضح: أن تعبيره بالنصر والهزيمة ـ والحالة هذه ـ يصبح بلا مبرر.

الشهداء والقتلى:

١ ـ الشهداء من المسلمين:

قال مالك: لم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة، أو خمسة[1].

وقال أبو زهرة: خمسة[2].

---

(١) الوفاء ج١ ص٣٠٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ عن الوفاء والجامع للقيرواني ص٢٨١.

(٢) خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨.

وقيل: كان الشهداء ستة، منهم سعد بن معاذ.

وزاد الكازروني: أنهم من الأنصار[1].

وقال البعض: استشهد سعد في سبعة من الأنصار[2].

وقال البعض: قتل من المسلمين ثمانية، مضيفاً الرجلين اللذين قيل: إنهما كانا طليعة للمسلمين فقتلا[3]. وقد تقدم عدم صحة ذلك.

وحسب بعض المصادر، فالشهداء هم: ثلاثة من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، رمي بسهم، وأنس بن أوس، قتله خالد بن الوليد، وعبد الله بن سعد، رماه رجل من بني عويف فقتله.

واثنان من بني جشم، هم: الطفيل بن النعمان، قتله وحشي، وابن عتمة، قتله هبيرة بن أبي وهب.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٣ وراجع: البداء والتاريخ ج٤ ص٢٢٠ ومختصر التاريخ ص٤٣ والوفاء ص٦٩٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٠ و ٢٤١، ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٧٢ وحبيب السير ج١ ص٣٦٤ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥٠ و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج٢ ص٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٢ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٨ و ١٧٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص٢٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٢.

(٣) الرسول العربي وفن الحرب.

وواحد من بني النجار (أو دينار) هو كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله، وقيل: قتله ضرار بن الخطاب.

وزاد الدمياطي في الشهداء من المسلمين: قيس بن زيد بن عامر، وعبد الله بن أبي خالد، وأبا سنان بن صيفي بن صخر، ذكر الحافظ في الكنى: أنه شهد بدراً، واستشهد في الخندق[1].

٢ـ القتلى من المشركين:

وقتل من المشركين ثمانية[2].

وقيل: ثلاثة[3].

وقيل: أربعة جميعهم من قريش[4]. وقد سمت بعض المصادر القتلى.

والقتلى الثلاثة من المشركين هم: منبه بن عثمان (أو عثمان بن أمية بن منبه) أصابه سهم فمات بمكة. ونوفل بن عبد الله، وعمرو بن عبد ود[5]،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥١ وعيون الأثر ج٢ ص٦٧ و ٦٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠.

(٣) راجع المصادر التي تقدمت للقول بأن شهداء المسلمين ستة.

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٢ والرسول العربي وفن الحرب ص٢٥٤ وروح المعاني ج٢١ ص١٧٥.

(٥) راجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٠ و ٢٤١ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥٠ و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج٢ ص٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي =

وعبيد بن السباق[1]. فليتأمل في هذا الأخير وليراجع كلام ابن إسحاق.

وتقدم: أن حسل بن عمرو بن عبد ود قد قتل هو الآخر مع أبيه. فراجع الفصل السابق.

وقال ابن شهرآشوب: إن علياً «عليه السلام» قتل يوم الأحزاب: عمرو بن عبد ود وولده، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، ومنبه بن عثمان العبدري، وهبيرة بن أبي هبيرة المخزومي[2].

العودة إلى المدينة:

قالوا: «وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخندق، وليس بحضرته أحد من عساكر المشركين، قد هربوا وانقشعوا إلى بلادهم.

فأذن للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم. فخرجوا مبادرين مسرورين بذلك.

فكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تعلم بنو قريظة حب رجعتهم إلى منازلهم، فأمر بردهم، فبعث من ينادي في أثرهم، فما رجع منهم رجل

= (المغازي) ص٢٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٨ و ١٧٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص٢٠٦ وحبيب السير ج١ ص٣٦٤ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والبحر المحيط ج٧ ص٢٢٤ وروح المعاني ج٢١ ص١٧٥.

(١) البحر المحيط ج٧ ص٢٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٨٣.

واحد»[1].

زاد في نص آخر قوله: «من القر والجوع، قالا: وكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرعتهم، وكره أن يكون لقريش عيون.

قال جابر: فرجعت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلقيته في بني حرام منصرفاً، فأخبرته، فضحك «صلى الله عليه وآله»»[2].

ويقول القمي عن الأحزاب: «ففروا منهزمين، فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: لا تبرحوا.

فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة، وبقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر يسير»[3].

ويقول الراوندي: «إن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى بالناس الفجر، ونادى مناديه: لا يبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس.

فما أصبح إلا وقد تفرق عنه الجماعة إلا نفراً يسيراً.

فلما طلعت الشمس انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن كان معه، فلما دخل منزله الخ..»[4].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥٠ والمغازي ج٢ ص ٤٩١. وفي إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٩ اكتفى بالقول: «وأصبح «صلى الله عليه وآله»، فأذن للمسلمين بالانصراف، فلحقوا بمنازلهم».

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥٠ عن الطبراني، والواقدي. والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٢.

(٣) تفسير القمي ج٢ ص١٨٧ والبحار ج٢٠ ص٢٣١.

(٤) الخرائج والجرائح ج١ ص١٥٨ والبحار ج٢٠ ص٢٤٨ عنه.

وكان انصرافه «صلى الله عليه وآله» من غزوة الخندق لسبع ليال بقين من ذي القعدة[١].

وكان المنافقون بناحية المدينة يتحدثون بنبي الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، ويقولون: ما هلكوا بعد؟!.

ولم يعلموا بذهاب الأحزاب، وسرهم أن جاءهم الأحزاب، وهم بادون في الأعراب[٢].

عثمان وبنت النبي ﷺ في الخندق:

وقد روى **قطب الدين الراوندي**: قصة المغيرة بن أبي العاص في غزوة الخندق وملخص ما هو محط نظرنا منها:

أن المغيرة بن أبي العاص ادَّعى: أنه رمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكسر رباعيته، وشق شفتيه وكذب، وادَّعى أنه قتل حمزة وكذب.

فلما كان يوم الخندق ضرب الله على أذنيه، فنام ولم يستيقظ حتى أصبح، فخشي أن يجيء الطلب فيأخذوه، وجاء إلى منزل عثمان، وتسمى باسم رجل من بني سليم كان يجلب إلى عثمان الخيل والغنم والسمن؛ فأدخله عثمان منزله، فلما علمت امرأة عثمان ما صنع بأبيها وعمها صاحت، فأسكتها عثمان.

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ وعيون الأثر ج٢ ص٦٦ وراجع: نهاية الأرب ج١٧ ص١٧٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وفتح الباري ج٧ ص٣١١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٥٠.

ثم خرج إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فطلب منه الأمان للمغيرة ثلاث مرات، والنبي يحول وجهه عنه حتى آمنه في الثالثة، وأجله ثلاثاً، ولعن من أعطاه راحلة، أو رحلاً، أو قتباً، أو سقاء، أو قربة، أو إداوة، أو خفاً، أو نعلاً، أو زاداً أو ماء؛ فأعطاه عثمان هذه الأشياء.

ولم يوفق للخروج من محيط المدينة فأعلم جبرئيل النبي «صلى الله عليه وآله» بمكانه، فأرسل زيد بن حارثة والزبير، فقتله زيد لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد آخى بين زيد وحمزة.

فرجع عثمان إلى امرأته، واتهمها بأنها كانت قد أخبرت أباها بمكان عمه، فحلفت له بالله ما فعلت، فضربها بخشبة القتب ضرباً مبرحاً كان سبب وفاتها في اليوم الثاني، وقد منع النبي «صلى الله عليه وآله» عثمان ـ الذي كان قد ألم بجاريته ليلة وفاتها ـ من حضور جنازتها[1].

ولكن قد تقدم بعد غزوة حمراء الأسد: أن هذه القضية قد حصلت بعد واقعة أحد. وربما تكون رواية الراوندي أقرب والله هو العالم.

---

(١) الخرائج والجرائح ج١ ص٩٤ ـ ٩٦ والبحار ج٢٢ ص١٥٨. وقال في هامش الخرائج: ورواه: بنحو آخر في الكافي ج٣ ص٢٥١ والتهذيب ج٣ ص٣٣٣ وأخرجه في الوسائل ج٢ ص٨١٨.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

الباب الثالث

غـــزوة بنـــى قـــريظـــة

الباب الثالث

[illegible]

المبحث الأول: [illegible]

المبحث الثاني: [illegible]

المبحث الثالث: [illegible]

المبحث الرابع: [illegible]

المبحث الخامس: [illegible]

المبحث السادس: [illegible]

[illegible]

المبحث السابع: [illegible]

آيات في غزوة بني قريظة:

قيل: إن بعض الآيات قد نزلت في غزوة بني قريظة وهي:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ، فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[2].

صدق الله العلي العظيم.

---

(١) الآيات ٥٦ ـ ٥٨ من سورة الأنفال.

(٢) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الأحزاب.

خلاصات عن غزوة بني قريظة:

ونقدم هنا خلاصة عن غزوة بني قريظة، إذ بدون ذلك فسيكون من الصعب لملمة خيوطها من ثنايا ما قمنا به من بحوث موسعة نسبياً، فرضتها علينا التزاماتنا التي أخذنا على عاتقنا مراعاتها في هذا الكتاب.

ولسوف تكون هذه الخلاصة بمثابة عناوين عامة، وكليات لن يغني الاطلاع عليها عن الاطلاع على التفاصيل، والمناقشات، والاستفادات، والتحليلات التي رأينـا من المناسب التعرض لهـا، حسبما اقتضاه الحـال، وسمحت به المناسبة.

وما نريد أن نلمح إليه هنا هو ما يلي:

إنه قد تقدم: أنه كان بين بني قريظة وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهد فنقضوه، فأرسل رسول لله «صلى الله عليه وآله» سعد بن معاذ وآخرين إليهم، لاستطلاع الأمر، فحاول سعد إقناعهم بالتخلي عن فكرة نقض العهد، فسمع منهم ما يكره، ولم يزدهم ذلك إلا استكباراً وإصراراً.

فلما انقضى شأن الأحزاب في الخندق، بالهزيمة الذليلة، بعد قتل فارسهم عمرو بن عبد ود، ومن عبر الخندق معه، عاد النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون إلى المدينة، فجاءه جبرئيل فوراً، وأمره بالمسير إلى بني قريظة.

وكان «صلى الله عليه وآله» ـ على ما هو الأظهر ـ حينئذٍ في بيت فاطمة «عليها السلام» فدعا «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وأمره بالتقدم إلى بني قريظة في مجموعة من المسلمين، ففعل.

ثم أمر «صلى الله عليه وآله» المسلمين بأن لا يصلوا العصر، أو الظهر ـ على ما هو الأرجح ـ إلا في بني قريظة.

وسار «صلى الله عليه وآله» على حمار عري، يقال له: يعفور، حتى نزل على بئر لبني قريظة، يقال له: بئر «أنا» بأسفل حرة بني قريظة، وتلاحق به الناس.

وجاء المسلمون أرسالاً، ووصل بعضهم بعد العشاء الآخرة، ومنهم من لم يكن قد صلى الظهر أو العصر بعد.

وحاصر المسلمون بني قريظة أشد الحصر ـ ودعاهم «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر إلى الإسلام، فأبوا ـ واستمر الحصار أياماً قيل: عشرة أيام، وقيل أكثر من ذلك، وتصاعدت الأقوال إلى شهر.

وأرسل «صلى الله عليه وآله» إليهم أكابر أصحابه، فهزموهم، فبعث علياً «عليه السلام» فكان الفتح على يديه، وكلموا رسول الله بالنزول على ما نزلت عليه بنو النضير، فأبى عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، وأسلم ثعلبة، وأسيد إبنا سعية، وكذلك أسد بن عبيد، وانضموا إلى صفوف المسلمين.

واستشار بنو قريظة أبا لبابة في النزول على حكم النبي «صلى الله عليه وآله»، فأشار إليهم بيده إلى حلقه: إنه الذبح.

فنزلوا على حكم سعد بن معاذ.

وزعموا: أن أبا لبابة قد تاب من ذنبه هذا، وربط نفسه إلى سارية في المسجد حتى أنزل الله توبته، فحله رسول الله بيده، ولم يثبت لنا صحة ذلك، كما سنرى.

وحين نزلوا على حكم سعد، أمر بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكتفوا، وجعلوا ناحية، وجعل النساء والذرية ناحية.

وجاؤوا بالأسرى إلى المدينة، وجعلوهم في دار أسامة بن زيد، ودار بنت الحارث.. وجعل السلاح والأمتعة في دار بنت الحارث أيضاً.

وكان عدد السبي من الذراري والنساء سبع مائة وخمسين، وقيل: كانوا تسع مائة، وقيل: كانوا ألفاً.

وكان سعد يداوى من جرحه في خيمة رفيدة أو كعيبة، فجاؤوا به، وكلمه بعض الناس من الأوس في أمر العفو عن بني قريظة، فلم يجبهم. ثم أصدر حكمه بقتل من حزَّب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1].

فقتل النبي «صلى الله عليه وآله» من أنبت ممن حزَّب عليه من بني قريظة، وأمر «صلى الله عليه وآله» بأخدود فخُدَّت، فضربت أعناقهم فيها، ثم رد عليهم التراب.

وكان علي «عليه السلام» هو الذي قتلهم مع رؤسائهم.

وقيل: إن الزبير قد شاركه أيضاً. ولا مجال لتأكيد ذلك.

---

(١) الرُقعة: السماء عموماً.

وقيل أيضاً: إن الأوس قد شاركوا في عملية القتل هذه.

وقيل: إن نباتة النضيرية، وأرفة بنت عارضة كانتا من جملة القتلى. وأسلم بعضهم، مثل رفاعة بن سموأل، فلم يقتل.

وقد اختلفت كلمات المؤرخين في عدد من قتل منهم، فبلغت ثلاثة عشرة قولاً، تتراوح ما بين الثلاث مائة رجل، والألف.

ويظهر من النصوص: أن بني قريظة لم يقتلوا كلهم، بل قتل منهم خصوص من حزَّب على النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين.

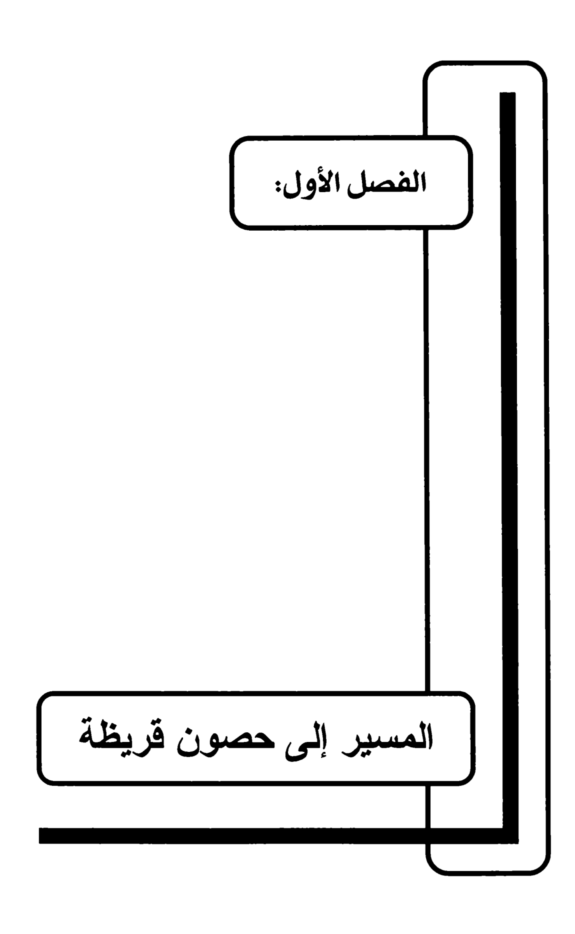
أما من استشهد من المسلمين، فلعله لا يزيد على رجلين أو ثلاثة.

ثم جمعت أمتعتهم، وأخرج الخمس منها، ثم قسمت للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد، وكانت خيل المسلمين ستة وثلاثين فرساً، أو ثمانية وثلاثين.

أما السبي فبيع في من يزيد، ثم قسم ثمنه في المسلمين المشاركين في هذه الغزوة.

وبعث «صلى الله عليه وآله» ببعض السبي إلى نجد، أو الشام فبيع هناك، واشتُري بثمنه سلاح وخيل، وقسم «صلى الله عليه وآله» ذلك بين المسلمين.

وبعد أن انتهى أمر بني قريظة، انفجر جرح سعد بن معاذ، ودام نزفه حتى مات «رحمه الله» شهيداً، فكرمه الرسول «صلى الله عليه وآله» مزيد تكريم، وحزن عليه، وبكاه أبو بكر وعمر، ورثاه حسان بن ثابت.



الفصل الأول:

المسير إلى حصون قريظة

الفصل الأول:

[illegible]

بداية:

لقد انتهت حرب الأحزاب «**الخندق**» التي كان المسلمون فيها يعانون من الجوع، والسهر، والخوف، والإشفاق من مهاجمة ذراريهم ونسائهم من قبل أعدائهم.

وكان من الطبيعي أن يتنفسوا الصعداء حين رأوا عدوهم يغادر أرضهم خائباً، خائفاً، خاسئاً، وكانوا يتمنون أن يصلوا إلى أهلهم، وذويهم، وبيوتهم، ليرتاحوا من ذلك العناء الطويل.

ولكن هل يمكن لهم أن يطمئنوا على مصيرهم ومستقبلهم وإلى جوارهم أولئك الذين حزبوا الأحزاب، ورموهم بذلك البلاء العظيم، الذي كاد أن يقضي على الإسلام والمسلمين ويستأصل شأفتهم؟

ومن جهة ثانية: ما هو الموقف الذي يمكن أن يتخذه النبي «صلى الله عليه وآله» من بني قريظة الذين كانوا السبب في كل ما حصل؟

«ولو افترضنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» جدد العهد معهم في تلك الفترة فما الذي يمنعهم من نقضه والخروج عليه مرة ثانية كما فعلوا بالأمس؟ في حين أنهم لم يجدوا منه إلا الصدق والوفاء كما اعترف بذلك

زعيمهم حينما دعاه حيي بن أخطب للاشتراك مع الغزاة»[1].

لقد كان منطق الحرب، ومنطق الحذر يدعو إلى مهاجمتهم، لأنهم العدو القريب، الذي يتربص الدوائر بالإسلام وبالمسلمين وحربهم امتداد لحرب الأحزاب.. وأحد فصولها، التي لا بد من إنجازها.

ويبقى أن نشير إلى: أن لا مجال لاحتمال أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» حين رأى سرعة أصحابه للعودة إلى المدينة، قد فكر في أن يعطيهم فرصة للراحة فإنه لا مبرر لاحتمال كهذا وفق أي تقييم لما حدث ويحدث، فهذا الأمر الإلهي قد جاء ليظهر أن الله سبحانه يأبى أن يمهل الغدرة الفجرة، فربما يجدون أكثر من وسيلة للتملص والتخلص أو حتى لفرار البعض منهم.. من مواجهة الجزاء العادل لما اقترفته أيديهم.

وقد كان حيي بن أخطب وكعب بن أسد يتوقعان هذه الحرب وقد أخذ كعب بن أسد العهد على حيي أن يدخل معهم في حصنهم ويصيبه ما أصابهم إن رجعت قريش وغطفان. وذلك بعد أن دفع حيي كعباً إلى نقض عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

متى كانت غزوة بني قريظة:

قد تقدم الحديث عن تاريخ غزوة قريظة والخندق.

وقد رجحنا أنهما كانتا في السنة الرابعة للهجرة بل قال ابن حزم: «فكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة متصلاً بأول ذي الحجة في السنة

---

(١) سيرة المصطفى ص٥١١.

الرابعة من الهجرة»[1].

ونحن نكتفي بما ذكرناه في ذلك الموضع فليراجعه من أراد.

من هم بنو قريظة؟!

قريظة: «فخذ من جذام إخوة النضير.

ويقال: إن تهودهم كان في أيام عاديا أي السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له: «**قريظة**»، فنسبوا إليه.

وقد قيل: إن قريظة اسم جدهم»[2].

«وذكر عبد الملك بن يوسف في كتاب الأنواء: أنهم كانوا يزعمون أنهم من ذرية شعيب نبي الله «عليه السلام». وهو بمحتمل (كذا) فإن شعيباً كان من قبيلة جذام، القبيلة المشهورة. وهو بعيد جداً»[3].

ولا يهمنا هنا تحقيق ذلك، ولا تتبع مصادره.

نقض قريظة للعهد:

وقد تقدم: أنه كان بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلح فنقضوه، ومالوا مع قريش. فوجه إليهم سعد بن معاذ، وآخرين، فذكروهم العهد، فأساؤوا الإجابة.

ويقول البعض: إن قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ**

---

(١) جوامع السيرة النبوية ص١٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣.

(٣) فتح الباري ج٧ ص٣١٣ ووفاء الوفاء ج١ ص١٦٢.

عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ، فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[1] قد نزل في شأن بني قريظة، كما قاله مجاهد؛ فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي «صلى الله عليه وآله» على أن لا يضروا به، ولا يمالئوا عليه عدواً، ثم مالؤوا عليه الأحزاب يوم الخندق، وأعانوهم عليه بالسلاح، «وعاهدوا مرة بعد أخرى، فنقضوا»[2].

ولم نجد فيما بأيدينا من نصوص تاريخية ما يدل على تكرر نقض العهد من بني قريظة، إلا ما رواه البخاري عن ابن عمر، قال: «حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم، وأموالهم وأولادهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهودي بالمدينة.

ورواه أبو داود بنحوه، إلا أنه قال: حتى حاربت قريظة بعد ذلك، يعني بعد محاربتهم الأولى وتقريرهم.

ويؤخذ من ذلك: أن إجلاء من بقي من طوائف اليهود بالمدينة كان

---

(١) الآيات ٥٦ ـ ٥٨ من سورة الأنفال.

(٢) مجمع البيان ج٤ ص٥٥٢ والبحار ج٢٠ ص١٩١ وراجع: الدر المنثور ج٣ ص١٩١ عن ابن أبي شيبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد باستثناء العبارة الأخيرة.

بعد قتل بني قريظة»[١].

وروي عن الزهري ومجاهد أن قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء..﴾ قد نزل في بني قريظة[٢].

وروي أيضاً: أنها نزلت في بني قينقاع[٣].

ونقول:

إن الآية لا تنطبق على بني قريظة، لأنهم قد نقضوا العهد، وخانوا بالفعل، والآية إنما تتحدث عن خوف النبي «صلى الله عليه وآله» من خيانة قومٍ ما.

وأما انطباقها على بني قينقاع فقد يكون له وجه، إذ إن ما فعلوه لا يصل إلى درجة ما فعله بنو قريظة، ولأجل ذلك جاء عقابهم أخف من عقاب أولئك.

على أننا نقول: إن الآية الكريمة وإن كانت قد نزلت في هذه المناسبة إلا أنها أرادت أن تعطي قاعدة عامة صالحة للانطباق في كل زمان.

آية نزلت في بني قريظة:

وقد روي عن مجاهد: أن قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى

---

(١) وفاء الوفاء ج١ ص٣٠٩.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص١٩١ عن أبي الشيخ عن الزهري، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد. وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٨ وراجع ص٣٠٩ عن الزهري.

(٣) أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٨ وراجع ص٣٠٩.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[1] نزل في بني قريظة[2].

وكذا روي عن قتادة[3] وسعيد بن جبير[4].

ويؤيد ذلك بل يدل عليه: أن الضمير في «ظاهروهم» يعود إلى الذين كفروا في الآية السابقة، الذين هم الأحزاب، والذين ظاهروا الأحزاب، وأنزلهم الله من صياصيهم، وقتل المسلمون فريقاً منهم وأسروا فريقاً، وهم بنو قريظة بالذات.

رؤيا كرؤيا عاتكة في بدر:

قالوا: لما انصرف المشركون من الخندق، خافت بنو قريظة خوفاً شديداً، وقالوا: محمد يزحف إلينا. وكانت امرأة نباش بن قيس قد رأت[5] ـ والمسلمون في حصار الخندق ـ الخندق ليس به أحد. وأن الناس تحولوا إليهم في حصونهم، فذبحوهم ذبح الغنم.

فذكرت ذلك لزوجها، فذكره للزبير بن باطا، فقال الزبير: ما لها، لا نامت عينها؟ تولي قريش، ويحصرنا محمد، والتوراة؟ ولما بعد الحصار أشد منه[6].

---

(١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الأحزاب.

(٢) الدر المنثور ج٥ ص١٩٢ عن الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٨.

(٣) الدر المنثور ج٥ ص١٩٣ عن ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) الدر المنثور ج٥ ص١٩٣ عن ابن سعد.

(٥) أي رأت في منامها.

(٦) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٦ ـ ٤٩٧.

تعبير الرؤيا:

ونريد أن نسجل هنا:

١ ـ أن الإنسان يهتم كثيراً بكل ما يمس مصيره ومستقبله ويتحرك حتى على أساس التخيل والتوهم لمواجهة أي احتمال قادم إليه من المجهول. فنجده يلتجئ حتى لقارئة البخت التي يعلم أنها تكذب عليه، فإذا تكلمت بكلمات عامة وغائمة، تقولها عادة لكل إنسان، فإنه يتلقفها بلهفة، وبحساسية وشفافية متناهية، ويبدأ بتطبيقها على حاله وأحواله.

فإذا قالت له مثلاً: ستأتيك رسالة من صديق، تخيل أن فلاناً الغائب هو الذي سيرسل إليه تلك الرسالة.

ثم إذا قالت له: هناك من يحسدك أو يكرهك، وهو أمر قد يحدث لكل إنسان، فإنه يطبق ذلك على فلان أو فلان، وتضطرب الانفعالات في نفسه تجاهه، وهكذا..

أما إذا كان الذي يأتيه من المجهول، ويلامس مستقبله وحياته ومصيره له درجة من الواقعية مهما كانت هزيلة وضئيلة، فإن إحساسه بالخطر سوف يتعاظم إلى درجة كبيرة وخطيرة. ولسوف يؤثر على توازنه في حركته وفي مواقفه، بل وقد يفقده ثقته بكثير من خططه المستقبلية، ويفسدها عليه.

ومن الواضح: أن المنامات والرؤى قد أثبتت لها التجربة درجة من الواقعية، ولكنها درجة ضعيفة وخفيفة، ولكن هذا الإنسان يتعامل معها بجدية وباهتمام أكبر وأكثر مما تفرضه واقعيتها تلك.

والذي يدل على واقعية الرؤيا، وأن لها تعبيراً، ما ذكره الله تعالى في سورة يوسف، وأن يوسف «عليه السلام» قد عبر الرؤيا لصاحبي السجن،

ثم لملك مصر، وصدقت الرؤيا، وصدق يوسف «عليه السلام» هذا بالإضافة إلى رؤيا إبراهيم «عليه السلام» في قضية ذبح ولده إسماعيل «عليه السلام».

٢ ـ إنه لا شك في أن للأحلام من حيث مناشئها حتى الكاذبة منها صلة بالواقع، بنحو أو بآخر. فالكاذبة لها صلة بالحالة النفسية والجسدية للشخص، فقد تنشأ عن تأثير بعض المآكل أو المشاهدات، أو أي شيء يواجهه الشخص في حال يقظته مما كان له أثر في النفس أو اختزنته ذاكرته، أو ما إلى ذلك.

وللصادقة صلة من نوع ما بالقوى الظاهرة والخفية والنواميس الطبيعية المهيمنة التي تؤثر في مسيرة الحياة، إيجاباً أو سلباً. وليس بمقدورنا تحديد حقيقة تلك لقوى ولا تحديد نوع تلك النواميس، كما أننا لا نستطيع تحديد أبعاد، ومدى، وكيفية ذلك التأثير الذي يربط بين عالم الرؤيا، وعالم الواقع الخارجي الكوني وقواه ونواميسه.

والذي يزيد في حيرتنا هو ما نجده من تأثير حقيقي لتعبير الرؤيا في الواقع الخارجي، وتوجيهه باتجاه معين، لينتج واقعاً محسوساً يختلف عن واقع محسوس آخر، وأثر تعبير الرؤيا في إبعاد ذاك، ثم في حلول هذا مكانه.

فما هو نوع هذا التأثير، ومداه؟! وما هي مقتضياته؟! وكيف تم ذلك؟ ولماذا؟!

كل ذلك وسواه لا يزال مجهولاً لدينا، وربما يبقى كذلك مجهولاً، والمشيئة في ذلك كله إلى الله سبحانه.

٣ ـ وواضح أن رؤيا هذه المرأة القريظية، قد جاءت لتقدم إنذاراً لأولئك

الذين اعتادوا على نقض العهود والمواثيق، ولتريهم مصيرهم الذي ينتظرهم. وهي من الرؤى الصادقة، تماماً كرؤيا عاتكة التي حصلت لها قبل حرب بدر، فإنها هي الأخرى قد جاءت إنذاراً لأهل مكة المشركين، وإقامة للحجة عليهم، بطريقة تلامس الوجدان الإنساني، وتثير ضميره، وتهزه روحياً من الأعماق.

تزوير التاريخ:

يقول بعض المستشرقين عن قبيلة قريظة: «ظلت هذه القبيلة على الحياد فيما يتعلق بالعمل العسكري، ولكنها قامت بمفاوضات مع أعداء محمد، ولو أنها وثقت من قريش وحلفائهم من البدو لانقلبت على محمد.

وقد هاجم محمد قريظة، بعد أن تخلص من أعدائه، ليظهر أن الدولة الإسلامية الفتية لا تسمح بمثل هذا الموقف المشبوه.

وانسحبت قريظة إلى أطمها، ولم ترد على الهجوم بحماس، ثم أرسلت تطلب الاستسلام بنفس الشروط التي استسلم بها بنو النضير، فأجيبت: أن عليها أن تستسلم بدون قيد أو شرط.

فطلب اليهود استشاره أبي لبابة، فلبى نداءهم.

أما ما جرى بينهما، فلا يزال سراً الخ..»[1].

ونقول:

إننا نسجل على هذا الكلام النقاط التالية:

١ ـ إنه يظهر: أن هذا الكاتب يريد تخفيف ذنب بني قريظة، وإبهام

---

(١) محمد في المدينة، لمونتجمري وات ص٣٢٦.

حقيقة تصرفاتهم، وما صدر منهم، بهدف إظهار أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ظلمهم واعتدى عليهم، وعاقبهم عقوبة لا يستحقونها.

فهو يوحي: أن قريظة لم تنقلب على محمد، لأنها لم تثق بقريش وحلفائها!!

وهو يدَّعي: أنها لم ترد على الهجوم بحماس!! وانسحبت إلى أطمها.

ويدَّعي أيضاً: أن موقف قريظة لم يزد على أن كان موقفاً مشبوهاً. وقد هاجمها النبي «صلى الله عليه وآله»، ليظهر أن الدولة الإسلامية لا تسمح بمثل هذا الموقف المشبوه!! وقريظة بزعمه قد عرضت الاستسلام بشروط قبلها النبي «صلى الله عليه وآله» من بني النضير، لكنه رفضها من بني قريظة!! بل كان «صلى الله عليه وآله» ـ على حد زعمه ـ يريد أن تستسلم قريظة دون قيد أو شرط مع ما يتضمنه ذلك من معاني التحدي والعنفوان الإسلامي مع الإمعان في إذلال قريظة وتحقيرها.

وهو يدَّعي كذلك سرِّيَة ما جرى بين أبي لبابة وبني قريظة. ربما ليضفي ـ هذا القائل ـ المزيد من الغموض على حقيقة ما صدر من يهود قريظة، لأنه لا يصرح بتلاومهم على ما صدر منهم، ولا يصرح بمعرفتهم بحقيقة الحكم الذي سيصدر في حقهم ـ ليظهر أنهم قد أخذوا على حين غرة منهم ـ لا ينتج ذلك أنهم قد أخذوا خداعاً وغدراً.

٢ ـ لقد ادَّعى ذلك المستشرق: أن ما صدر هو مجرد مفاوضات مع أعداء محمد «صلى الله عليه وآله»، لم تنته إلى اتفاق، وبقيت قريظة على ولائها، ولم تنقلب على محمد «صلى الله عليه وآله».

متناسياً حقيقة: أنهم نقضوا العهد، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إليهم سعد بن معاذ، وآخرين ليقنعوهم بالعودة عن موقفهم،

فرفضوا العودة عن نقض العهد، وأسمعوهم ما يكرهون.

وتناسى أيضاً: أنهم كانوا قد أرسلوا من تحرش بالنساء المسلمات في أطمهم، وقتلت صفية «رحمها الله» واحداً منهم.

ثم تناسى أنهم أرسلوا إلى قريش بأحمال الطعام، فاستولى المسلمون على القافلة، وجرى لهم معها قتال، وكان هناك جرحى، وتناسى وتناسى.. إلى آخر ما هنالك من حقائق دامغة.

٣ ـ قد زعم هذا القائل: أن قريظة انسحبت إلى أطمها، ولم ترد على الهجوم بحماس، مع أن بعض النصوص التاريخية تقول: إنهم قد ناجزوا المسلمين خارج حصونهم وألحقوا بهم بعض الهزائم، كما سيأتي، فما معنى قوله: أنهم لم يردوا على الهجوم بحماس؟!

إننا لا ندري: من أين استنتج حقيقة أنهم لم يردوا على الهجوم بحماس؟ وهم قد قاتلوا المسلمين بإصرار خارج حصونهم، ثم تحصنوا في داخلها مدة طويلة ـ سيأتي أنها استمرت أياماً كثيرة تراوحت الأقوال فيها ما بين عشرة أيام إلى شهر ـ ولم يفكروا بالاستسلام إلا بعد أن سمعوا علياً «عليه السلام» يقسم على أنه لن يرجع عنهم حتى يفتح الله عليه.

٤ ـ قوله: إن ما جرى بينهم وبين أبي لبابة قد بقي سراً، غير صحيح فقد ذكرنا موجزاً عما جرى بينهم وبين أبي لبابة سيأتي في موضعه من هذا الجزء فراجع.

جبريل يأمر بالمسير إلى بني قريظة:

وتُحَدِّثنا الروايات في مختلف المصادر التاريخية: أن النبي «صلى الله عليه

وآله» سار إلى بني قريظة عند منصرفه من الخندق، وذلك يوم الأربعاء (كما ذكره الواقدي وغيره) لسبع بقين من ذي القعدة، وكانوا على بعد يوم من المدينة.

وأضاف الواقدي: أنه انصرف عنهم لسبع خلون من ذي الحجة[1].

ولما انصرف «صلى الله عليه وآله» من الخندق، ودخل المدينة، ووضع السلاح جاءه جبرئيل «عليه السلام» بأمر الله سبحانه في شأنهم بعد صلاة الظهر، فأمر «صلى الله عليه وآله» المسلمين أن لا يصلي أحد منهم العصر إلا في بني قريظة، كما ذكره البخاري وغيره[2].

وعن ابن إسحاق: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر بلالاً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة[3]. لكن ذكر مسلم

---

(١) راجع المصادر التالية: التنبيه والإشراف ص٢١٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٦ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥١ وعمدة القاري ج١٧ ص١٨٨.

(٢) راجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣١ ووفاء الوفاء ص٦٩٥ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والثقات ج١ ص٢٧٤ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٤ و ٢٤٥ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٥ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٨٧ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٥ والإكتفاء ج٢ ص١٧٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٤، والمغازي للذهبي ص٢٥٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٦ و ٧.

(٣) فتح الباري ج٧ ص٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٩.

وآخرون أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لا يصلين أحد الظهر[1].

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث يومئذٍ منادياً ينادي: «يا خيل الله اركبي»[2].

في بيت عائشة أم في بيت فاطمة عليها السلام؟!

ولتفصيل القول فيما تقدم نقول:

قد ذكر المؤرخون: أن جبرئيل جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في بيت عائشة فغسل رأسه، واغتسل، ودعا بالمجمرة ليجمر، وقد صلى الظهر، فأتاه جبرئيل على بغلة.. على ثناياه النقع، فوقف عند موضع الجنائز، فنادى: عذيرك من محارب.

فخرج «صلى الله عليه وآله» فزعاً.

فقال له جبرئيل: ألا أراك وضعت اللامة، ولم تضعها الملائكة بعد. لقد طردناهم إلى حمراء الأسد. إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم

---

(١) راجع في ذلك: إرشاد الساري ج٦ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وعمدة القاري ج١٧ ص١٨٩ و ١٩٠ وفتح الباري ج٧ ص٣١٣ و ٣١٤ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤ و ٣٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٢.

(٢) عيون الأثر ج٢ ص٦٨ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٩ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣.

فمزلزل بهم حصونهم، فدعا «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» الخ..»[١].

ويقول نص آخر عن عائشة: سلَّم علينا رجل، ونحن في البيت، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فزعاً. فقمت في أثره، فإذا بدحية الكلبي.

فقال: هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة.

قالت: فكأني برسول الله «صلى الله عليه وآله» يمسح الغبار عن وجه جبرئيل «عليه السلام»[٢].

أو قالت: بينا هو عندي إذ دق الباب (أو: سمع صوت رجل) فارتاع لذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووثب وثبة منكرة، وخرج، وخرجت في أثره، فإذا رجل على دابة، والنبي «صلى الله عليه وآله» متكي على معرفة الدابة يكلمه فرجعت.. فسألته عن ذلك الرجل، فأخبرها أنه جبرئيل[٣].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٧ وراجع: طبقات ابن سعد (ط دار الأضواء) ج٢ ص٧٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ و ٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ و ٩ و ١٠ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣.

(٢) راجع: عمدة القاري ج١٧ ص١٩٢ وفتح الباري ج٧ ص٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ وتاريخ الإسلام (المغازي ص٢٥٤).

(٣) راجع: عيون الأثر ج٢ ص٦٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٧ عن البيهقي ودلائل النبوة للأصبهاني ص٤٣٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤١ عن الطبراني في الأوسط، وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢ ص٨ و ١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٥ و ٢٢٦.

ونحن نرتاب في صحة هذه الروايات وأضرابها، وذلك لما يلي:

أولاً: هي مضطربة ومتنافرة إلى حد كبيرة ونشير إلى موردين فقط من موارد التنافر والاختلاف هما:

١ ـ أن عائشة تذكر: أنها خرجت في أثر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فرأته «صلى الله عليه وآله» متكئاً على معرفة دابة جبريل، فرجعت، فلما دخل النبي «صلى الله عليه وآله» سألته عنه، فأخبرها.

لكن في رواية أخرى تقول عائشة: كأني أنظر إلى جبريل من خلل الباب، قد عصب رأسه العنان (الغبار)[1].

وفي نص ثالث: كأني أنظر إلى رسول الله يمسح الغبار عن وجه جبريل، فقلت: هذا دحية الكلبي يا رسول الله؟!

فقال: هذا جبرئيل[2].

٢ ـ كان في بيت عائشة ساعتئذٍ، وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه، فجاءه جبريل[3].

مع أن ما تقدم آنفاً يقول: فغسل رأسه واغتسل، ودعا بالمجمر ليجمر، وقد صلى الظهر، فأتاه جبرئيل.

---

(١) الوفا ص٦٩٤ و ٦٩٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٧ و ١١٨ و ١٢٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ وفتح الباري ج٧ ص٣١٨ وراجع: مسند أبي عوانة ج٤ ص١٧١ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٧.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص٣٩٧.

(٣) تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ وراجع: ابن سعد ج٢ ص٧٥ و ٧٦ وفيه: أنه نادى في الناس: أن ائتوا حصن بني قريظة، ثم اغتسل فأتاهم عند الحصن.

وفي نص ثالث: أنه وضع لامته واغتسل واستجمر(١).

ثانياً: قد ذكرت عائشة: أنها رأت جبرئيل من خلل الباب قد عصب رأسه العنان.

وسيأتي: أن كثيرين من الصحابة قد رأوه، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم أنه جبرئيل.

ولكن قد روي في المقابل: أن الذي يرى جبرئيل «عليه السلام» يبتلى بالعمى فما رآه أحد إلا طمست عيناه.

فلماذا لم تبتل عائشة، ولا أحد من الصحابة بالعمى بسبب رؤيتهم جبرئيل؟!

وستأتي الأحاديث الدالة على ذلك عن قريب.

ثالثاً: ذكرت الروايات المتقدمة أنه «صلى الله عليه وآله» كان حين جاءه جبريل في بيت عائشة، مع أن ثمة روايات أخرى تخالفها في ذلك، فلاحظ ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان حين جاءه جبرئيل في بيت زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه.

وفي الدر المنثور: يغسل رأسه، وقد غسلت شقه إذ جاء جبرئيل فقال: الخ..(٢).

---

(١) المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٦٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٤٣٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ عن الطبراني وسبل الهدي والرشاد ج٥ ص٨ و ٩.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣١ والدر المنثور ج٥ ص١٩٣ عن ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد كان في بيت أم سلمة[1].

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان حينئذٍ في بيت فاطمة «عليها السلام»، فقد قال الدياربكري: «وفي رواية في بيت فاطمة»[2].

قال الزهري وعروة: «لما دخل النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة، وجعلت فاطمة تغسل رأسه، إذ قال له جبرئيل: رحمك ربك، وضعت السلاح، ولم يضعه أهل السماء؟ ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء»[3].

وفي نص آخر: «فضربت فاطمة ابنته غسولاً، فهي تغسل رأسه إذ أتاه جبرئيل على بغلة، معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من استبرق، معلق عليها الدر والياقوت، عليه الغبار[4] ثم يذكر سائر ما تقدم في النص السابق.

ويؤيد هذا القول الأخير: ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» كان إذا سافر كان آخر عهده ببيت فاطمة، وإذا عاد من سفر، فإن أول ما يبدأ به هو بيت فاطمة «عليها السلام»[5].

---

(١) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٢ ص١١٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥١.

(٤) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق) ص٩٣ والبحار ج٢٠ ص٢٧٢ و ٢٧٣ عنه.

(٥) إحقاق الحق ج١٠ ص٢٢٩ و ٢٣٨ وج ١٩ ص١٠٥ و ١٠٧ عن الإستيعاب ومصادر كثيرة أخرى، ومستدرك الحاكم ج١ ص٤٤٨ وج ٣ ص١٥٥ و ١٥٦ وحلية الأولياء ج٢ ص٣٠ وج ٦ ص١٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ص٦٣ و ٥٦ وذخائر العقبى ص٣٧ والجامع الصغير ج٢ ص٢٩٤ وينابيع المودة ص١٩٨ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٨٩ و ١٩٠ ووفاء الوفاء ج١ =

والمفروض: أن هذا الأمر قد كان فور عودته من حرب الخندق.

إلا أن يقال: إنه قد مرت فترة كبيرة تكفي لزيارة ابنته فاطمة، ثم انتقاله إلى بيت إحدى زوجاته: أم سلمة، أو زينب، أو عائشة. وهذا ما دعانا إلى اعتبار ذلك القول مؤيداً لا دليلاً..

ونأمل أن لا يخفى على القارئ الكريم: أنه قد كان ثمة من يهتم بالتركيز على نقل خصوص ما يرتبط بعائشة، خصوصاً إذا دخلت روايتها، أو روايتهم سيرة ابن إسحاق، أو ابن عقبة، أو الواقدي، أو الصحيحين، ثم يأتي الآخرون، ويقتصرون على نقل ما يجدونه في هذه الكتب، التي تهتم بمنقولات عائشة، وابن أختها عروة بن الزبير، وأضرابهما.

فيخيل ـ بعد هذا ـ للناظر في كتب التاريخ: أن القضية من المسلمات التاريخية، وأن ما عداها شاذ، لا يلتفت إليه.

وهذا الأمر: ينسحب على كثير من القضايا التي حفلت بها كتب التاريخ، وتناقلتها على أوسع نطاق. فإذا راجعت وقارنت، وتتبعت المصادر، فستجد أنها تنتهي إلى مصدر واحد تقريباً في أكثر الأحيان.

= ص٣٣١ وأعلام النساء ج٣ ص١٢١٧ وسنن البيهقي ج١ ص٢٦ ونظم درر السمطين ص١٧٧ وتلخيص المستدرك للذهبي ج٣ ص١٥٦ وكشف الغمة للشعراني ج١ ص١٤٥ ومسند أحمد ج٥ ص٢٧٥ ومختصر سنن أبي داود ج٦ ص١٠٨ وأهل البيت لتوفيق أبي علم ص١٢٠. وعن مصادر كثيرة أخرى فلتراجع. وراجع: عوالم العلوم ج١١ ص٣١٣ والبحار ج٤٣ ص٨٣ وج ٨٨ ص٩٣.

غارات واستلاب:

ونلاحظ هنا: أن سياسة القرصنة، وسرقة المواقف، واقتناص الفضائل، كانت هي المهيمنة على ذهنيات ذلك الفريق، الذي يريد أن يصنع لنفسه ولفريقه تاريخاً، ولو بقيمة أن يفرغ التاريخ الحقيقي من محتواه، وأن يقلب الكثير من الأمور رأساً على عقب، لتصب في اتجاه خاص به، رسمه لنفسه، فباع واشترى، واستولى واستلب، ووهب حسبما رآه ضرورياً ومناسباً لذلك الاتجاه.

وهذا الكتاب قد حفل بنماذج كثيرة لهذا الاتجاه يصعب إحصاؤها، وما فاته مما لم يدخل في نطاق اهتماماته لأكثر من سبب، أكثر من ذلك بأضعاف كثيرة.

وقد نشير إن شاء الله في أواخر هذا الكتاب إلى بعض النماذج التي تتناسب مع ما أشرنا إليه في عنوان هذه الفقرة، التي نحن بصدد استكمال الحديث فيها، وهو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي دفن في بيت فاطمة «عليها السلام» قد نقلته رواياتهم إلى بيت عائشة، ودفنته هناك.

كما أن السيدة خديجة التي تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكراً لا يتجاوز عمرها الخمس وعشرين سنة، قد جعلتها رواياتهم زوجة لأكثر من أعرابي، ونسبوا لها بنات زعموا أنها ولدتهن.

ثم إنهم عمدوا إلى عائشة، التي كانت كبيرة السن وقد تزوجت قبل النبي «صلى الله عليه وآله» وولدت ولداً اسمه عبد الله، فجعلتها رواياتهم بكراً تزوجها النبي «صلى الله عليه وآله» في عمر الست سنين.

وفي مورد ثالث: قلبت رواياتهم الإفك الذي كان على ماريا ونزلت في تبرئتها آيات مباركات، ليصبح هذا الإفك على عائشة، وتصبح الآيات

نازلة في حقها.

وعلى هذه فقس ما سواها.

وسيأتي الملحق الذي أشرنا إليه عقيب هذا الفصل فانتظر.

المسلمون يرون جبرئيل؟!

ويقول المؤرخون: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج إلى بني قريظة فلما بلغ الصورين[1] (هو موضع قرب المدينة) قال: هل مر بكم أحد.

قالوا: نعم، مر بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ذاك جبرئيل[2].

وفي نص آخر: خرج «صلى الله عليه وآله» فمر على مجلس من مجالس الأنصار في بني غنم، ينتظرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهم: هل مر بكم الفارس آنفاً؟ ثم أخبرهم أنه جبرئيل وليس دحية.

زاد في نص آخر قوله: أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم، ويقذف في قلوبهم الرعب[3].

---

(١) قال الشامي: الصوران: اسم للنخل المجتمع الصغار. موضع في أقصى بقيع الغرقد مما يلي بني قريظة. سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٨.

(٢) الثقات ج١ ص٢٧٤ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٦٩. وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٧.

(٣) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤ و ٩ و ١١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥١ والبحار ج٢٠ ص٢١٠ عنه ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ =

بل جاء في بعض الروايات ما يلي: «وتخلف النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم لحقهم، فجعل كلما مر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأحد، فقال: هل مر بكم الفارس؟!.

فقالوا: مر بنا دحية بن خليفة، وكان جبرئيل يشبه به»[1].

ويقول نص آخر: «فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاستقبله حارثة بن نعمان.

فقال له: ما الخبر يا حارثة؟

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا دحية الكلبي ينادي في الناس: ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.

فقال: ذاك جبرئيل»[2].

غير أن نصاً آخر يذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» مر بنفر من بني النجار بالصورين، فيهم حارثة بن النعمان، قد صفوا عليهم السلاح، فقال: هل مر بكم أحد؟!

قالوا: نعم، دحية الكلبي..

إلى أن قال: فأمرنا بلبس السلاح، فأخذنا سلاحنا وصففنا.

= ص٢٥١ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٠ والسيرة الحلبية ٢ ص٣٣٢ وراجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٣٧ والإكتفاء ج٢ ص١٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٣٧ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(١) تفسير فرات (ط سنة ١٤٦٠ هـ. ق) ١٧٤ والبحار ج٢٠ ص٢٦٦ عنه.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٨٩ و ١٩٠ والبحار ج٢٠ ص٢٣٣ و ٢٣٤.

وقال لنا: هذا رسول الله يطلع عليكم الآن.

قال حارثة بن النعمان: فكنا صفين.

فقال لنا رسول الله: ذلك جبريل «بعث إلى بني قريظة ليزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم».

فكان حارثة بن النعمان يقول: رأيت جبريل من الدهر مرتين: يوم الصورين، ويوم موضع الجنائز، حين رجعنا من حنين[1].

ونقول:

إن الروايات المتقدمة تفيد: أن الكثير من المسلمين خصوصاً من بني النجار وكذلك حارثة بن النعمان قد رأوا جبريل، إما وهو ينادي في الناس، يأمرهم بالمسير إلى بني قريظة، أو حينما مرَّ على مجالسهم، وطلب منهم أن يلبسوا السلاح لأجل ذلك.

قال ابن حزم: «رأى قوم من المسلمين يومئذٍ جبرئيل في صورة دحية الكلبي، على بغلة عليها قطيفة، ثم مر عليهم دحية»[2].

مع أنهم يروون: أن من يرى جبرئيل يصاب بالعمى، إذا لم يكن نبيّاً.

ونذكر من هذه الروايات ما يلي:

١ ـ روي: أنه رأى ابن عباس رجلاً مع النبي «صلى الله عليه وآله»،

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٨ و ٤٩٩ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ و ٩ و ١١ ولم يذكر قول حارثة الأخير، وكذا في المصادر التالية: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٣.

(٢) جوامع السيرة النبوية ص١٥٢ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٢٣.

فلم يعرفه، فسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عنه.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: رأيته؟!

قال: نعم.

قال: ذلك جبرئيل. أما إنك ستفقد بصرك. فعمي بعد ذلك في آخر عمره[1].

٢ ـ وروي أيضاً: أن ابن عباس جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وعنده رجل، قال: فقمت خلفه. فلما قام الرجل التفت إلي، فقال: يا حبيبي، متى جئت؟.

قلت: منذ ساعة.

قال: منذ ساعة؟!

قال: فرأيت عندي أحداً؟!

قلت: نعم، الرجل.

قال: ذاك جبرئيل. أما إنه ما رآه أحد إلا ذهب بصره، إلا أن يكون نبياً. وأنا أسأل الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك. اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل، واجعله من أهل الإيمان[2].

٣ ـ وروي: أن ابن عباس قال في عماه بسبب رؤية جبرئيل، وإخبار النبي «صلى الله عليه وآله» له بذلك:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور

---

(١) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٥٦ وقاموس الرجال ج٦ ص٥٠ عنه وراجع: المعجم الكبير ١٠ ص٢٩٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٧٦ عنه وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٤٠ ومختصر تاريخ دمشق ج١٢ ص٢٩٩.

(٢) تاريخ بغداد ج١٤ ص٤٣٥ وقاموس الرجال ج٦ ص٥٠ عنه.

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل   وفي فمي صارم كالسيف مأثور[1]

٤ ـ وفي رواية أخرى: أن العباس أرسل ولده عبد الله إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في حاجة، فوجد عنده رجلاً، فرجع ولم يكلمه، فلقي العباس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فذكر ذلك له: فقال «صلى الله عليه وآله»: يا عم، تدري من ذاك الرجل؟!

قال: لا.

قال: ذاك جبريل لقيني. لن يموت ولدك حتى يذهب بصره، ويؤتى علماً[2].

توضيح لا بد منه:

إننا أردنا بما تقدم: تسجيل تحفظ على ما يذكرونه من رؤية الناس لجبرئيل.. لكن هذا التحفظ لا يعني أن يكون جبرئيل لم يقم بأي عمل في غزوة بني قريظة، إذ من الجائز أن يكون «عليه السلام» قد نادى في الناس، وسمعوا صوته، ويكون النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أخبرهم بأن هذا هو صوت جبرئيل، وذلك كما حصل في أُحد حين نادى:

لا فتى إلا علي   لا سيف إلا ذو الفقار

جبرئيل عليه السلام والنبي ﷺ:

ومهما يكن من أمر: فإن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله

---

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٣٥٦ وقاموس الرجال ج٦ ص٥٠ عنه.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٤٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٧٧ وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات.

عليه وآله» عن الأحزاب: ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء[1].

أو قال له: لقد طردناهم إلى حمراء الأسد[2].

ثم أمره بالمسير إلى بني قريظة، وفي بعض النصوص أنه قال له: إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم[3].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥١ وإعلام الورى ص٩٣ (ط سنة ١٣٩٠) والبحار ج٢٠ ص٢٧٢ ـ ٢٧٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤ و ٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢ وتفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص١٧٤ والبحار ج٢٠ ص٢٦٦.

(٣) سيرة مغلطاي ص٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٣٥ و ٢٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦ وراجع: ص١٢٣ والوفا ص٦٩٤.

وراجع: مرآة الجنان ج١ ص١٠ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣١ ـ ٣٣٣ والإكتفاء ج٢ ص١٧٦ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ ومسند أحمد ج٦ ص١٤١ و ١٤٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٨٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٥ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٣٦ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص٢٥٥ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٥ و ٣٠٦ وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٤ وعيون الأثر ج٢ ص٦٨ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ و ٢٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ و ٢٤٢ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص٧٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ و ٩ و ١٠.

وفي نص آخر أنه قال: والله لأدقنهم دق البيضة على الصخرة[١].

أو قال له: «اخرج وقد أمرت بقتالهم، وإني غاد بمن معي فنزلزل بهم حصونهم حتى تلحقونا، فأعطى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الراية، وخرج في إثر جبرئيل، وتخلف النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم لحقهم، فجعل كلما مر الخ..»[٢].

ويقول نص آخر: فجاء جبرئيل ومن معه من الملائكة، فقال: يا رسول الله، انهض إلى بني قريظة، فقال: إن في أصحابي جهداً (فلو أنظرتهم أياماً).

قال: إنهض إليهم، لأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم، ثم لأضعضعنهم[٣].

قال: فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار[٤] وهم جيران المسجد[٥].

---

(١) إعلام الورى ص٩٣ (ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق) والبحار ج٢٠ ص٢٧٢ و ٢٧٣.

(٢) تفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص١٧٤ والبحار ج٢٠ ص٢٦٦ عنه.

(٣) راجع: طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص٧٧ وفتح الباري ج٧ ص٣١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ و ٩ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣.

(٤) راجع المصادر المتقدمة في الهامش السابق، وراجع: صحيح البخاري ج٣ ص٢٢ وطبقات ابن سعد ج٢ ص٥٦ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧٢ وفاء الوفاء ج١ ص٣٠٦ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص٤٣٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٤.

(٥) مجمع الزوائد ج٦ ص١٣٧ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٢٣.

وفي نص آخر: أن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: إني قد قلعت أوتادهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال[1].

النبي ﷺ يندب الناس إلى بني قريظة:

قال الطبرسي: فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً، فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة..

فقام علي «عليه السلام»، ومعه المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، لم يتخلف عنه منهم أحد. وجعل النبي «صلى الله عليه وآله» يسرب إليه الرجال، فما صلى العصر إلا بعد العشاء[2].

وعند ابن شهرآشوب: «قدم علياً «عليه السلام» وقال: سر على بركة الله، فإن الله قد وعدكم أرضهم وديارهم. ومعه المهاجرون، وبنو النجار، وبنو الأشهل، وجعل يسرب إليه الرجال.

فلما رأواه قالوا: أقبل إليكم قاتل عمرو. فقال علي «عليه السلام»: الحمد لله الذي أظهر الإسلام، وقمع الشرك»[3].

وعن عائشة: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث بلالاً، فأذن في الناس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا ببني قريظة.

ولبس رسول الله «صلى الله عليه وآله» السلاح، والمغفر، والدرع،

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣.

(٢) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق) ص٩٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥١.

والبيضة، وأخذ قناة بيده، وتقلد الترس، وركب فرسه (اللحيف)، وحف به أصحابه، وتلبسوا السلاح، وركبوا الخيل[١].

وفي نص آخر يقول: لبس «صلى الله عليه وآله» لامته، وبيضته، وشد السيف في وسطه، وألقى الترس من وراء كتفه، وأخذ رمحه، وركب فرسه، واسمه لحيف، واجتنب فرسين[٢].

ولم يتخلف عنه من المهاجرين أحد، وأفاء عامة الأنصار[٣].

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم[٤] أو أبا رهم الغفاري، كلثوم بن

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ ـ ١١ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص٧٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ و ٢٤٢ وراجع أيضاً: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢ و ٣٣٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢.

(٤) الوفا ص٦٩٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ص٣١ ونور اليقين ص١٦٦ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٦٨ عنه وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٦ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٧ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٨٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٣.

الحصين[1].

ونحن نشير هنا إلى الأمور التالية:

الأول: قدّم راية المهاجرين:

تقدم أن النص المنقول عن الطبرسي يقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة. فقام علي «عليه السلام» ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، الخ.. وأن عامة الأنصار كانوا معه أيضاً.

ونحن نشير هنا إلى ما يلي:

ألف: قد يدور بخلد البعض أن هذا النص يهدف إلى الإيحاء بأن علياً كان في هذه الغزوة يحمل راية المهاجرين فقط، لا راية الجيش كله..

ونقول:

إن هذا لا يمنع من أن يكون لواء الجيش كله ورايته مع علي، بالإضافة إلى راية المهاجرين التي أعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياها أولاً..

ومما يؤكد ذلك: أن نفس الطبرسي قد صرح بأن الذين قاموا مع علي حين أعطاه راية المهاجرين هم المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، وجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسرب..

وسيأتي ما يؤكد: أن راية الجيش ولواءه كان في بني قريظة مع علي «عليه السلام».

---

(١) التنبيه والإشراف ص٢١٧.

ولعل سر تصريح النبي «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر براية المهاجرين.. ثم ألحقها «صلى الله عليه وآله» براية الجيش كله هو ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد أن يفهم بني قريظة: أنهم إذا كانوا قد نقضوا عهده من أجل أن ينصروا أهل مكة في صراعهم معه، فإن هؤلاء أيضاً من أهل مكة، وقد جاؤوا لحربهم وقتالهم، وعلى رأسهم ابن شيخ الأبطح علي بن أبي طالب «عليه السلام».

٢ ـ إنه إذا كان فريق من قبيلة الأوس يشعر بأن لبني قريظة معه علاقة من نوع ما، ولا بد من التعامل على أساس حفظ هذه العلاقة، وحفظ ما يترتب عليها من التزامات، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» سوف لن يواجههم بما يعتبرونه تفريطاً بالتزاماتهم تلك، أو عدم احترام لها، أو قلة وفاء بها، إلا بعد أن تتكون لديهم هم أنفسهم القناعة الكاملة، بما يريد لهم أن يلتزموا بموقف محدد تجاهه.

ولا نبعد كثيراً إذا قلنا: إن هذا قد كان من أسباب بدئه بالمهاجرين في هذه الغزوة بإعطاء رايتهم لعلي «عليه السلام»، كما أنه كان أيضاً من أسباب تقديم النبي «صلى الله عليه وآله» أهل بيته في الحروب، بالإضافة إلى أسباب أخرى ليس هنا محل التعرض لها.

كما أن هذا بالذات هو سبب إرسال سرايا المهاجرين في بداية الهجرة. حتى اقتنع الأنصار بأن مشاركتهم الحربية ليس فيها أي مساس بالتزاماتهم، ولا بما عقدوه مع الآخرين من عهود وعقود، كما أنه يعتبر من صميم التزاماتهم تجاه الإسلام ونبي الإسلام.

ب: قد تقدم مبادرة بني عبد الأشهل، وبني النجار كلهم، ثم لحوق

عامة الأنصار بهم، حيث كان النبي «صلى الله عليه وآله» يسربهم إلى علي «عليه السلام». وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على مزيد من الوعي، والإخلاص، والإحساس بالمسؤولية لدى الأنصار بصورة عامة.

الثاني: حمراء الأسد أو الروحاء:

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة أيضاً: أن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء[1].

ونحن نشك في صحة ذلك: لأن جبرئيل قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ظهر اليوم الذي فر المشركون في ليلته، أو بعد الظهر بقليل. أي بعد فرار المشركين بنصف يوم أو أكثر بقليل، ولا يمكن للمشركين أن يقطعوا المسافة التي بين المدينة وبين الروحاء بهذه المدة القصيرة.

وذلك لأن الروحاء كانت على بعد ليلتين من المدينة[2]، بينهما أحد وأربعون أو اثنان وأربعون ميلاً[3].

وقيل: ستة وثلاثون[4].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥١ وإعلام الورى (ط سنة ١٣٩٠هـ) ص٩٣ والبحار ج٢٠ ص٢٧٢ و ٢٧٣.

(٢) وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٢٢.

(٣) وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٢٢.

(٤) راجع: معجم البلدان ج٣ ص٨٧ وفيه: يوماً، وهو خطأ، والصحيح ميلاً. ومراصد الإطلاع ج٢ ص٦٣٧ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٢٢ وعن صحيح البخاري كتاب البيوع، باب ١١١ وعن صحيح مسلم كتاب الصلاة ح ١٥.

وقيل: نحو أربعين[١].

وقيل: ثلاثون[٢].

وقيل: أربعة برد[٣].

فالصحيح هو تلك الرواية التي تقول: إن الملائكة طردت المشركين حتى بلغوا حمراء الأسد[٤]، التي تبعد عن المدينة ثمانية أميال[٥].

الثالث: على حمار، أم على فرس؟!

قد ذكر فيما سبق: أنه «صلى الله عليه وآله» ركب فرسه، وكان له «صلى الله عليه وآله» ثلاثة أفراس كانت معه.

مع أنه قد روي عن أبي رافع: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» غدا إلى بني قريظة على حمارٍ عري، يقال له: يعفور.

زاد في بعض المصادر قوله: والناس حوله.

---

(١) مراصد الإطلاع ج٢ ص٦٣٧ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٢٢ ومعجم البلدان ج٣ ص٨٧ (ط دار الكتب العلمية) وفيه: يوماً وهو خطأ، والصحيح: ميلاً.

(٢) المصادر المتقدمة.

(٣) وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٢٢.

(٤) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٩ وتفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص١٧٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٤.

(٥) معجم البلدان ج٢ ص٣٤٦ ووفاء الوفاء ج٤ ص١١٩٦ ومراصد الإطلاع ج١ ص٤٢٤.

وعند ابن سعد: والناس يمشون[1].

وفي شمائل الترمذي: كان «صلى الله عليه وآله» يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف ليف[2].

وقال اليعقوبي: وركب حماراً له[3].

الرابع: من الذي نادى في الناس: علي أم بلال؟!

وذكر نص آخر، ذكرناه فيما تقدم أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث بلالاً، فأذن في الناس أن لا يصلي أحد منهم العصر إلا في بني قريظة.

بينما نجد نصاً آخر يقول: إن قتادة بن النعمان أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» أن دحية ينادي في الناس: ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ذاك جبرئيل، ادع لي علياً.

فجاء علي، فقال له: ناد في الناس ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فجاء أمير المؤمنين «عليه السلام»، فنادى فيهم، فخرج الناس، فبادروا إلى بني قريظة.

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي بن أبي طالب بين يديه

---

(١) مجمع الزوائد ج٦ ص١٤١ عن الطبراني في الأوسط، وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج٢ ص٧٦ وراجع: السيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٣.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢.

مع الراية العظمى الخ..»[1].

وإذا كنا نعلم: أن السياسة كانت تتجه إلى إعطاء كل الأدوار إلى الآخرين وتجاهل، بل وتزوير التاريخ، لإبعاد علي «عليه السلام» عن الواجهة إلى درجة تجعل البعض يتخيل أنه لم يكن قد ولد بعد.

فإننا ندرك السبب: في أنهم يذكرون نصف هذا النص ويرددونه في كتبهم وصحاحهم، ويتجاهلون النصف الآخر، إلى درجة التجرؤ على استبدال علي «عليه السلام» ببلال. كما تقدم.

فاقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً.

الخامس: رواية لا تصح:

وعن الزهري، عن ابن المسيب، بعد أن تحدث عن هزيمة الأحزاب، قال: «فندب النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه في طلبهم. فطلبوهم حتى بلغوا حمراء الأسد، قال: فرجعوا، قال: فوضع النبي «صلى الله عليه وآله» لامته، واغتسل، واستجمر، فنادى النبي «صلى الله عليه وآله» جبرئيل: عذيرك من محارب، ألا أراك قد وضعت اللامة، ولم نضعها نحن!!

فقام النبي «صلى الله عليه وآله» فزعاً، فقال لأصحابه: عزمت عليكم ألا تصلّوا العصر حتى تأتوا بني قريظة، فغربت الشمس قبل أن يأتوها الخ..»[2].

ونقول:

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٨٩ و ١٩٠ والبحار ج٢٠ ص٢٣٣ و ٢٣٤.

(٢) المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٦٩ وراجع: دلائل النبوة لأبي نعيم ص٤٣٨ وأشار إليه في مجمع الزوائد ج٦ ص١٤٠ عن الطبراني.

أولاً: لا ندري لماذا قام النبي «صلى الله عليه وآله» فزعاً. مع أن المقام مقام طمأنينة مع وجود العنايات الربانية، والتسديد والتوجيه الإلهي، الذي يظهر جلياً بمشاركة جبرئيل والملائكة في هذه الحرب؟!.

إلا أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد خشي من أن يكون قد ارتكب شيئاً من التقصير في مطاردة أعداء الله، والقضاء على مصدر الشر والانحراف وحاشاه أن يقصر!!

ثانياً: إن معظم المسلمين حين جلاء الأحزاب قد تنفسوا الصعداء، وبادروا إلى التوجه نحو المدينة، مخالفين بذلك أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما قدمناه سابقاً.

فما معنى القول: إنهم طلبوهم حتى بلغوا حمراء الأسد؟!

ثالثاً: قد تقدم آنفاً: أن جبرئيل والملائكة «عليهم السلام» هم الذين طاردوا المشركين إلى حمراء الأسد والروحاء[1]. ولعل الأمر قد اشتبه على ابن المسيب بين غزوة الأحزاب وغزوة أحد، فإن المسلمين إنما طاردوا المشركين إلى حمراء الأسد في غزوة أُحد لا الأحزاب.

السادس: لماذا لم يعنف ﷺ تاركي الصلاة؟:

قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن المسلمين اجتمعوا عند النبي «صلى الله عليه وآله» عشاء، فمنهم من لم يصل حتى جاء بني قريظة، ومنهم من قد صلى، فذكروا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما عاب أحداً

---

(١) راجع الهوامش التي تقدمت تحت عنوان: جبرئيل والنبي، وتحت عنوان: في بيت عائشة أم في بيت فاطمة؟!، وتحت عنوان: حمراء الأسد أو الروحاء؟!

منهم، وفي بعض النصوص: أن صلاة العصر حانت وهم في الطريق فذكروا الصلاة، فاحتج الذين لم يصلوا بقول النبي «صلى الله عليه وآله» لهم: لا يصلين أحد العصر، أو الظهر إلا في بني قريظة[1].

وقد اختلفت الكلمات في توجيه ذلك، ونحن نجمل أولاً ما ذكروا، ثم نشير إلى بعض النقاط التي تفيد في تأييد أو تفنيد ذلك، فنقول:

١ ـ قد ذكر البعض: أن عدم تعنيفه «صلى الله عليه وآله» لأولئك الذين تركوا صلاة العصر إنما هو لأنهم أدركوا أن قيام الدولة الإسلامية، والعمل له ألزم من الصلاة، مع ما لها من مكانة في الإسلام، لأنها إن

---

(١) راجع فيما تقدم: المغازي للواقدي ج٢ ص٥٠٠ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٥ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ و ١١٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٥ وص ٢٤٦ وطبقات ابن سعد ج٢ ص٧٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ و ١٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٦ و ٢٤٥ وصحيح البخاري ج٣ ص٢٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥١ والبحار ج٢٠ ص٢١٠ عنه، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٥ ـ ٢٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٧ و ١١٩ والروض الأنف ج٣ ص٢٨١ وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٤ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٠ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٠ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٤ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص٢٥٣ و ٢٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٨ و ١٠ و ٣٣ ـ ٣٥ ومسند أبي عوانة ج٤ ص١٧٣ وصحيح مسلم ج٥ ص١٦٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٦ ـ ٨ و ١٢ والإكتفاء ج٢ ص١٧٧ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٨٧ والثقات ج١ ص٢٧٤ وعيون الأثر ج٢ ص٦٩ وفتح الباري ج٧ ص٣١٤.

أقيمت دولة الإسلام أقيمت الصلاة، وسائر تعاليم الإسلام»[١].

ونقول:

إن هذا الكلام لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: إنه حين لم يعب أحداً منهم، فإما أن يكون الفريقان معاً على صواب، وهذا غير معقول، أو يكون أحدهما مصيباً والآخر مخطئاً. فاللازم في هذه الحالة هو تعليم المخطئ وإرشاده إلى الخطأ الذي وقع فيه.

ثانياً: لو صح هذا الكلام، لكان بوسع كل من يسعى لإقامة دولة إسلامية أن يترك الصلاة ما دام يعمل في هذا السبيل.

بل كان له أن يترك سائر شعائر الإسلام، وأحكامه، إذا جاز له ترك عمود الدين، للعلم القطعي بعدم وجود خصوصيةٍ للصلاة في هذا المورد..

٢ ـ وذكر البعض توجيها آخر لما ذكروا من عدم تعنيف النبي «صلى الله عليه وآله» لمن صلى، ولمن ترك الصلاة.

فادَّعى: أن من صلى حاز الفضيلتين: امتثال الأمر في الإسراع، وامتثال الأمر في المحافظة على الوقت، وإنما لم يعنف «صلى الله عليه وآله» الذين أخروها: لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر، ولأنهم اجتهدوا فأخروا امتثالاً للأمر، لكنهم لم يصلوا إلى أن يكونوا في أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى[٢].

وعبارة البعض هنا تقول: «إن أدلة الشرع تعارضت عندهم بأن

---

(١) التفسير السياسي للسيرة ص٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٤.

الصلاة مأمور بها في الوقت، مع أن المفهوم من قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة، المبادرة بالذهاب إليهم، وأن لا يشتغل عنه بشيء لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه، من حيث أنه تأخير.

فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم نظراً إلى المعنى، لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوت الوقت. وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته، فأخروها. ولم يعنف النبي «صلى الله عليه وآله» واحداً من الفريقين لأنهم مجتهدون[1].

ونقول تعليقاً على ذلك:

إننا نرى: أن سبب عدم عيب النبي «صلى الله عليه وآله» من ترك صلاته ليس هو ما ذكره هؤلاء ولا يمكن استفادة ضابطة ولا تأسيس أي من القواعد التي استفادوها، وأسسوا وبنوا عليها، استناداً إلى فهمهم المنقول عنهم آنفاً، لأنه فهم خاطئ، ولا مبرر له.

بل السبب: في أن النبي «صلى الله عليه وآله» ما عاب، ولا عنف، ولا لام أحداً منهم على ذلك هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد عذرهم بفهمهم الخاطئ لمرمى كلامه، رغم وضوحه وظهوره.

وذلك إن دل على شيء: فإنه ليس فقط لا يدل على اجتهادهم المدَّعى، بل هو يدل على تدنٍ خطير في مستوى تفكيرهم، إلى درجة يلحقهم بالقاصرين، الذين يعذرون فيما يأتونه ويرتكبونه عن جهل وقصور.

فقد كان من الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» حين أمرهم بالمسير إلى

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨.

بني قريظة على النحو المتقدم، إنما أراد منهم الإسراع في ذلك إلى درجة أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، أي أنه «صلى الله عليه وآله» يريد منهم أن يصلوا إليها حينما يحين وقت صلاة العصر، أو قبل ذلك.

وهذا بالذات هو الذي فهمه الذين صلوا في الطريق، كما ذكره البعض[1]. لا أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يسقط عنهم الصلاة في خارج منطقة بني قريظة.

والذين صلوا في الطريق كانوا ـ فيما يظهر ـ هم الفئة الأكثر وعياً، وتفهماً للكلام في مداليله اللغوية والعرفية.

٣ ـ أما ابن حزم فقد قال: «أما التعنيف، فإنما يقع على العاصي المتعمد المعصية، وهو يعلم أنها معصية، وأما من تأول للخير، فهو ـ وإن لم يصادف الحق ـ غير معنف. وعلم الله أننا لو كنا هناك ما صلينا العصر في ذلك اليوم إلا في بني قريظة، ولو بعد أيام.

ولا فرق بين نقله «صلى الله عليه وآله» صلاة في ذلك اليوم إلى موضع بني قريظة، وبين نقله صلاة المغرب ليلة مزدلفة إلى وقت العشاء، وصلاة العصر من يوم عرفة إلى وقت الظهر. والطاعة في ذلك واجبة[2].

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج٤ ص١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٤ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٥ و ٣٤ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨ وفتح الباري ج٧ ص٣١٥ وأول ص٣١٦.

(٢) جوامع السيرة النبوية ص١٥٢ و ١٥٣ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١١٨.

ونقول:

لقد غلط ابن حزم هنا غلطاً فاحشاً، وذلك لما يلي:

أولاً: اعتبر أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نقل صلاة العصر إلى بني قريظة، بحيث لو لم يذهبوا إلى بني قريظة إلا بعد أيام لتركوا صلاة العصر في كل تلك الأيام، ولو كان ابن حزم معهم لفعل مثل فعلهم أيضاً.

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم ينقل الصلاة، بل أمرهم بالإسراع في الحضور إلى بني قريظة، بهذا الأسلوب، بحيث لو تأخر بعضهم عمداً، أو انصرف عن الذهاب عصياناً، أو لعذر فإن صلاة العصر لا تسقط عنه، بل تبقى واجبة عليه، وعليه أن يصليها في مكانه أينما كان. ولو أن ابن حزم فعل غير هذا لكان هو الآخر مخطئاً، كما أخطأ ذلك الفريق من الصحابة في تركهم الصلاة في وقتها.

ثانياً: لقد ناقض ابن حزم نفسه حين أشار إلى أن الذين أخروا صلاتهم، قد تأولوا قصداً للخير، وإن لم يصادفوا الحق. ثم اعتبر ـ من جهة أخرى ـ أن صلاة العصر لم تكن واجبة عليهم إلا في بني قريظة.

ثالثاً: لماذا التزم ابن حزم باختصاص هذا الحكم بصلاة العصر، أو الظهر، ولا يتعداها إلى غيرها، مع أن ما ذكره من التعليل بالتأول قصداً للخير يقتضي تعميم ذلك؟ كما أن تصريحه بنقل الصلاة إلى بني قريظة يجعل الحكم مختصاً بصلاة العصر في ذلك اليوم فقط!

رابعاً: قد ادَّعى: أن صلاة المغرب قد نقلت ليلة مزدلفة إلى وقت العشاء، وأن صلاة العصر قد نقلت يوم عرفة إلى وقت الظهر. وأن صلاة العصر قد نقلت يوم بني قريظة إلى بني قريظة. مع أن وقت المغرب مستمر إلى ما قبل

منتصف الليل بقليل، وتختص هي في أول المغرب بمقدار أدائها، ثم يصير الوقت مشتركاً بينها وبين العشاء إلى ما قبل منتصف الليل بمقدار أربع ركعات وهو يختص بالعشاء.

كما أن الظهر تختص في أول الزوال بمقدار أدائها، ثم يصير الوقت مشتركاً بينها وبين العصر إلى ما قبل غروب الشمس بمقدار أربع ركعات التي هي خاصة بالعصر.

غير أن وقت فضيلة الظهر وزيادة المثوبة عليها يمتد إلى حين يصير ظل كل شاخص مثله، ووقت فضيلة العصر وزيادة المثوبة عليها تمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه.

ويؤيد ذلك، بل يدل عليه قوله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾[1].

فإنه تعالى لم يذكر في كتابه الكريم إلا ثلاثة أوقات للصلاة، ولا ينطبق ذلك إلا على التقدير الذي ذكرناه آنفاً.

خامساً: إن كلام ابن حزم لو سلمناه، فإنما يصح لو كانت قد فاتتهم صلاة العصر فقط، أما لو كان الفائت هو صلاتي الظهر والعصر معاً، كما في بعض الروايات وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لهم: لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة، فلا يستطيع ابن حزم أن يثبت نقل كلا الصلاتين إلى بني قريظة؛ لأن المذكور في كلامه «صلى الله عليه وآله» هو إحداهما أما الأخرى وهي العصر، فإنه لم يصرح بنقلها، فكيف تركوها؟

---

(١) الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

والنصوص التي هي محط نظرنا هي التالية:

في البخاري ـ في جميع الروايات ـ: لا يصلين أحد العصر، وفي مسلم: الظهر، مع اتفاقهما على روايتهما عن شيخ واحد، بإسناد واحد[1].

ووافق البخاري أبو نعيم، وأصحاب المغازي، والطبراني، والبيهقي في دلائله[2] والإسماعيلي.

ووافق مسلماً: أبو يعلى، وابن سعد[3]، وأبو عوانة[4]، وابن حبان[5]

وقد جمع البعض بينهما باحتمال أن يكون بعضهم كان قد صلى الظهر قبل الأمر بالذهاب وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.

أو أن طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقيل للطائفة الأولى: الظهر، وللتي بعدها: العصر.

قال ابن حجر: وكلاهما جمع لا بأس به.

لكن يبعده اتحاد المخرج؛ لأنه عند الشيخين بإسناد واحد، من مبدئه إلى منتهاه، فيبعد أن يكون كل من رجال أسناده قد حدث به على الوجهين، إذ لو كان كذلك لحمله واحد منهم عن بعض رواته على الوجهين، ولم يوجد ذلك.

---

(١) راجع: هامش كتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج٤ ص٣٢١.

(٢) راجع: كتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج٤ ص٨.

(٣) الطبقات الكبرى ج٢ ص٧٦.

(٤) مسند أبي عوانة ج٤ ص١٧٣.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج٤ ص٣٢٠ و ٣٢١.

وقيل: في وجه الجمع أيضاً: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قال لأهل القوة، أو لمن كان منزله قريباً: لا يصلين أحد الظهر.

وقال لغيرهم: لا يصلين أحد العصر[1].

هذا كله: مع العلم بأن المسافة إلى بني قريظة لم تكن بعيدة، بل كانت لا تحتاج إلى أكثر من ساعتين من نهار، كما سنرى.

إستفادات ودلالات:

قد ذكروا: أنه يستفاد من هذا التشريع ـ أعني جواز ترك الصلاة استناداً إلى اجتهاد أو فهم مشابه ـ الأمور التالية:

١ ـ إنه لا إثم في الخطأ، كما قال «صلى الله عليه وآله»: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان[2].

٢ ـ إن هذا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير[3].

٣ ـ إن هذا منه «صلى الله عليه وآله» تقرير لمبدأ الاجتهاد في استنباط

---

(١) راجع المصادر التالية: إرشاد الساري ج٦ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وعمدة القاري ج١٧ ص١٨٩ و ١٩٠ وفتح الباري ج٧ ص٣١٣ و ٣١٤ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٣ و ٣٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٢.

(٢) خاتم النبيين ج٢ ص٩٥١ وفتح الباري ج٧ ص٣١٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٤.

(٣) خاتم النبيين ج٢ ص٣٥١.

الأحكام الشرعية.

٤ ـ إن المتخالفين في الاجتهاد معذوران، ومثابان، سواء قلنا: «إن المصيب واحد، أو متعدد»[1].

٥ ـ إن استئصال الخلاف في مسائل الفروع، التي تنبع من دلالات ظنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم.

حكمة ذلك كله: هو أن تكون الاجتهادات المختلفة وثيقة الصلة بالأدلة المعتبرة شرعاً، ليمكن للمسلمين أن يأخذوا بأيها شاؤوا حسب ظروفهم ومصالحهم. وهذا من مظاهر رحمة الله لهم[2].

٦ ـ في هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب. وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً.

ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان، وخطأ في حق غيره. فيكون من اجتهد في مسألة، فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً في استحلاله، وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى التحريم مصيباً في تحريمه.

وإنما المحال: أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين، في حق شخص واحد»[3].

وقال ابن الديبع: «وفي ذلك فسحة للمجتهدين رضي الله عنهم، وأن كل مجتهد مصيب، أي في الفروع، إذا لم يخص واحداً من الفريقين بصواب

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص٣٠٧ و ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الروض الأنف ج٣ ص٢٨١ وفتح الباري ج٧ ص٣١٥ وراجع السيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٤.

ما ذهب إليه»[١].

٧ ـ «فيه دلالة لمن يقول بالمفهوم.

٨ ـ والقياس.

٩ ـ ومراعاة المعنى.

١٠ ـ ولمن يقول بالظاهر أيضاً»[٢].

١١ ـ وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده، إذا بذل وسعه في الاجتهاد[٣].

ونقول:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما ترك تعنيف كلا الطائفتين ومجرد ترك التعنيف لا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين.

ولا على التصويب لكلا الفريقين، ولا على كون المجتهد لا يعنف، وإن أخطأ، إذا بذل وسعه في الاجتهاد[٤]. كما أنه لا يدل على وجود مجتهدين في البين؟؟

ولا على كون المتخالفين في الاجتهاد معذورين ومثابين.

ولا على القياس أو المفهوم، أو مراعاة المعنى..

---

(١) حدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٥ وراجع: شرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨.

(٢) النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٢ ص٩٨ وراجع: فتح الباري ج٧ ص٣١٥.

(٤) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص٩٨ وفتح الباري ج٧ ص٣١٥.

ولا، ولا..

بل هو يدل فقط: على عدم توجه العقاب على كلا الفريقين.

ثانياً: بالنسبة للتصويب نقول:

ألف: قد قلنا: إن هذه الحادثة لا تدل على وجود مجتهدين، لا بين الذين تركوا صلاة العصر، ولا بين الذين صلوها.

ب: لو سلم وجود مجتهدين، وأن ما جرى قد نشأ عن اجتهاد من كلا الفريقين، فلا يدل موقف النبي «صلى الله عليه وآله» على التصويب، بل على مجرد المعذورية في صورة الخطأ، أي أنه «صلى الله عليه وآله» قد عذرهم بفهمهم الخاطئ، وليس المورد من موارد الاجتهاد، فضلاً عن كونه صواباً أو خطأً.

ج: إن نظرية التصويب باطلة عقلاً، فلا بد من التأمل في صحة أو في دلالة ما ظاهره ذلك، إذ لا يمكن أن يخالف الشرع العقل في أحكامه الصريحة.

د: قد عبر البعض عن هذا التصويب، بأن يتمكن المسلمون أن يأخذوا بأيهما شاؤوا، تبعاً لحاجاتهم، وظروفهم ومصالحهم.

وهذا يعني: أن تكون الأحكام تابعة لأهواء الناس ومصالحهم، وهل هذا إلا تشريع التلاعب بالدين وأحكامه؟ والقضاء على رموزه وأعلامه؟!

ثالثاً: بالنسبة لجواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير نقول:

ألف: إن هذا الكلام لم يظهر له معنى، إذا كان التأخير عن خطأ، كما صرح به هذا القائل نفسه، فإن المخطئ معذور في خطئه إن كان عن قصور، لا أنه يثبت له حكم شرعي في المورد الذي أخطأ فيه هو الجواز، أو غيره من الأحكام.

ب: لا ندري ما معنى جواز التأخير بنية الأداء، بعد فوت الوقت. فإن الفوات قد تحقق بعد غروب الشمس، فما معنى نية الأداء لصلاة العصر في خارج وقتها؟!

رابعاً: إن إثبات الاجتهاد لجميع أولئك الناس، الذين كان فيهم العالم والجاهل والكبير والصغير، ولو في أوائل بلوغه، والعالم والفلاح والخ.. دونه خرط القتاد.

خامساً: إن المسافة بين المدينة وبين بني قريظة قريبة جداً، لا تحتاج إلى أكثر من ساعة أو ساعتين على أبعد تقدير لقطعها.

والمفروض: أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» للمسلمين بالمسير قد كان قبل صلاة العصر، بل وربما قبل الظهر، فتأخر البعض في الوصول إلى بني قريظة إلى ما بعد العشاء الآخرة ليس له ما يبرره إلا تباطؤ هذا البعض في تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

ويؤكد هذا: أن قسماً من الناس قد صلوا العصر في بني قريظة، ولم يقع منهم أي تأخير. وعدم صلاة ذلك الفريق الآخر ـ حتى لو سلمنا أنهم قد فهموا الحكم الشرعي بصورة خاطئة، أو أنهم لم يفهموا حقيقة مغزى كلامه «صلى الله عليه وآله» ـ.

نعم، إن عدم صلاتهم لا مبرر له إلا التباطؤ وعدم الاهتمام بتنفيذ مراداته «صلى الله عليه وآله» وتحقيق مقاصده..

أمران يحسن إيضاحهما:

أحدهما: أننا نرجح رواية: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة، على

رواية العصر. وذلك لعدة أسباب..

الثاني: بيان المسافة بين المدينة وقريظة، وأنها لا تستغرق أكثر من ساعتين على أبعد تقدير، وقد تباطأوا أو تواطأوا على التسويف في تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

ونحن نوضح هذين الأمرين، بالمقدار الذي يسمح لنا به المجال، فنقول:

١ ـ لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة:

أما بالنسبة لترجيح رواية: لا تصلوا الظهر، فقد تقدم منا: أن جبرئيل قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن على ثناياه لنقع الغبار، وأخبره: أن الملائكة لم يضعوا السلاح، بل ما زالوا يتعقبون المشركين إلى حمراء الأسد التي كانت تبعد عن المدينة ثمانية أميال فقط، ولا يحتاج الوصول إليها والرجوع منها إلى أكثر من ساعات قليلة لا تصل إلى ربع أو ثلث يوم.

مع أنه: كان قد مضى على انهزام الأحزاب حوالي نصف يوم.

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى أمر الناس بالمسير إلى بني قريظة بمجرد سماعه ذلك من جبرئيل، فإن معنى ذلك هو أنه قد طلب ذلك من الناس في وقت الضحى، وقبل صلاة الظهر بساعات يمكن فيها الوصول إلى بني قريظة قبل حلول وقت الظهر. وذلك واضح.

٢ ـ المسير إلى قريظة في نحو ساعتين:

وأما بالنسبة إلى الأمر الثاني: وهو أن الوصول إلى بني قريظة لا يحتاج إلى وقت طويل نقول:

إن ذلك يتضح إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما يلي:

ألف: بنو قريظة في عوالي المدينة:

إن منازل بني قريظة كانت بالعالية (عالية المدينة) على وادي مهزور[1] حيث يقع مسجد بني قريظة الذي هو بالعوالي على باب حديقة تعرف بحاجزة ـ شرقي مسجد الشمس ـ (أعني مسجد الفضيخ)، الذي يقع هو الآخر شرقي مسجد قباء[2] في الحرة الشرقية المعروفة بحرة واقم، وتسمى حرة بني قريظة أيضاً، لأنهم كانوا بطرفها القبلي[3].

ب: كم يستغرق المسير إلى العوالي:

قد وردت روايات تفيد: أن الذهاب إلى العوالي لا يستغرق وقتاً كبيراً.

فقد ذكرت نصوص: أن البعض كان يسير من مسجد المدينة بعد صلاة العصر، فيصل إلى العوالي، والشمس بيضاء حية، نقية، مرتفعة.

وقد حددت نفس هذه النصوص المسافة التي كان يقطعها بميلين، وثلاثة، وأربعة، وستة. وسيأتي تفسير هذا الاختلاف، والنصوص هي التالية:

١ ـ روي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يصلي العصر، والشمس (بيضاء) مرتفعة حية، فيذهب الذاهب إلى العوالي، فيأتيها،

---

(١) وفاء الوفاء ج١ ص١٦١ وج ٣ ص١٠٧٦ وراجع: معجم البلدان (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٣٤٦ وج ٥ ص٢٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق١ ص٢٨٧.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج٣ ص٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢١ ومرآة الحرمين ج١ ص٤١٩.

(٣) راجع: وفاء الوفاء ج٤ ص١١٨٨.

والشمس مرتفعة[1].

وفي البخاري: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه كان يذهب بعد صلاة العصر إلى العوالي فيأتيها والشمس مرتفعة[2].

وبعض المصادر ذكرت النص المتقدم، ولم تذكر عبارة: فيأتي العوالي، أو فيأتيها[3]. وعدم ذكر ذلك لا يضر في المقصود، لأنه إنما يتحدث عن التبكير في صلاة العصر، ولا يتم ذلك إلا إذا قدر الوصول إليها قبل المغرب، كما هو ظاهر.

٢ ـ عن أنس: كان أبعد رجلين من الأنصار من رسول الله «صلى الله عليه وآله» دار أبو لبابة بن عبد المنذر، وأهله بقباء، وأبو عبيس بن خير، ومسكنه في بني حارثة، فكانا يصليان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» العصر، ثم يأتيان قومهما، وما صلوا لتعجيل رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٢ ص١٠٩ وسنن الدارقطني ج١ ص٢٥٣ وصحيح البخاري ج١ ص٦٩ وج ٤ ص١٧٠ وسنن الدارمي ج١ ص٢٧٤ والسنن الكبرى ج١ ص٤٤٠ وتحفة الأحوذي ج١ ص٤٩٣ و ٤٩٦.

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص١٧٠.

(٣) سنن أبي داود ج١ ص١١١ ومختصر سنن أبي داود للمنذري ج١ ص٢٣٩ ومسند أحمد ج٣ ص١٦١ و ٢١٧ وسنن النسائي ج١ ص٢٥٣ ومسند أبي عوانة ج١ ص٣٥١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٢٣ والمصنف للصنعاني ج١ ص٥٤٧ وكنز العمال ج٨ ص٢٧ عنه وعن ابن أبي شيبة. والسنن الكبرى ج١ ص٤٤٠ ونصب الراية ج١ ص٢٤٦ وشرح معاني الآثار ج١ ص١٩٠ والتمهيد ج٦ ص١٧٩.

وآله» بها[1].

ويلاحظ: أن أبا لبابة إنما كان يسكن في منطقة بني قريظة، الذين كانت منازلهم بالقرب من قباء وقباء من العوالي[2]. ولم يكن يسكن في قباء نفسها، كما يظهر من الرواية الآنفة الذكر.

ويدل على ذلك: ما سيأتي من أنه تعهد بأن يهجر دار قومه التي أصاب فيها الذنب ودار قومه هي دار بني قريظة[3]، «لأن ماله وولده، وعياله كانت في بني قريظة»[4].

وقد ذكر المؤرخون: أن أبا لبابة كان مناصحاً لهم.

ومهما يكن من أمر: فإن هذا يدل على أن بني قريظة كانوا يسكنون في أدنى العالية، أي قرب منازل بني عمرو بن عوف.

ولسوف يأتي تحديد العالية، قرباً وبعداً، بعد قليل.

---

(١) سنن الدارقطني ج١ ص٢٥٤ وشرح معاني الآثار ج١ ص١٨٩ و ١٩٠ وشرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٣٥.

(٢) راجع: إرشاد الساري ج١ ص٤٩٤ وشرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٣٥.

(٣) عيون الأثر ج٢ ص٧٠ و ٧١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٧٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥٠٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٤٦ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٨ و ١٩ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٥ وراجع: قاموس الرجال ج٢ ص٢١١.

(٤) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٥.

٣ ـ روي أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي العصر، والشمس بيضاء، نقية مرتفعة، يسير الرجل حين ينصرف منها إلى ذي الحليفة، ستة أميال، قبل غروب الشمس[1].

٤ ـ سأل ثابت بن عبيد أنساً عن وقت العصر، فقال: وقتها أن تسير ستة أميال إلى أن تغرب الشمس[2].

٥ ـ عن أبي أروى: كنت أصلي مع النبي «صلى الله عليه وآله» صلاة بالمدينة، ثم آتي ذا الحليفة، قبل أن تغيب الشمس، وهي على قدر فرسخين

وفي نص آخر: ستة أميال[3]. والفرسخان عبارة عن ستة أميال، لأن الميل ثلث فرسخ[4].

قال الطحاوي: «قد يجوز أن يكون ذلك سيراً على الأقدام، وقد يجوز أن يكون سيراً على الإبل والدواب، فنظرنا في ذلك، فإذا.. قال حدثنا أبو أروى، قال: كنت أصلي العصر مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أمشي إلى ذي الحليفة، فآتيهم قبل أن تغيب الشمس، ففي هذا الحديث: أنه كان يأتيها ماشياً»[5].

---

(١) سنن الدارقطني ج١ ص٢٥٢ والسنن الكبرى ج١ ص٤٤١.

(٢) التمهيد ج١ ص٢٩٨.

(٣) راجع: تحفة الأحوذي ج١ ص٤٩٣ عن البزار، وأحمد، والطبراني في الكبير، والتمهيد ج٦ ص١٨١ وشرح معاني الآثار ج١ ص١٩١.

(٤) عمدة القاري ج٢٥ ص٥٧ و ٣٧ وإرشاد الساري ج١٠ ص٣٣٣.

(٥) راجع: شرح معاني الآثار ج١ ص١٩١.

ج: ما المراد بكون الشمس حية؟:

قد تقدم: التعبير بكون الشمس حية.

وحياتها: أن تجد حرها كما عن خيثمة والخطابي[1].

وقيل: حياتها وجود ضوئها، وصفاء لونها، قبل أن يصفر ويتغير[2].

وقال الزين ابن المنير: حياتها: قوة أثرها: حرارة، ولوناً، وشعاعاً، وإنارة، وذلك لا يكون بعد مصير الظل مثلي الشيء[3].

د: بعد العوالي عن مسجد النبي «صلى الله عليه وآله»:

وحين ذكر الحديث: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي العصر، ثم يذهب هو أو غيره إلى العوالي فيأتيها والشمس مرتفعة، ألحَقَ في نهاية هذا الحديث نفسه تحديداً لبعد العوالي عن المسجد النبوي، فقال: والعوالي من المدينة على ستة أميال[4].

---

(١) راجع: سنن أبي داود ج١ ص١١١ ومختصر سنن أبي داود للمنذري ج١ ص٢٣٩ والتمهيد ج١ ص٣٠٠ وفتح الباري ج٢ ص٢٢ ونيل الأوطار ج١ ص٣٩١ والتعليق المغني على سنن الدارقطني ج١ ص٢٥٣ والسنن الكبرى ج١ ص٤٤١ وشرح النووي على صحيح مسلم ج٥ ص١٢٢.

(٢) زهر الربى على المجتبى ج١ ص٢٥٣ و ٢٥٤ وعون المعبود ج٢ ص٧٧ وشرح النووي على صحيح مسلم ج٥ ص١٢٢ وإرشاد الساري ج١ ص٤٩٣.

(٣) راجع: فتح الباري ج٢ ص٢٢.

(٤) سنن الدارقطني ج١ ص٢٥٣ وإرشاد الساري ج١ ص٤٩٣ عنه، وكذا في عمدة القاري ج٥ ص٣٧ وفتح الباري ج٢ ص٢٣.

وفي نص آخر: وبعض (وبُعْدُ) العوالي من المدينة على أربعة أميال ونحوه[1].

وعند السمهودي: «المعروف: أن ما كان في جهة القبلة فأكثر من المسجد النبوي فهو عالية».

ويدل على ذلك: أن السنح، وهو منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة، وبينه وبين مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» ميل[2].

وبعض المصادر تقول: والعوالي على ميلين، أو ثلاثة من المدينة، وأحسبه قال: أو أربعة[3].

وفي بعضها: على ميلين أو ثلاثة[4].

أو: على أربعة أميال، أو ثلاثة[5].

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٦٩ والسنن الكبرى ج١ ص٤٤٠ وتحفة الأحوذي ص٤٩٣ و ٤٩٦ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦١ ونيل الأوطار ج١ ص٣٩١ والمنتقى لابن تيمية ج١ ص٢١٠.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦١.

(٣) سنن أبي داود ج١ ص١١١ ومختصر سنن أبي داود للمنذري ج١ ص٢٣٩ ومسند أحمد ج٣ ص١٦١ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٥٤٧ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦١ والسنن الكبرى ج١ ص٤٤٠ وشرح معاني الآثار ج١ ص١٩٠ ونصب الراية ج١ ص٢٤٦.

(٤) عمدة القاري ج٥ ص٣٧ وشرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٣٥ وفتح الباري ج٢ ص٢٣.

(٥) السنن الكبرى ج١ ص٤٤٠ وعمدة القاري ج٥ ص٣٧ عنه وصحيح البخاري ج٤ ص١٧٠ وفتح الباري ج٢ ص٢٣ ووفاء الوفاء ج١٢٦١.

قال عياض: هذا حد أدناها، وأبعدها ثمانية أميال، وبه جزم ابن عبد البر، وصاحب النهاية[١].

وفي العتيبة، أو المدونة، عن مالك: أقصى العالية ثلاثة أميال، يعني من المسجد النبوي[٢].

قال عياض: كأنه أراد معظم عمارتها، وإلا، فأبعدها ثمانية أميال[٣]، أو عشرة[٤].

أما السمهودي فقال: «طريق الجمع: إن أدنى العوالي من المدينة على ميل، أو ميلين. وأقصاها عمارة على ثلاثة أو أربعة أميال، وأقصاها مطلقاً ثمانية أميال»[٥].

واعتبر البعض: أن أقرب العوالي ميلان، وأبعدها ستة[٦].

وعند النووي والشوكاني: «العوالي هي القرى حول المدينة، أبعدها على ثمانية أميال من المدينة، وأقربها ميلان، وبعضها ثلاثة أميال»[٧].

---

(١) إرشاد الساري ج١ ص٤٩٣.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦١ وقال: وذكره ابن حزم أيضاً، ونقله الحافظ ابن حجر عن أبي عبيد، وعمدة القاري ج٥ ص٣٧ وفتح الباري ج٢ ص٢٣.

(٣) إرشاد الساري ج١ ص٤٩٣ وعمدة القاري ج٥ ص٣٧ وفتح الباري ج٢ ص٢٣ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦١.

(٤) شرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٣٥.

(٥) وفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦٢.

(٦) إرشاد الساري ج١ ص٤٩٣.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ج٥ ص١٢٢ ونيل الأوطار ج١ ص٣٩١ وراجع: الإستذكار ج١ ص٣٤٤.

وقيل: أقرب العوالي من المدينة ميلان أو ثلاثة[١]، ومنها مايكون على ثمانية أميال أو عشرة[٢].

عذر أقبح من ذنب:

ومن الغريب والعجيب ـ وما عشت أراك الدهر عجباً ـ قول العسقلاني هنا:

«أما من احتج لمن أخر بأن الصلاة حنيئذ كانت تؤخر كما في الخندق، وكان ذلك قبل صلاة الخوف فليس بواضح؛ لاحتمال أن يكون التأخير في الخندق كان عن نسيان، وذلك بيِّن في قوله «صلى الله عليه وآله» لعمر، لما قال له: ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب، فقال: والله ما صليتها، لأنه لو كان ذاكراً لها لبادر إليها كما صنع عمر، انتهى»[٣].

وهكذا، فإن نتيجة كلام العسقلاني هي: أن عمر كان أذكر للصلاة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»!! وأكثر اهتماماً بشأنها. ولم ينسها عمر (رغم انشغاله الشديد بأمر الحرب في الخندق حتى لقد حقق أعظم الإنتصارات فيها!! وقتل أعظم فرسانها!! وهزم الأحزاب، وفرق جمعهم

---

(١) الجوهر النقي (مطبوع بهامش سنن البيهقي) ج١ ص٤٤١ والتمهيد ج٦ ص١٧٨ وراجع: شرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٣٥ ووفاء الوفاء ج٤ ص١٢٦١ وقال: ذكره ابن حزم أيضاً ونقله ابن حجر عن أبي عبيد.

(٢) التمهيد ج٦ ص١٧٨ وشرح الموطأ للزرقاني ج١ ص٣٥.

(٣) فتح الباري ج٧ ص٣١٦.

بسبب ضربته الكبرى، التي تعدل عبادة الثقلين[1]، أو انشغاله بالهزيمة والاختباء في الحديقة هو وطلحة وآخرون، حتى فضحت أمرهم عائشة).

أما النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لم يقم بأي شيء من ذلك: فقد نسي صلاته وذلك يعني ـ كما يريد هؤلاء أن يقولوا ـ: أن الصلاة كانت لا تمثل لدى هذا النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً ذا أهمية رغم كونه نبي هذه الأمة وهو الأسوة والقدوة.

نعم.. هذا ما يوحي به كلام العسقلاني الذي لم يعجبه نسبة تأخير الصلاة عمداً لبعض الصحابة، الذي قد يظهر أن بعضهم لا يجوز ـ بنظره ـ نسبة أي قصور أو تقصير إليه، بل لا بد من الاهتمام به والحفاظ عليه أكثر من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وحتى على حساب عصمته ونبوَّته.

والملفت هنا: أن مسلماً يروي في صحيحه هذه القضية بصورة ليس فيها ذلك، فيقول:

«عن عبد الله قال: حبس المشركون رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً الخ..»[2].

---

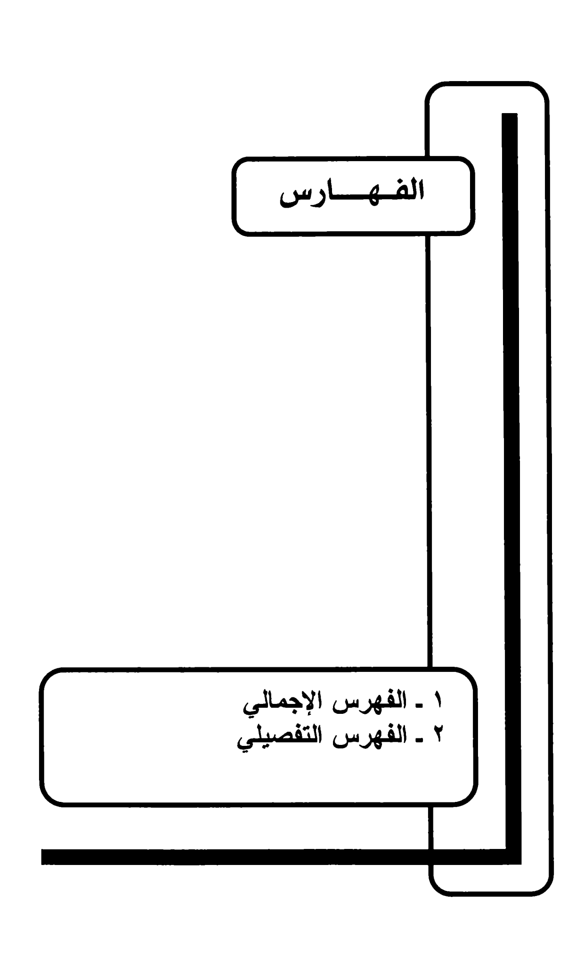
(١) هذا الكلام قد جاء على سبيل التعجب والحقيقة هي أن علياً «عليه السلام» هو الذي فعل ذلك كله.

(٢) صحيح مسلم ج٢ ص١٢٢ ومسند أبي عوانة ج١ ص٣٥٦ والمنتقى لابن تيمية ج١ ص٢١٣ عن أحمد ومسلم وابن ماجة.

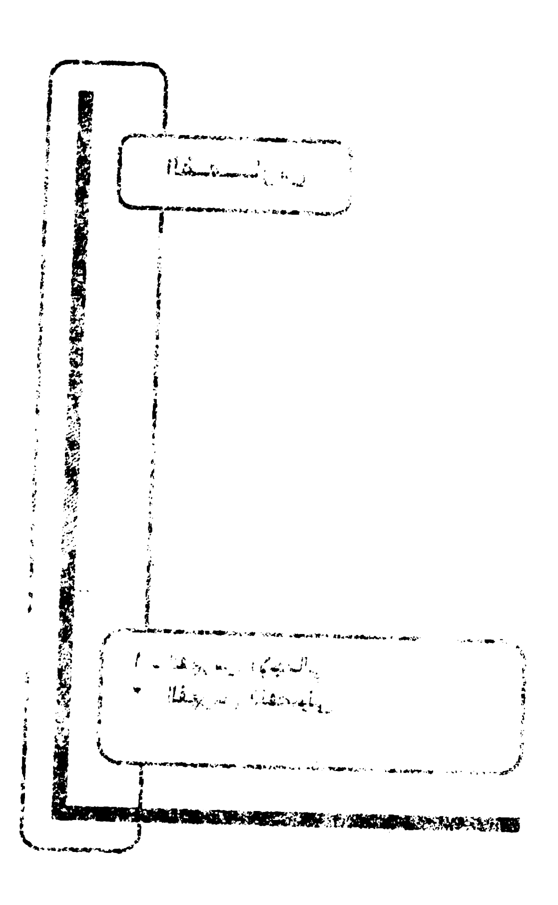
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

---

(١) [illegible]
[illegible]
(٢) [illegible]
[illegible]



الفهــــارس



١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل السابع
معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار

الفصل الثامن: عقد عيينة.. مكذوب

الباب الثاني: معركة الخندق

الفصل الأول: الحصار والقتال

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق

الباب الثالث: غزوة بني قريظة

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة

الفهارس: